قسم اللغة العربية

جامعة بشاور

شخصيات روايات د. نجيب الكيلاني

دراسة "وصفية تحليلية"

رسالة لنيل درجة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها

إعداد الباحثة :

خنساء الجاجي

إشراف : الدكتور نصيب دار محمد

أستاذ اللغة العربية

قسم اللغة العربية – جامعة بشاور

1428هـ - 2007م

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى والدي الحبيب د. محمد أديب الجاجي

أهدي رسالتي هذه .....

ثمرة من غراس بستانك

خنساء

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ۝ ﴾فصلت،٣٣. ويقول أيضاً : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ۝ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ۝ يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللهُ مَا يَشَاءُ ۝ ﴾إبراهيم،٢٤-٢٧.

وبعد:

فإن للأدب الإسلامي في وقتنا الحاضر انطلاقة كبيرة في جميع أجناسه، من قصيدة وقصة ومسرحية وغيرها... وإن الأدب الإسلامي ينبثق عن نظرة الإسلام الشاملة للكون وعلاقته بالإنسان، وعلاقة الإنسان بكل ما حوله، وهي نظرة مختلفة تماماً عن كل ما عداها من نظرات وأفكار تملأ الساحة العربية ، وقد حفلت البيئة الأدبية العربية بالكثير من الأبحاث والدراسات النظرية التي تنظِّر للأدب الإسلامي وتحدد مساراته وتبيّن مميزاته، وهي أبحاث ودراسات لها قيمتها العالية التي لا غنى لنا عنها، ولكن قلَّ في المقابل وجود دراسات تطبيقية للنتاج الأدبي الإسلامي، وهذا مصدر ضعف يجب تداركه لنستطيع

الارتقاء بالأدب الإسلامي كما نحب وكما يجب، فمن الضروري أن تتماشى الدراسات النظرية مع الدراسات العملية بشكل متوازٍ، وكلما كانت الفجوة كبيرة بينهما كلما كان تأثير ذلك سلبياً على الأدب الإسلامي وتطوره.

هذا إلى جانب أن النقد للأعمال الأدبية الإسلامية إنما هو نقد بنَّاء يُقصد منه البناء والارتقاء نحو الأفضل، والاستفادة من الخبرات ووجهات النظر المختلفة، وهذا من شأنه أن يفيدنا كقراء مستقبِلين للأعمال الأدبية أو ككُتَّاب مُنتجين لهذه الأعمال سواء بسواء.

إن ما سبق هو من أهم الأمور التي ساعدتني في اختياري لموضوع بحثي هذا، بالإضافة إلى أهمية القصة والرواية كفنٍّ أدبي، وما نلمسه جميعاً من قوة تأثيرها في النفوس والأفكار والمعتقدات، ومدى تأثر الناس بها في تكوين شخصياتهم وآرائهم والشباب منهم خاصة، وهذا كله تؤكده القصص التي حفلت بها الآيات القرآنية في معظم سور القرآن الكريم.

وإذا كان هناك بعض الدراسات والأبحاث التي تناولت الرواية الإسلامية بالتحليل والنقد، فإن تحديد البحث بالشخصيات وفي روايات د. نجيب الكيلاني بالذات لم يتطرق إليه بحث سابق حسب علمي إلى الآن.

وهناك أمر آخر وهو أهمية الشخصية ودورها الكبير في القصة وتأثيرها الكبير في قارئيها فكان التركيز عليها وإعطائها هذا الحيز الكبير من بحثي هذا.

إن د. نجيب الكيلاني من أغزر الأدباء الإسلاميين إنتاجاً وفي مجال الرواية تحديداً، ومع ذلك فهو كان من أكثر المُعَرَّضِين للإهمال والإجحاف،

وذلك بسبب انتماءاته الفكرية الإسلامية التي تركت بصمات واضحةً في أعماله الإبداعية، فرأيت من الواجب علينا أن نساهم في تقديم هذا الأديب الإسلامي وإبراز ما قام به من دور بنّاء، وما قدّم من أعمال أدبية كان فيها الكثير من الفائدة للناشئة المسلمة، مع عدم إغفالنا لبعض الهنات التي قد يكون وقع فيها والتي لا يمكن أن يخلو منها عمل بشري، فالكمال ليس من صفات المخلوقين.

وسأسلك في بحثي هذا المنهج الوصفي التحليلي، وقد جعلت هذه الرسالة في بابين، وسيحتوي كل باب على أربعة فصول، ويشتمل كل فصل على عدة مباحث ، وفيما يلي التقسيم لهذين البابين.

الباب الأول : الرواية مؤلّفاً وموضوعاً وبناءً فنياً.

الفصل الأول : د. نجيب الكيلاني : حياته.

يتناول هذا الفصل المباحث التالية :

- اسمه ونسبه ونشأته، وعائلته والبيئة التي نشأ بها.
- دراسته الابتدائية والثانوية ثم ثقافته في المرحلة الثانوية.
- المرحلة الجامعية وتخرجه طبيباً.
- حياته السياسية وانضمامه إلى حركة الإخوان المسلمين وما تبعه من دخوله للسجن.
- مغادرته مصر إلى العمل في الإمارات العربية المتحدة.
- مرضه ووفاته.

الفصل الثاني : د. نجيب الكيلاني أديباً إسلامياً.

يتناول هذا الفصل ثلاث مراحل في مسيرة الكيلاني الأدبية :

- المرحلة الأولى شاعراً، ثم روائياً، وتأثر الكيلاني بفكر الإخوان وأدبهم، ثم فترة ركود أدبي.
- المرحلة الثانية وهي مرحلة السجون التي تنقل بها وإنتاجه الأدبي في تلك الفترة في الشعر والرواية والقصص القصيرة والمسرحية والدراسات الأدبية، وأذكر خلاصة لسمات أدبه في تلك المرحلة، وأسماء بعض النقاد الذين تناولوا أدبه.
- المرحلة الثالثة والأخيرة وهي إنتاجه الشعري والروائي والقصص القصيرة والمسرحية والدراسات وبيان أهم ما يميز مبادئ الكيلاني وما يدعو إليه من خلال إنتاجه المتنوع.

بالإضافة إلى ذلك أبيّن آراءه فيما يخص : الأدب الإسلامي، والعلاقة بين الحاكم والمحكوم، والمرأة، وصلة الرحم، والمشاكل الفردية والجماعية، والحضارة الإسلامية، والداعية الإسلامي.

وأتطرق لذكر أسماء من تأثر بهم الكيلاني من المفكرين والأدباء.

الفصل الثالث : الرواية عند د. نجيب الكيلاني موضوعاً.

هذا الفصل يحتوي على عدة مباحث، وهي : الالتزام في الأدب، والموضوعات التي كان اهتمام الكيلاني بها واضحاً في رواياته وهي :

- السجن بنوعيه : السجن السياسي والسجن العادي والسجانون.
- الحرب : الحرب مع الاحتلال، والحرب مع اليهود، والحرب في العراق.

- المرأة بأصنافها المختلفة فأتناول معالجة الكيلاني لقضايا المرأة الصالحة الإيجابية، والفاسدة اللعوب، والمرأة العاملة، والمرأة الأم.
- قضايا الفساد في المجتمع والدولة بأشكاله الكثيرة مثل : الرشوة والديون الربوية والفساد في المجال الطبي، وغيرها من الموضوعات.

الفصل الرابع : الرواية عند د. نجيب الكيلاني بناءً فنياً.

هذا الفصل ستة مباحث، وهي :

- تعريف الرواية، وقيمتها ومكانتها كفن أدبي.
- كيفية المفاضلة بين رواية وأخرى.
- مجال الرواية أمام الكاتب الروائي.
- علاقة الرواية بالخيال والواقع.
- صعوبات وقيود في فن الرواية.
- عناصر الرواية، وهي :
  - الفكرة .
  - الزمان والمكان.
  - الأسلوب وطريقة عرض الرواية : الأسلوب والزمان، والسرد والحوار في الرواية، ثم الفصحى والعامية في الحوار.
  - الأحداث : العقدة أو الحبكة، ثم أنواع الرواية من حيث تركيب الحبكة، وأنواع الحبكة، قضية القدَر والصدفة، ثم التوقيت والإيقاع.

الباب الثاني : الشخصية الروائية في روايات الكيلاني.

الفصل الأول : الشخصية الروائية. وهذا الفصل يتناول المباحث التالية، وهي:

- أهمية الشخصية ودورها في بناء الرواية فنياً.
- ارتباط الشخصية الروائية بعناصر الرواية الأخرى كالفكرة، والأحداث، والحوار، والبيئة.
- من أين يختار الكاتب شخصيات روايته؟
- الشروط الواجب توفرها في الشخصية لتكون ناجحة.
- طريقة عرض الكاتب لشخصياته.
- أبعاد الشخصية الروائية.
- طرق تصوير الشخصية ورسمها.
- تصنيف الشخصيات : خيرة وشريرة، أو ثابتة ونامية، أو شخصيات إنسانية ونماذج بشرية، أو شخصيات رئيسة وشخصيات ثانوية.
- هل هناك دلالة للتسمية للشخصيات الروائية؟

الفصل الثاني : شخصيات رئيسة في روايات د. الكيلاني .

وفيه خمسة مباحث هي :

- انسجام الشخصية مع أفكار الكاتب أو تناقضها.
- التشابه في حدود بعض الشخصيات الرئيسة في روايات نجيب الكيلاني.
- دراسة شخصيات رئيسة مثل : "نور" في رواية "عمالقة الشمال"، و"عادل" في رواية "رجال وذئاب"، و"براعم" و"محمد حسب الله" في رواية "ملكة العنب".
- مواقف التحول في حياة الشخصية الروائية واستفادة الكيلاني منها. ودراسة لشخصية "إريان" في رواية "الرجل الذي آمن".

- دراسة لشخصية "عمر" في رواية "عمر يظهر في القدس".

الفصل الثالث : شخصيات ثانوية في روايات نجيب الكيلاني.

وفيه مبحثان، هما :

- شخصيات نامية: وفيه عرض لشخصية "محسن" في رواية "طلائع الفجر، و"محروس" في رواية "رأس الشيطان".
- نماذج بشرية : ومن ذلك نموذج :
  - رجل الدين : وفيه عرض لشخصية الشيخ "عنبة" في رواية "النداء الخالد"، ورجل الدين المتصوف كالشيخ "الشاذلي" في رواية "رأس الشيطان"، ورجل الدين العصري المثقف في رواية "رحلة إلى الله"، ثم رجل الدعوة بأسلوب جماعة التبليغ في رواية "أميرة الجبل".
  - الطبيب : وفيه جانبان : الإيجابي الخيِّر، والسلبي الشرير. وفيه نماذج مثل : شخصية الطبيب في رواية "أميرة الجبل"، و"د. سالم" في رواية "رحلة إلى الله"، و"د. محمد صادق" و"د. موريس" في رواية "الذين يحترقون"، و"د. هانيمان" في رواية "عمالقة الشمال".
  - الأب والأم : وفيه نموذج الوالد في رواية "الطريق الطويل".

الفصل الرابع : شخصيات مميزة في روايات نجيب الكيلاني.

وفيه ستة مباحث يتناول كل مبحث شخصية مميزة من الشخصيات التي رسمها الكيلاني في رواياته، وهي :

- شخصية "محمود صقر" في رواية "رحلة إلى الله".
- شخصية "المُقَنَّع" في رواية "طلائع الفجر".

- شخصية "الشيخ سلامة" في رواية "ليل وقضبان".
- شخصية "مسعدة" في رواية "ملكة العنب".
- شخصية "كسّاب" في رواية "في الظلام".
- شخصية "المُطوّع" في رواية "أميرة الجبل".

وسأتبع ذلك بخاتمة تلخص أهم ما توصلتُ إليه في هذا البحث من نتائج أو اقتراحات.

هذا وإني لأرجو الله عزوجل أن يتقبل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم، وأن يبارك فيما فيه من صواب، ويفيد به غيري، وأن يتجاوز عما فيه من نقص وخلل، وأن يعذرني فيه، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
{ مَن اجْتَهَدَ فَأصَابَ فَلَهُ أجْرَانِ، وَمَنْ اجْتَهَدَ فَأخطَأ فَلَهُ أجْرٌ وَاحِدٌ }.

ومن باب اتباع قول الرسول محمد صلى الله عليه وسلم : { مَنْ لا يَشكُرِ النَّاسَ لا يَشكُرِ اللهَ } فإنني أتقدم بجزيل شكري وامتناني لكلٍّ من :

- الأستاذ الدكتور نصيب دار محمد المشرف على رسالتي هذه، والذي يعجز اللسان عن الوفاء بحقه لما قدمه من موافقة مباشرة على الإشراف على رسالتي، ولما لمسته فيه من حب للغة العربية، ولا أنسى كرمه في وقته الثمين الذي خصني به، والنصائح والتوجيهات التي قدمها بلا حساب، وأدعو الله أن يجزيه خير الجزاء.
- الأستاذ الدكتور يعقوب خان مروت الذي أعتبره أول من لفت انتباهي لموضوع بحثي، وكان له الفضل الكبير في اقتناعي بفكرته والبدء به، وذلك بحسن اختياره للمواضيع المفيدة خلال تدريسه لنا مادة النقد.

- الأستاذ الدكتور أنوار الحق الذي كان له الفضل الكبير عليّ في التحاقي بجامعة بشاور والدعم الكبير والتسهيلات الكثيرة التي قدمها وصبره على مضايقاتنا بتسامحه وتواضعه وسمو أخلاقه.
- الدكتورة مسرت جمال لحسن أخلاقها معي وجميل تعاونها.
- الأخ الفاضل رؤوف أمين المكتبة في قسم اللغة العربية.

ومن عائلتي أتقدم بالشكر والامتنان الجزيل لكلٌ من :

- والدي الحبيب الذي كان له الفضل الأول عليّ في حب العلم والذي غرس في نفسي حب اللغة العربية، وجمّلها في عينيّ، وجعلني أستطيع تذوق حلاوتها، بحسن عرضه وجمال متابعته لنا سواء بتلاوة القرآن الكريم وإعرابه، أو بمسابقاته التي كانت تثير الحماس فينا ونحن لا زلنا أطفالاً.
- زوجي الكريم الذي ساعدني على الاستمرار في تحصيل العلم مع تكاليف الحياة وصبر على متاعب الأسرة والأولاد وانشغالي، وكان خير معين وخير مشجع.
- ولا أنسى الوالدة الحبيبة التي ساهمت بدعواتها الحارة، وأختيّ ظلال ورغد اللتين كانتا خير مرشد وناصح في دقائق الأمور وجليلها التي صادفتني في كتابة رسالتي هذه.
- وبناتي هالة وتسنيم ونسرين، وولديّ أحمد وخالد، الذين أخذتُ من وقتهم وقصرت في حقهم بعض التقصير فلم يكتفوا بالصبر عليّ بل شاركوا بدعواتهم ومساعداتهم التي بدونها لم أكن لأستطيع أن أتم رسالتي أبداً.

والحمد والشكر لله أولاً وآخراً، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

الباب الأول : الرواية مؤلّفاً وموضوعاً وبناءً فنياً.

الفصل الأول : د. نجيب الكيلاني : حياته.

الفصل الثاني : د. نجيب الكيلاني : أديباً إسلامياً.

الفصل الثالث : الرواية عند د.نجيب الكيلاني موضوعاً.

الفصل الرابع : الرواية عند د. نجيب الكيلاني بناءً فنياً.

الفصل الأول : د. نجيب الكيلاني حياته.

اسمه ونسبه :

هو نجيب بن عبد اللطيف بن إبراهيم الكيلاني.[1]

نشأته :

ولد نجيب الكيلاني في ١/ يونيو/ ١٩٣١م[2]، ونشأ في بيت ريفي بسيط في قرية شرشابة التي تقع على بعد عشرين كليومتراً من مدينة طنطا[3] المصرية[4].

والده :

هو عبد اللطيف بن إبراهيم الكيلاني، وكان يعمل في الزراعة، ويعول أسرته[5]، وكان لشخصية والد الكيلاني أثر كبير في حياته، فأبوه كان مثالاً للرجل المؤمن القانع، المستسلم لقضاء الله، والمكافح في سبيل الحصول على لقمة شريفة كريمة لأهل بيته، وكان والده يغرس فيه هذه المعاني كلها،

---

[1]- العريني، عبد الله بن صالح، الاتجاه الإسلامي في أعمال نجيب الكيلاني القصصية، من إصدارات المهرجان الوطني للتراث والثقافة، رسالة ماجستير في قسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي بكلية اللغة العربية بالرياض، ١٤٠٩هـ، ص١١.

[2]- الكيلاني ، د. نجيب، لمحات من حياتي، (مؤسسة الرسالة: بيروت، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٩٥م)، ط ١ ، ج١، ص٢٢ .

[3]- مدينة شمال القاهرة، من مدن الوجه البحري. انظر : أطلس العالم ، مجموعة من الأساتذة، (مكتبة لبنان: بيروت) ص٥٢ .

[4]- الكيلاني ، لمحات من حياتي ، ج١، ص١١ .

[5]- العريني، الاتجاه الإسلامي في أعمال نجيب الكيلاني القصصية، ص ١١ .

ويساعده على بناء شخصيته المستقلة، فقد كان كما ذكر الكيلاني بنفسه أنه كان يعطيه ما يحتاجه من نقود لمدة فصل دراسي أو عام دراسي كامل، وعندما كان يقترح نجيب الكيلاني عليه بأن يأخذ ما يكفيه لشهر أو لأسبوع كان والده يصر على رأيه ليعلمه الاعتماد على نفسه وتحمل المسؤولية منذ صغره[1].

ويقول عنه الكيلاني :"كان للوالد رحمه الله أسلوب خاص في التربية، لم يقرأه في كتب الفلسفة أو علم النفس .. كان أساس تعامله الثقة، ولم تكن ثقة عمياء، إذ أنه كان يحاسبنا برفق عندما يرى أننا قد وقعنا في خطأ، ولم يكن جباراً أو متعنتاً عند اختلافنا في الرأي معه، كان يكتفي بشرح وجهة نظره بإيجاز، ثم يبين عدم صحة ما نراه، ولا ينتظر .. بل ينصرف، ولا يعتب إذا خالفناه، وإذا خيبت النتائج ظنّنا لم يبدِ الشماتة أو الثورة، بل يعلق تعليقاً بسيطاً ساخراً :"إن كلام الفقير لا يُسمع".. ونضحك وينتهي الأمر، ومن العجيب أنني كنت أقع في بعض المشاكل المحيرة المقلقة، وأظل الليالي الطوال أفكر وأبحث عن حل، ولكن دون جدوى، وسرعان ما كان يلاحظ ذلك من خلال تصرفاتي وشرودي وتعبيرات وجهي، فيسألني، وآخذ في شرح الأمر له، وكان لا يطيل التفكير، بل يبتسم ويقول وهو مشغول بعمل شيء آخر :"يا سلام !! هل هذه مشكلة ؟!.. تستطيع أن تفعل كذا وكذا "، ثم ينصرف إلى شأنه .. وأجلس لأفكر فيما قاله، يا سبحان الله، ليس هناك حل سوى ما قال أبي، كيف غاب عني ذلك؟؟"[2]

وتوفي والده إثر مرض بالقلب، وقد تجاوز السبعين.[3]

---

[1]- لمحات من حياتي ، ج١، ص ٧٤ .

[2]- المصدر نفسه ، ص ٧٤ .

[3]- المصدر نفسه ، ص ٧٧.

والدته :

كانت أم الكيلاني من أسرة كبيرة شهيرة في القرية، هي أسرة الشافعي، وكانت كثيراً ما تبدي اعتزازها وافتخارها بأسرتها، بل وأسرة أخوالها أيضاً من كفر مجاور "كفر حسين"، ومن المعروف أن أسرة الشافعي أيسر حالاً، وأكثر أموالاً، وأشد احتفالاً لتعليم أبنائها في المدارس الحديثة والأزهر، وقد كان لها فضل السبق في التعليم بالقرية هم وبعض الأسر القليلة الأخرى، كما أن عمدة القرية واثنين من مشايخ البلد، وشيخ الخفراء من آل الشافعي.[1]

ويتحدث الكيلاني عن أمه كيف أنها كانت تضطر لحمله وأخيه على كتفيها معاً، عندما ولد أخوه بعده بعام وشهر واحد، وكانت تعطي كل واحد ثدياً، فلم يكن في زمانها ألباناً صناعية، ومن الضروري أن تتم الرضاعة لعامين حسب السنة.[2]

وكانت أمه تنهمك تماماً في إعداد الأكلات الدسمة الشهية التي تعرف أن نجيباً يفضلها كلما أتى إليها لزيارتها في القرية بعد انتقاله للدراسة في المرحلة الثانوية.[3]

إخوته :

١. **أمين** : وُلد بعد نجيب بعام وشهر واحد[4] وقد كان أن وقع عليه الاختيار ليقوم بأعمال الزراعة بعد أن تفوق نجيب في دراسته ليتفرغ

1- انظر : لمحات من حياتي ، ج١، ص ٣٢و٣٣.

2- المصدر نفسه، ص٢٢ .

3- المصدر نفسه ، ص ٧٥ .

4- المصدر نفسه ، ص ٢٢ .

نجيب لتحصيل العلم ويتفرغ أخوه أمين للمساعدة في أعمال الزراعة، لأنه الأصغر بينهما، ويبدو أن أخاه أميناً لم يمانع إذ لم يدرك أبعاد هذا التحول الخطير في تلك الفترة[1]، وكان أن أصبح أمين بعد ذلك المسؤول الأول عن الأسرة وعن إتمام تعليم أخيه نجيب، وخاصة أن أباهما لم يكن يعمل في الحقل بيديه، بل كان يحمل مسؤولية الإشراف والتوجيه، وكان أمين كفؤاً في حمل الأمانة على الوجه الأوفى[2].

٢. **محمد** : كان يصغر الكيلاني باثني عشر عاماً، وكان له مكانة عزيزة في قلبه، لذلك كان يشرف على تعليمه وتوجيهه الوجهة السليمة، وقد حوله إلى مدرسة ثانوية في القاهرة ليعيش معه وتحت إشرافه[3]. وقد دخل كلية التربية الرياضية وتفوق في دراسته ونال درجة الماجستير ثم الدكتوراه، وتدرج في وظيفته حتى أصبح عميداً لكلية التربية بطنطا وحقق مكانة متميزة في كليته وفي جامعة طنطا[4].

ويقول عن الكيلاني :"لقد كان أخي محمد الأخ والصاحب والابن، ولا أعتقد أن هناك من هو أخلص لي منه، وهذه نعمة من نعم الله علينا"[5].

٣. **عايدة** : أخبرنا عنها الكيلاني أن زوجها توفي عنها وهي في عامها التاسع والعشرين، وترك لها ثلاثة من الأطفال : بنتين وولداً[1].

---

[1]- لمحات من حياتي ، ج١ ، ص ٧٣ .

[2]- المصدر نفسه ، ص ٧٦ .

[3]- المصدر نفسه ، ج٤، ص١٨٤ .

[4]- المصدر نفسه ، ج٥، ص١٧٩ .

[5]- المصدر نفسه ، ج٤ ، ص ١٨٤ .

٤. سميرة : الأخت الصغرى للكيلاني وقد عاشت معه فترة من الزمن عندما انتقل والداه معه في فترة عمله طبيباً في مساكن أبي زعبل كما سيأتي[2].

جده لأبيه :

هو إبراهيم الكيلاني، يصفه نجيب الكيلاني بأنه ذو شخصية مميزة قوية، كان مرهوب الجانب، مطاع الكلمة، كثيراً ما كان يشارك في حل بعض المعضلات في القرية، وكان إلى جانب ذلك شهماً كريماً، ويحرص على إخراج زكاة محصول أراضيه، ويغدق ما أمكن على الفقراء، ويصل الرحـــم، ولكنه لا يتورع عن أن يسبَّ عند الضرورة[3]. وجده هذا هو الذي أخذه بنفسه إلى مكتب القرية وهو في الرابعة من عمره، واشترى له لوحاً ومحبرة وقلماً وطباشير ومصحفاً[4]..

جده لأمه :

هو الحاج عبد القادر الشافعي[5]، وصفه نجيب الكيلاني بأنه كان بحق رجلاً صالحاً، حسن السمعة، من كبار تجار القطن، لم يكن يُبارى في فعل الخير وحب الناس له، ونظافة سيرته، وعدالة حكمه، وهو واحد من القلائل ذوي السيرة العطرة في تاريخ القرية، كان حافظاً للقرآن، صديقاً لعلماء الدين

---

[1]- لمحات من حياتي ، ج٥ ، ص ١٧٩ .

[2]- المصدر نفسه ، ج٤ ، ص ٢١٨ .

[3]- المصدر نفسه ، ج١، ص ٢٣و٢٦ .

[4]- المصدر نفسه ، ج١ ، ص ٢٨ .

[5]- العريني ، الاتجاه الإسلامي في أعمال نجيب الكيلاني القصصية، ص ١٢ .

محباً لهم، لا يتعامل بالربا أبداً، وقد تأثر الكيلاني به تأثراً شديداً، فهو يقول :"لقد كنت شديد التأثر بأخلاقيات وسلوك هذا الرجل العظيم في طفولتي أكثر من تأثري بأي إنسان آخر"[1].

قريته :

الدارس لإنتاج الكيلاني الأدبي يرى بشكل واضح دور البيئة الريفية المصرية في كتاباته، والمساحة الواسعة التي تحتلها في قصصه ورواياته خاصة، وبما أن رسالتي هذه تتناول رواياته وشخصياتها بالأخص، فأرى أنه لا بد من أن نُلمَّ ولو بشكل موجز بقريته التي نشأ فيها، والتي نراه يصفها في معظم رواياته، هذا إلى جانبٍ آخر وهو أمر مُسلَّم به من أهمية البيئة ودورها الكبير في تكوين ثقافة المرء وقناعاته وأخلاقه ومُثُله، ولعل الأدباء هم أصدق مثال على هذا، وأدبهم أكبر دليل عليه.

ويقول الكيلاني عن قريته :"كانت قريتنا في الماضي في منطقة زراعية شبه منعزلة، فلا يمر بها مثلاً قطار السكة الحديد، ولا طرق الحافلات أو سيارآت الأجرة، وكانت الوسيلة الوحيدة للانتقال في أوائل الثلاثينيات هي الحمير أو عربات الكارو، أما المدن الثلاثة الشهيرة التي كان يقصدها القادرون من أبناء القرية في تلك الأيام فهي :
طنطا وفيها مقر محافظة الغربية، وزفتي المركز، والمحلة الكبرى القلعة الصناعية لمنسوجات الأقطان.

---

[1] - لمحات من حياتي ، ج١، ص٣٣ .

أرض شرشابة خصبة .. القطن هو عماد الحياة الاقتصادية آنذاك .. لم يكن في قريتنا إقطاع يُذكر.

هناك مدرسة أولية إلزامية للبنات صباحاً وللبنين ظهراً ثم مكاتب تحفيظ القرآن"[1].

عدد سكان قرية شرشابة خمسة آلاف نسمة، وفيها جهازان للراديو فقط[2].

أهم المناسبات : حفلات موالد الأولياء والأعياد والمولد النبوي وليلة الإسراء وعاشوراء والهجرة النبوية ثم مولد السيد البدوي[3].

لا يوجد ماء نقي ولا كهرباء، معظم بيوت القرية يشربون من ماء الترعة الجاري.

وهناك عمال التراحيل الذين يصفهم الكيلاني بالتعساء[4]، وهم العمال من الفلاحين الذين يسافرون في المواسم للعمل الشاق في مناطق بعيدة، يطلقون

---

[1]- لمحات من حياتي ، ج١، ص ١١ .

[2]- المصدر نفسه ، ص ١٣ .

[3]- البدوي هو : أحمد بن علي إبراهيم السيد البدوي، ١٢٠٠-١٢٧٦م، لُقّب كذلك لأنه كان يلبس اللثام على عادة بدو شمال أفريقيا، أحد الأقطاب الأربعة، ولد بفاس واستقر بطنطا وبها توفي، له طريقة تعرف بالأحمدية، وشارة أتباعه العمامة الحمراء والعلم الأحمر، ويحتفل بمولده في ثلاثة مواسم : الكبير منها في أغسطس حيث تقام الحضرات، وتتلى الأذكار ويطوف خليفته بطنطا مع أتباعه. انظر : غربال ، محمد شفيق، الموسوعة العربية الميسرة،(دار إحياء التراث العربي، ودار الشعب، القاهرة) د.ط، د.ت، ج١، ص ٣٣٣ .

[4]- لمحات من حياتي ، ج١، ص ١٢ .

عليها اسم "الوسايا" حيث الإقطاعيات الكبيرة خارج حدود المحافظة، ليعود هؤلاء بقروش قليلة وأمراض كثيرة، مخلفين بعضاً منهم قد قضى نحبه، إما بسبب البرد القارس أو الحر الشديد مع الفقر والمرض[1].

وهناك الغوازي، وهم طائفة من النساء المتبرجات المتزينات، يلبسن الملابس الحريرية الضيقة الصارخة الألوان، ويفرضن أنفسهن على أفراح الريف ليرقصن ويغنين[2].

زوجته :

هي كريمة بنت محمود شاهين، العالم الجليل، كان إماماً وخطيباً في مسجد بالقاهرة، يقول عنه الكيلاني :" كان حجة في فقه الإمام الشافعي"[3]. "وكان خبيراً بشؤون الحياة، عميق النظرة، ذا رأي سياسي واضح، لكنه يرفض المشاركة في الصراعات الحزبية"[4]. وكان كثيراً ما يتردد الكيلاني على بيت هذا العالم، يستمع إليه ويناقشه ويسعد بمجلسه ويعرض عليه بعض كتاباته ويستمع لتوجيهاته ورأيه فيها باهتمام، وكان إذا ما سافر هذا العالم لبعض شأنه جعل الكيلاني ينوب عنه في إلقاء خطب الجمعة في المسجد الذي يخطب فيه لثقته به"[5].

1- انظر : لمحات من حياتي ، ج١، ص ١٢ .

2- المصدر نفسه ، ص ١٥ .

3- المصدر نفسه ، ج٢، ص ٦٤ .

4- المصدر نفسه ، ج٤ ، ص ٩٧ .

5- انظر : المصدر نفسه ، ج٢ ، ص ٦٤ .

وتزوج الكيلاني كريمة ابنة هذا العالم قبيل تخرجه من كلية الطب ببضعة شهور، وكان يكبرها بتسع سنوات، وكانت قد تخرجت من المدرسة الثانوية، وقد التحقت بعد الزواج بمعهد الخدمة الاجتماعية[1]، وتخرجت منه في منتصف عام ١٩٦٦م[2].

وكانت زوجة صالحة، تبر أهلها وتحفظ زوجها، وتقرأ القرآن، وتحب الاطلاع على المؤلفات الأدبية والدينية، مغرمة جداً بمؤلفات الإمام الغزالي[3]، وخاصة كتابه "إحياء علوم الدين"، وكانت تساعد الكيلاني في مسيرته الأدبية فتراجع مسودة مؤلفاته من الناحية الإملائية والمطبعية بل اللغوية أيضاً، ذلك لأن والدها قد أحسن تدريس اللغة لها بصورة جيدة، وقد تعلمت الكتابة على الآلة الكاتبة خصيصاً لنسخ مؤلفات الكيلاني عليها[4].

---

[1]- لمحات من حياتي ، ج٤، ص ١٠١ .

[2]- المصدر نفسه ، ج٥، ص ١٧٩ .

[3]- هو أبو حامد محمد الغزالي : ١٠٥٩-١١١١م، فقيه ومتكلم وفيلسوف وصوفي ومصلح ديني واجتماعي، وصاحب رسالة روحية كان لها أثرها في الحياة الإسلامية، درس علوم الفقهاء وعلم الكلام وعلوم الفلاسفة وعلوم الباطنية، اشتغل بالتدريس، وارتحل إلى بلاد كثيرة، منها : دمشق وبيت المقدس والقاهرة والاسكندرية ومكة والمدينة، آثر علوم الصوفية، أحيا علوم الدين إحياء يقوم على الكتاب والسنة ودافع عن تعاليم الإسلام بحرارة وبيان فلُقب حجة الإسلام، وزين الدين، وعالم العلماء ووراث الأنبياء، له مصنفات كثيرة : مقاصد الفلاسفة، تهافت الفلاسفة، إحياء علوم الدين، المنقذ من الضلال. انظر : غربال ، الموسوعة العربية الميسرة، ج٢، ص ١٢٥٤-١٢٥٥.

[4]- لمحات من حياتي ، ج٤، ص ١٠٢ .

يقول عنها الكيلاني :"لقد استطاعت زوجتي فور الزواج أن تدرك بذكائها وشفافيتها مسؤوليتها الكبيرة نحو البيت ونحو الأولاد الذين بدأ قدومهم منذ العام الأول للزواج، ونحوي باعتبار انشغالاتي الكثيرة كطبيب وكأديب، فاستطاعت أن توفر لي الجو المناسب دون أدنى تكاسل أو مضايقات حتى في أيام الحمل والولادة"[1].

أولاده :

١. **حسام الدين** : الابن البكر ولد في العام الأول من الزواج، تخرج من كلية العلوم قسم الفيزياء والرياضيات.

٢. **عزة** : ولدت في العام الثاني من الزواج، طبيبة النساء والولادة.

٣. **جلال الدين** : ولد في العام الرابع، ويقول عنه الكيلاني :"صاحب الخلق القويم، والصدق والإخلاص." طبيب متخصص في أمراض القلب.

٤. **محمود** : وهو آخرهم، ولد في دبي، حامل ليسانس الحقوق.[2]

دراسته :

المرحلة الابتدائية :

التحق نجيب الكيلاني بمكتب القرية وهو في الرابعة من عمره، ثم عندما أصبح في السابعة التحق بالمدرسة الأولية ثم بمدرسة الأمريكان التي كانت

---

[1]- لمحات من حياتي ، ج٤ ، ص ١٠٣ .

[2]- المصدر نفسه ، ج٤، ص ١٠٢.

الوحيدة آنذاك التي تدرس بالإنكليزية، وهي تقع في سنباط[1]، ليحصل على شهادة إتمام الدراسة الإبتدائية[2]، وكان ترتيبه الخامس على جميع طلبة منطقة وسط الدلتا[3].

المرحلة الثانوية :

بدأ نجيب الكيلاني الدراسة الثانوية في مدرسة "كشك الثانوية" في مدينة زفتي[4]، التي كانت أقرب مدرسة لبلدته[5]، وقضى فيها شهرين فقط[6]، ثم انتقل إلى مدرسة الزراعة في طنطا[7]، لينجح فيها بتفوق[8].

ثقافة الكيلاني في المرحلة الثانوية :

كانت الكتابات الأدبية للمشهورين من الكتّاب آنذاك هي معظم ما اهتم الكيلاني بقراءتها ودراستها، ومن هؤلاء : المنفلوطـــي[9]

---

[1]- سنباط : بليد حسن في جزيرة قوسينا من نواحي مصر. انظر: الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان، خمسة أجزاء، د.ط، د.ت، ج٣، ص ٢٦٠.

[2]- لمحات من حياتي ، ج١، ص ٣٨-٣٩.

[3]- المصدر نفسه ، ج١، ص ١٠٥.

[4]- بلد بقرب الفسطاط من مصر. انظر : ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣،ص ١٤٤.

[5]- لمحات من حياتي، ج١، ص ١٠٦ .

[6]- المصدر نفسه ، ص ١١١.

[7]- المصدر نفسه ، ص ١١٤ .

[8]- المصدر نفسه ، ج٢، ص ١١ .

[9]- مصطفى المنفلوطي : ١٨٧٢-١٩٢٤م، نابغة في الإنشاء والأدب، تعلم بالأزهر واتصل بالشيخ محمد عبده، له مقالات أسبوعية تحت عنوان النظرات في جريدة المؤيد، ولي أعمالاً كتابية في وزارة المعارف، ووزارة الحقانية وسكرتارية الجمعية التشريعية=

والرافــعي[1]، وشوقـــي[2]، وحافــظ[3]، وطـــه حسيـــن[4]،

=وأخيراً في سكرتارية مجلس النواب إلى أن توفي، له : النظرات، والعبرات، ومختارات المنفلوطي، وقد ترجم عن الفرنسية : مجدولين. انظر : الزركلي، خير الدين، الأعلام، (دار العلم للملايين : بيروت ، ١٩٨٩م) د.ط، ج٧، ص ٢٣٩-٢٤٠.

[1]- مصطفى صادق الرافعي : ١٨٨١-١٩٣٧م، عالم بالأدب، شاعر، من كبار الكتاب، أصله من طرابلس الشام، أصيب بصمم فكان يُكتب له ما يُراد مخاطبته به، له : ديوان شعر، تاريخ آداب العرب، تحت راية القرآن، وحي القلم، ديوان النظرات. انظر : المصدر نفسه، ج٧، ص ٢٣٥.

[2]- أحمد شوقي : ١٨٦٨-١٩٣٢م، أشهر شعراء العصر الأخير، يلقب بأمير الشعراء، مولده ووفاته بالقاهرة، نشأ في ظل البيت المالك بمصر، ثم أرسله الخديوي إلى فرنسا فتابع دراسة الحقوق واطلع على الأدب الفرنسي، عالج أكثر فنون الشعر : مديحاً وغزلاً ورثاءً ووصفاً، وهو أول من جود القصص الشعري التمثيلي بالعربية، له : الشوقيات، ومصرع كليوبتره، ومجنون ليلى، وعلي بك الكبير. انظر: المصدر نفسه،ج١،ص ١٣٦.

[3]- محمد حافظ إبراهيم : ١٨٧١-١٩٣٢م، شاعر مصر القومي ومدون أحداثها نيفاً وربع قرن، نشأ يتيماً، عمل محامياً، ثم التحق بالمدرسة الحربية وتخرج برتبة ملازم ثانٍ، أقام مدة في السودان، ألف مع بعض الضباط المصريين جمعية سرية وطنية، اكتشفها الإنجليز فحاكموا أعضاءها ومنهم حافظ، فأحيل إلى الاستيداع، فلجأ إلى الشيخ محمد عبده وكان يرعاه، فأعيد إلى الخدمة في البوليس، ثم أحيل إلى المعاش، فاشتغل محرراً في جريدة الأهرام، ولقب بشاعر النيل، كان شاعر الوطنية والاجتماع والمناسبات الخطيرة، وانقطع للنظم والتأليف زمناً، عين رئيساً للقسم الأدبي في دار الكتب المصرية فاستمر إلى قبيل وفاته، له : ديوان حافظ، وليالي سطيح، وكتيب في الاقتصاد. انظر : المصدر نفسه، ج ٦، ص ٧٦ .

[4]- طه حسين : ١٨٨٩-١٩٧٣م، دكتور في الأدب، من كبار المحاضرين، أحدث ضجة في عالم الأدب العربي، كان كفيف البصر، بدأ حياته في الأزهر، ثم بالجامعة المصرية، سافر في بعثة إلى باريس فتخرج بالسوربون وعاد إلى مصر، فاتصل بالصحافة ثم=

ومحمود تيمور[1]، وفريد أبو حديـد[2]، وسعـيد العريان[3]، ومحمد عوض محمد[4]،

=أصبح عميد كلية الآداب بجامعة القاهرة ثم وزيراً للمعارف، وتمكن من جعل التعليم الثانوي والفني مجاناً، وكان من أعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق، ثم رئيساً لمجمع اللغة بمصر، له : الأدب الجاهلي، وفي الشعر الجاهلي، والأيام، وعلى هامش السيرة. انظر : الزركلي ، الأعلام ، ج٣، ص ٢٣١ .

[1]- محمود تيمور : ١٨٩٤-١٩٧٣م، كاتب قصصي نابغة، مصري، درس الأدبين الفرنسي والروسي، بدأ كتابة القصة بالعامية، وتقدم في لغته حتى كان من حملة لواء الفصحى، ومن أعضاء مجمع اللغة العربي، له : قال الراوي، ونداء المجهول، وصقر قريش، ومشكلات اللغة العربية، وتُرجم كثير من كتبه للفرنسية والإنجليزية والألمانية والإيطالية والروسية والصينية والإسبانية. انظر : المصدر نفسه، ج٧، ص ١٦٥ .

[2]- محمد فريد أبو حديد : أديب، مدرس مصري، من أعضاء المجمع اللغوي بالقاهرة، اشتغل في التعليم بمصر وليبيا والمغرب، وعين مديراً للمطبوعات، فوكيلاً لدار الكتب، وعميداً لمعهد التربية، فمستشاراً فنياً بوزارة التربية والتعليم، كان من دعاة إطلاق النظم من قيود القوافي، له نحو ٣٠ كتاباً أكثرها قصص، منها : صحائف من حياة، وسيرة عمر مكرم، والملك الضليل، وأزهار الشوك، وسهراب ورستم. انظر : المصدر نفسه، ج ٦، ص ٣٢٩ .

[3]- محمد سعيد العُريان : ١٩٠٥-١٩٦٤م، أديب من كبار الكتاب في مصر، تخرج بدار العلوم في القاهرة، وتنقل في التدريس، وتقدم في الأعمال الإدارية بوزارة المعارف وشارك في تحرير كثير من المجلات الأدبية وصنف كتباً مطبوعة، منها : قطر الندى، وعلى باب زويلة، وشجرة الدر، وقصة الكفاح بين العرب والاستعمار، عمل في تحقيق بضعة كتب من التراث. انظر : المصدر نفسه ، ج ٦، ص ١٤٤-١٤٥.

[4]- محمد عوض محمد : عالم جغرافي مصري، حاز الدكتوراه من جامعة لندن، من أعضاء مجمع اللغة في القاهرة، عمل في التعليم وتنقل في الإدارة، فكان مديراً لمعهد الدراسات السودانية، فمديراً لجامعة الاسكندرية، فوزيراً للمعارف، فأستاذاً في كلية الآداب بجامعة القاهرة، فمستشاراً في هيئة الأونيسكو، له : سكان هذا الكوكب، ونهر=

وزكي مبارك[1]، وأحمد حسن الزيات[2]، وكان يقرأ مجلدات مجلة "الرسالة"[3]، و"الهلال"[4]، و"أبولو"[5]، وروايات الجيب، والقصص المترجم خاصة من الأدب الفرنسي والإنجليزي والروسي.

=النيل، وترجم عن الألمانية هرمن ودروتيه لجوته وفاوست. انظر : الزركلي ، الأعلام، ج٦، ص ٣٢٠.

[1]- زكي مبارك : ١٨٩١-١٩٥٢م، أديب من كبار الكتاب المعاصرين، تعلم في الأزهر، أحرز لقب "دكتور" في الآداب من الجامعة المصرية، اطلع على الأدب الفرنسي في فرنسا، اشتغل بالتدريس بمصر وانتدب للعمل مدرساً في بغداد وعاد إلى مصر فعين مفتشاً بوزارة المعارف، له : النثر الفني في القرن الرابع، والبدائع، والموازنة بين الشعراء، والتصوف الإسلامي. انظر : المصدر نفسه ، ج٣، ص ٤٧-٤٨ .

[2]- أحمد حسن الزيات : ١٨٨٥-١٩٦٨م، صاحب مجلة "الرسالة" أديب من كبار الكتاب، انتخب عضواً في مجمع اللغة العربية بالقاهرة، وعين في المجلس الأعلى للآداب والفنون، نال جائزة الدولة التقديرية سنة ١٩٦٢م، له : تاريخ الأدب العربي، ووحي الرسالة، وترجم عن الفرنسية: آلام فرتر لجوته، وروفائيل للامارتين. انظر: المصدر نفسه، ج١، ص ١١٣-١١٤.

[3]- الرسالة : مجلة أدبية أسبوعية، أنشأها بالقاهرة أحمد حسن الزيات عام ١٩٣٣م، وكانت مجالاً لحملة الأقلام في العالم العربي، احتجبت عام ١٩٥٣، ثم عادت إلى الظهور يوليو ١٩٦٣م. انظر : غربال ، الموسوعة العربية الميسرة، ج١، ص ٨٦٦.

[4]- الهلال : مجلة شهرية علمية أدبية جامعة، أصدرها عام ١٨٩٢م جورجي زيدان بالقاهرة، وظل يحررها إلى وفاته عام ١٩١٤، فتولاها من بعده نجلاه أمين وشكري زيدان، وتوسعا في أعمال النشر فصارت "دار الهلال" من أكبر دور النشر في العالم العربي وما زالت إلى الآن. انظر : المصدر نفسه، ج٢، ص ١٨٩٩.

[5]- أبولو : مجلة عربية شهرية للشعر، أصدرتها جماعة أبولو، برئاسة أحمد زكي أبو شادي، لعبت دوراً كبيراً في تطوير بالشعر العربي، وتخريج صفوة من الشعراء المعاصرين. انظر : غربال ، الموسوعة العربية الميسرة ، ج١، ص ٤٤١ .

يقول الكيلاني :"لقد استطعت في المرحلة الثانوية (وكانت خمس سنوات آنذاك) أن أدرس بالتفصيل دواوين الشاعر علي الجارم[1]، كما درست دووابن شوقي ومسرحياته، وديوان حافظ، وإسماعيل باشا صبري[2]، والبارودي[3]، والمتنبي[4].

---

[1]- علي الجارم : ١٨٨١-١٩٤٩م، أديب مصري، من رجال التعليم، له شعر ونظم كثير، تعلم بالقاهرة وانجلترا، وجُعل كبيراً لمفتشي اللغة العربية بمصر، فوكيلاً لدار العلوم، ومثل مصر في بعض المؤتمرات العالمية والثقافية، وكان من أعضاء المجمع اللغوي، له : ديوان الجارم، وفارس بني حمدان، والذين قتلتهم أشعارهم، وترجم عن الإنجليزية "قصة العرب في إسبانيا" وهو لستانلي لين بول، وشارك في تأليف كتب أدبية منها : المجمل، والمفصل، وكتب مدرسية في النحو والتربية. انظر: الجبوري، كامل سلمان، معجم الشعراء من العصر الجاهلي حتى سنة ٢٠٠٢م،(دار الكتب العلمية : بيروت،٢٠٠٣م)ط١،ج٣، ص٤٤٠-٤٤١. وانظر : الزركلي ، الأعلام، ج٤، ص ٢٩٤.

[2]- إسماعيل صبري : ١٨٥٤-١٩٢٣م، من شعراء الطبقة الأولى في عصره، وهو من شيوخ الإدارة والقضاء في الديار المصرية، تعلم بالقاهرة، ودرس الحقوق بفرنسا، عين نائباً عمومياً، فمحافظاً للاسكندرية فوكيلاً لنظارة "الحقانية" وكان كثير التواضع شديد الحياء، بارع النكتة سريع الخاطر، وأبى أن يكون رئيساً لوزارة كرومر، وقال :"لن أكون رئيساً للوزارة وأخسر ضميري"، له ديوان مطبوع . انظر: الزركلي ، الأعلام، ج١، ص ٣١٥ .

[3]- محمود سامي البارودي : ١٨٣٩-١٩٠٤م، أول ناهض للشعر العربي من كبوته في عصرنا، جركسي الأصل، أتقن الفارسية والتركية، لما حدثت الثورة العُرابية كان في صفوف الثائرين ودخل الإنجليز مصر فقُبض عليه وسُجن وحُكم بإعدامه ثم أُبدل الحكم بالنفي إلى جزيرة سيلان حيث عاش ١٧ عاماً، ترجم من الإنجليزية، وله : ديوان شعر، ومختارات البارودي. انظر : المصدر نفسه ، ج٧، ص١٧١.

[4]- أحمد بن الحسين ، أبو الطيب المتنبي : الشاعر الحكيم، وأحد مفاخر الأدب العربي، له الأمثال السائرة والحكم البالغة والمعاني المبتكرة، وفي علماء الأدب من يعده أشعر الإسلاميين، نال الشعر صبياً، تنبأ في بادية السماوة، ثم سجن حتى تاب، وفد على سيف=

وكنت أجد متعة كبيرة في قراءة مسرحيات الحكيم[1،2]. وقرأ لعلي أحمد باكثير[3]،

=الدولة الحمداني فمدحه وحظي عنده، ثم كافور الإخشيدي في مصر، ثم مات مقتولاً، له ديوان شعر مطبوع، وله شروحات وافية. انظر: الزركلي ، الأعلام ، ج١، ص١١٥.

[1]- الحكيم هو : حسين توفيق إسماعيل أحمد الحكيم: ١٨٩٨-١٩٨٧م، الكاتب المسرحي الكبير، رائد المسرحية العربية، التحق بكلية الحقوق ثم سافر إلى أوروبا ليحصل على الماجستير فالدكتوراه، لكنه أهمل الدراسة واتجه إلى الفن – خاصة المسرح – وعاد إلى مصر وعمل بالنيابة المختلطة بالاسكندرية، ثم انتقل إلى القضاء الأهلي، وسجل انطباعاته في تلك الفترة في "يوميات نائب في الأرياف" وترك النيابة ثم عمل مديراً في إدارة التحقيقات في وزارة المعارف، ثم مديراً للإرشاد الاجتماعي بوزارة الشؤون الاجتماعية ثم اشتغل بالصحافة، وعمل مديراً عاماً لدار الكتب، ثم عضواً متفرغاً بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، وفي ٨٢ تم انتخابه رئيساً لاتحاد كتاب مصر. له: عودة الروح، حمار الحكيم، مصر بين عهدين . انظر : محمد خير رمضان يوسف، تتمة الأعلام للزركلي، (دار حزم : بيروت، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م) ط.١ ، ج١، ص ٩٥-٩٧.

[2]- الكيلاني، رحلتي مع الأدب الإسلامي، (مؤسسة الرسالة : بيروت، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م) ط.١، ص١٠-١١.

[3]- علي أحمد باكثير : ١٩١٠-١٩٦٩، شاعر قصصي حضرمي، ولد بأندونيسيا من أبوين عربيين، وأرسل صغيراً إلى حضرموت لينشأ في وطن آبائه، انتقل إلى مصر فدخل كلية الآداب قسم اللغة الإنجليزية، ونال الليسانس ثم معهد التربية للمعلمين، وعمل في التدريس ١٤عاماً، وعين في قسم الرقابة على المصنفات الفنية في وزارة الثقافة بمصر، وهو عضو في لجنة الشعر بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب في مصر، شاعر رقيق الألفاظ، نبغ في كتابة القصة ولا سيما المسرحيات الشعرية، له : قصر الهودج، إله إسرائيل، عودة الفردوس، فن المسرحية من خلال تجاربي الشخصية. انظر: الجبوري، معجم الشعراء، ج٣، ص ٣٩٩-٤٠٠. والزركلي، الأعلام، ج٤، ص ٢٦٢-٢٦٣.

وصالـــح عشماوي[1]، ومحمـــــد الغزالي[2]، والسّـــمان[3]، وللشيخ حسن البنا[4].

---

[1]- صالح عشماوي : توفي ١٩٨٤م، من الرعيل الأول لجماعة الإخوان المسلمين، رافق الشيخ حسن البنا في جهاده وحركته لتأسيس أكبر الحركات الإسلامية التي شهدها التاريخ الإسلامي الحديث، ترأس تحرير مجلة الدعوة منذ تأسيسها حتى أوقفت في عام ١٩٥٤م. انظر : رمضان يوسف، تتمة الأعلام للزركلي، ج١، ص ٢٣٨ .

[2]- محمد الغزالي : ١٩١٧-١٩٩٦م، باحث من كبار الدعاة ومفكري الإسلام، ولد بمصر وتخرج بكلية أصول الدين بالأزهر، حصل على درجة التخصص في الدعوة والإرشاد من كلية اللغة العربية فيه، انضم إلى جماعة الإخوان المسلمين، واعتقل وعمل سكرتيراً لمجلتهم "الدعوة"، وتتلمذ للشيخ حسن البنا الذي أطلق عليه لقب "أديب الدعوة" وفي أواخر الستينيات ترك الجماعة، عمل بالوظائف الدينية والخطابة والتدريس في الأزهر وجامعة أم القرى، وشارك في تطوير كلية الشريعة في قطر، وفي إنشاء جامعة الأمير عبد القادر الإسلامية بالجزائر، وترأس المجلس العلمي للمعهد العالمي للفكر الإسلامي بالقاهرة؛ منح جائزة الملك فيصل العالمية في خدمة الإسلام، وأعلى وسام من جمهورية الجزائر، له : عقيدة المسلم، فقه السيرة، قذائف الحق، هذا ديننا، الغزو الثقافي يمتد في فراغنا. انظر : د. نزار أباظة ومحمد رياض المالح، إتمام الأعلام (ذيل لكتاب الأعلام لخير الدين الزركلي)، (دار الفكر: دمشق، ودار صادر: بيروت، ٢٠٠٣م)، ط.٢ ، ص ٣٩٥-٣٩٦.

[3]- وجيه بن لطفي السمان : ١٩١٣-١٩٩٢م، مهندس من علماء العربية، ولد بدمشق، انتخب عضواً في المجلس الأعلى للعلوم، أدار مجلة "رسالة العلوم" وترأس اللجنة السورية التي عُنيت بتصحيح قسم كبير من المعجم الهندسي، ساهم في تعريب المصطلحات العلمية، وشارك في وضع طائفة من المعجمات. انظر : أباظة والمالح، إتمام الأعلام ، ص ٤٧٣ .

[4]- حسن البنا: ١٩٠٦-١٩٤٩م، مؤسس جمعية "الإخوان المسلمين" بمصر، تخرج بمدرسة دار العلوم بالقاهرة، واشتغل بالتعليم، لقب بالمرشد العام، أصبح له في كل بلد سعى إليه دار، لم يقتصر على دعوة الرجال فأنشأ معهد "أمهات المسلمين" لتربية البنات=

المرحلة الجامعية :

كان تفوق الكيلاني في المدرسة الثانوية يؤهله للالتحاق بكلية الطب في جامعة فؤاد الأول[1]، عام ١٩٥١م[2]. وقد عاش في المدينة الجامعية التابعة لتلك الجامعة، وكانت الحياة فيها حياة مريحة مرفهة، تختلف تماماً عما كان يعانيه في المرحلة الابتدائية والثانوية[3].

وكانت المدينة الجامعية مأوى للعديد من التيارات السياسية والفكرية، فقد كان فيها الإخوان المسلمون[4]، والوفديون[5]،

=تربية دينية صالحة، أنشأ جريدة "الإخوان المسلمين" اليومية، تصدى له ثلاثة أشخاص ليلاً فأطلقوا عليه رصاصهم وفروا، ولم يجد البنا من يضمد جراحه فتوفي بعد ساعتين، كان خطيباً فياضاً ينحو منحى الوعظ والإرشاد في خطبه، وتدور آيات القرآن الكريم على لسانه، منظماً، يعمل في هدوء ويبني في اطمئنان، له مذكرات نشرت بعد وفاته باسم "مذكرات الدعوة والداعية". انظر : الزركلي ، الأعلام ، ج٢، ص ١٨٣-١٨٤.

[1]- لمحات من حياتي ، ج٢، ص ١١.

[2]- رحلتي مع الأدب الإسلامي ، ص ٢٠ .

[3]- لمحات من حياتي ، ج٢، ص ١١-١٢.

[4]- حركة الإخوان المسلمين : كبرى الحركات الإسلامية المعاصرة، تنادي بالرجوع إلى الإسلام كما هو في الكتاب والسنة، وتدعو إلى تطبيق الشريعة الإسلامية في واقع الحياة، وقد وقفت متصدية لسياسة فصل الدين عن الدولة ومنابذة موجة المد العلماني في المنطقة العربية والعالم الإسلامي، مؤسسها حسن البنا. انظر : الجهني، د. مانع بن حماد، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، (الناشر : دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع: الرياض، ١٤١٨هـ)، ط.٣، ج١، ص ٢٠٢ وما بعدها.

[5]- حزب الوفد : حزب سياسي شعبي ليس له توجه ديني معين، تشكل في مصر سنة ١٩١٨م، وكان حزب الأغلبية قبل ثورة ٢٣ يوليو المصرية، يعد الآن من أكبر أحزاب=

والشيوعيون[1]، وكان فيها تنظيمات مسيحية، وفيها طلبة لا ينتمون لأية فئة، وفيها العاشقون للفن والتمثيل والشعر[2].

ومع أن المدينة الجامعية كانت مركزاً لصراعات الرأي والفكر فيما يحتدم فيها من تيارات سياسية وفلسفية متناقضة، إلا أن الكيلاني مع اندماجه الشديد في العمل السياسي – يخبر عن نفسه – بأنه مع ذلك كان شديد الحرص على متابعة دراسته بانتظام، ولم يكن غريباً أن ينجح كل عام بتفوق أيضاً[3].

تخرج الكيلاني طبيباً :

تخرج الكيلاني من كلية الطب عام ١٩٦٠م[4]، وعمل طبيب امتياز بمستشفى أم المصريين سنة ١٩٦٢م[5]، ثم انتقل للعمل في قريته شرشابة

-المعارضة في مصر، مؤسسه سعد زغلول. انظر : الجهني ، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ، ج١، ص ٤٥٤ وما بعدها.

[1]- الشيوعية : مذهب فكري يقوم على الإلحاد وأن المادة هي أساس كل شيء ويفسر التاريخ بصراع الطبقات وبالعامل الاقتصادي، ظهرت في ألمانيا على يد ماركس وإنجلز، وتجسدت في الثورة البلشفية في روسيا سنة ١٩١٧م، بتخطيط من اليهود، وتوسعت على حساب غيرها بالحديد والنار، أصبحت الشيوعية الآن في ذمة التاريخ، بعد أن تخلى عنها الاتحاد السوفياتي، وتخلت كلها عن الماركسية، واعتبرتها نظرية غير قابلة للتطبيق. انظر : المصدر نفسه ، ج٢، ص ٩٢٩ وما بعدها.

[2]- لمحات من حياتي، ج٢، ص ٢٠ .

[3]- المصدر نفسه ، ص ج٢، ص ٣١-٣٢ .

[4]- موقع باب الالكتروني على الانترنت ، قسم أعلامنا ، بتاريخ ١٨/٦/ ٢٠٠٦م.
www.bab.com

[5]- لمحات من حياتي ، ج٤، ص ١٠٣.

كطبيب متفرغ[1]، لينتقل بعد ذلك للقسم الطبي بهيئة السكك الحديدية بالقاهرة[2]، ثم استقر في القسم الطبي للسكة الحديد بالمدينة السكنية بأبي زعبل[3].

حياة نجيب الكيلاني السياسية :

من الممكن تقسيم حياة نجيب الكيلاني السياسية لقسمين، الأول : التحاقه بجماعة الإخوان المسلمين وتأثيرها القوي عليه. والثاني : دخوله السجن وما ذاقه من ويلات وتعذيب فيه وأثره عليه. ونبدأ بالتحاقه بجماعة الإخوان المسلمين.

انضمام الكيلاني إلى حركة الإخوان المسلمين :

في فترة الأربعينيات تعرّف نجيب الكيلاني على الإخوان المسلمين وجريدتهم ومطبوعاتهم، فقرأ كتاباتهم وتعرف على مبادئهم وما يدعون الناس إليه، وقد كان تعرفه عليهم ومشاركته لهم في نشاطاتهم وحفلاتهم سبباً كبيراً في محاولة تعمقه لفهم روح الإسلام ولبه.

ولقد بدأت علاقته بهم في فترة بداية دراسته الثانوية (الأربعينيات) وذلك بحضوره حفلاً لهم بمناسبة الهجرة النبوية[4] في ميت غمر[5].

---

[1]- لمحات من حياتي ، ج٤، ص ١٠٦ .

[2]- المصدر نفسه ، ج٤، ص ١٥٧.

[3]- المصدر نفسه ، ج٤، ص ١٥٨ .

[4]- المصدر نفسه ، ج١، ص ١٠٩.

[5]- ميت غمر : مدينة صغيرة على الجانب الشرقي من نهر النيل مقابل مدينة زفتي. انظر : أطلس العالم، ص ٥٤ . وذكر الكيلاني أن هناك حريقاً شب فيها التهمها عن=

وكان الإخوان يضعون برنامجاً حافلاً للمحاضرات المختلفة التي تضم الفكر والأدب والتاريخ والسياسة والاقتصاد والتوعية الصحية، وكانوا يربطون بين هذه الموضوعات كلها برباط الإسلام .. كما كانوا يقيمون مهرجانات للشعر والمسرح الإسلامي والألعاب الرياضية، كما كانوا يضعون بعض الكتب والمجلات والنشرات تحت تصرف الرواد[1].

ويقول الكيلاني :"كنت أغشى مجتمعات الإخوان، وأنهل من ثقافتهم وعلمهم، وأتعلم الكثير منهم على الرغم من عدم انضمامي رسمياً لهم"[2].(أي وقتئذٍ).

والذي لفت انتباهه في الإخوان المسلمين كما قال :"ثلاثة أمور، هي :

١. أنهم لا يهتفون بحياة زعيم أو حزب.
٢. لهم نقد جديد للسياسيين مختلف عما كان يقرأ ويسمعه من غيرهم.
٣. الشوق والمحبة والسعادة بينهم، والإشراق والإيمان على وجوههم"[3].

انضم الكيلاني إلى الإخوان المسلمين إبان الصدام الدامـــي بينهـــم وبين حزب السعديـــيـــن[4]والقصـــر الملكـــي

=آخرها، فقامت جهود شعبية وحكومية كبيرة لإعادة بنائها. انظر : لمحات من حياتي ، ج١، ص ١٠٩.

[1]- لمحات من حياتي ، ج١، ص ١٢٢-١٢٣.

[2]- المصدر نفسه ، ج١، ص ١٢٣ .

[3]- المصدر نفسه ، ج١، ص ١١٠ .

[4]- حزب السعديين : حزب أنشأه أحمد ماهر مع محمود فهمي النقراشي سنة ١٩٣٧م، وكان رئيسه أحمد ماهر، ثم رأسه النقراشي بعد مصرع أحمد ماهر سنة ١٩٤٥م. انظر : الزركلي ، الأعلام ، ج٧، ص ١٨٠.

قبيل مصرع النقراشي باشا[1] زعيم الحزب السعدي، وذلك في عام ١٩٥٠م[2].

وهكذا فقد التحق بالجامعة أيضاً وانشغل بالعمل الإخواني ودراسة الطب[3]. ويقول الكيلاني عن هذه الفترة :"يمكن القول بأن طبيعة هذه الفترة متميزة بالعمل والجهاد ..."[4].

وقد كان تعرف الكيلاني على الإخوان ومن ثم انضمامه إليهم وكونه عضواً في جماعتهم سبباً في اعتقاله لفترة من الزمن وانقطاعه عن دراسته الجامعية، ليعود بعد خروجه من المعتقل ثانية لإكمال دراسته.

---

[1]- محمود فهمي النقراشي : ١٨٨٨-١٩٤٨م، سياسي مصري، تعلم بجامعة نوتنجهام بانكلترا، وعاد إلى مصر عام ١٩٠٩ يحمل شهادة مدرس واشتغل بالتدريس وترقى إلى أن كان مديراً للتعليم في أسيوط، واستقال فانضم إلى الوفد المصري ثم انشق عن الوفد مع أحمد ماهر، وأسس معه حزب السعديين، ورأس هذا الحزب سنة ١٩٤٥ وعين رئيساً لمجلس الوزراء سنة ١٩٤٥-١٩٤٦، واستقال وعاد في السنة نفسها، وعمل على تقوية جمعية الإخوان المسلمين لمقاومة الوفديين فاتسع نطاق الجمعية وخيف انقلابها على السلطات المصرية، فأمر بحلها، فتصدى له أحد شبابها - وهو طالب في كلية الطب البيطري، اسمه عبد المجيد أحمد حسن - فقتله بثلاث رصاصات أمام مصعد وزارة الداخلية. انظر : الزركلي ، الأعلام ، ج٧، ص ١٨٠-١٨١.

[2]- لمحات من حياتي ، ج٢، ص ٢٢٨ .

[3]- رحلتي مع الأدب الإسلامي ، ص ١٨ .

[4]- المصدر نفسه ، ص ٢١ .

الكيلاني والسجن :

بدأت معاناة نجيب الكيلاني مع السجون في ظل حكم عبد الناصر[1] عندما كان الكيلاني في السنة الرابعة في كلية الطب[2]، وكان بداية ذلك في ١٨ أغسطس من عام ١٩٥٥م، فقد أُخذ مع من أُخذ من شباب الإخوان ورجالاتهم بتهمة معاداة الثورة[3] والإضرار بها[4].

السجون التي اعتُقل بها الكيلاني :

١. السجن الحربي، وكان أول سجن ينزل فيه الكيلاني.

---

[1]- جمال عبد الناصر: ١٩١٨- ١٩٦٩م ، التحق بالكلية الحربية، وشارك في حرب فلسطين ١٩٤٨ ونظم جماعة الضباط الأحرار الذين قاموا بثورة يوليو، وفي ١٩٥٣ تقلد منصب نائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية، وفي ١٩٥٤ عين رئيساً للوزارة، أصدر كتاب فلسفة الثورة، وأصدر قرارات اشتراكية واسعة النطاق، فأمم المؤسسات الكبيرة، وتحللت مصر من كل اتفاقاتها السابقة مع انجلترا وفرنسا، كما حدد ملكية الأسهم ونال الفلاحون والعمال مزايا ثورية، أعلن نظام الاتحاد الاشتراكي العربي عام ١٩٦٢. انظر : غربال ، الموسوعة العربية الميسرة، ج١، ص ٦٤١.

[2]- لمحات من حياتي ، ج٢، ص ١٨٩ .

[3]- ثورة يوليو : ٢٣ يوليو ١٩٥٢م أو ثورة التحرير، حركة سلمية دبرها لفيف من ضباط الجيش المصري وطالبوا الملك فاروق بالتنازل عن العرش ، وأصدر مجلس قيادة الثورة بياناً بإعلان الجمهورية وإلغاء النظام الملكي في مصر، من أهم الإصدارات : إلغاء الرتب المدنية، تطهير الأداة الحكومية، قانون الإصلاح الزراعي، إلغاء دستور ١٩٣٢، إلغاء الأحزاب السياسية، ويتكون مجلس قيادة الثورة من : محمد نجيب ، جمال عبد الناصر، أنور السادات، حسن إبراهيم، حسين الشافعي، جمال سالم، زكريا محيي الدين، صلاح سالم، عبد الحكيم عامر، عبد اللطيف البغدادي، خالد محيي الدين. انظر: غربال ، الموسوعة العربية المسيرة، ج١، ص ٥٨٧.

[4]- انظر : لمحات من حياتي ، ج٣، ص ٥٦ .

٢. سجن قُره مَيْدَان، وقد تم ترحيله إليه في أواخر شهر أكتوبر من نفس العام.
٣. سجن أسيوط[1]، ففي أواخر عام ١٩٥٥ رُحّل إلى هذا السجن بالوجه القبلي من مصر عاصمة الصعيد[2].
٤. سجن القناطر الخيرية، وقد رُحّل إليه في عام ١٩٥٧[3].
٥. سجن القاهرة[4]، دخله عام ١٩٥٨[5]، وبقي فيه إلى أن أُفرج عنه في آخر شهر نوفمبر من هذه السنة[6].

ثم صدر القرار الجمهوري باعتقال كل من سبق اعتقاله والمشتبه في أمره من عام ١٩٥٥م، فاعتقل الكيلاني ثانية في ٦ سبتمبر عام ١٩٦٥م[7]. وقد أفرج عنه في أواخر نوفمبر عام ١٩٦٦م[8].

---

[1]- أسيوط : محافظة بالصعيد بين محافظتي المنيا وجرجا، عاصمتها أسيوط، أكبر محافظات الوجه القبلي مساحة، وأكثرها سكاناً، تقوم فيها الصناعات الصوفية والعاجية وبها جامعة افتتحت عام ١٩٥٧، مسقط رأس أفلوطين الفيلسوف، والعلامة جلال الدين السيوطي. انظر : غربال ، الموسوعة العربية الميسرة، ج١، ص ١٦٤.

[2]- لمحات من حياتي ، ج٣، ص ٥٦ .

[3]- المصدر نفسه ، ج٣، ص ٢٠٨ .

[4]- سجن القاهرة : هو نفسه سجن مصر المسمى بقره ميدان . انظر : لمحات من حياتي ، ج٣، ص ٢٤٢.

[5]- انظر : المصدر نفسه ، ج٣، ص ٢٢٤و ٢٢٦.

[6]- المصدر نفسه ، ج٣، ص ٢٧٨ .

[7]- المصدر نفسه ، ج٤، ص ٢٦٠ و٢٦٢.

[8]- المصدر نفسه ، ج٥، ص ١٦٣.

انتقال الكيلاني للعمل في إمارة دبي :

وفي ٣١ مارس [1]عام ١٩٦٨م ذهب الكيلاني للعمل طبيباً في دبي في الإمارات العربية المتحدة[2]. وتقلب هناك في مناصب إدارية مختلفة كان آخرها عمله مديراً للثقافة الصحية بوزارة الصحة بالإمارات[3]، ثم عضواً في اللجان الفنية للأمانة الصحية لدول الخليج، وقد حضر عدة مؤتمرات لوزراء الصحة العرب[4]. ولما أحيل إلى المعاش سنة ١٩٩٢م عاد إلى مصر بعد غربة تجاوزت ثلاثاً وعشرين سنة.[5]

وفاته :

د. محمد موسى الشريف[6] يذكر كيف كانت وفاة الكيلاني فيقول :"أصيب د. نجيب الكيلاني بمرض خطير في آخر حياته وأُدخل المستشفى التخصصي بالرياض على حساب خادم الحرمين الشريفين الملك فهد، وامتد به المرض شهوراً طويلة قاربت السنة، ولم يكن يعلم بخطورة المرض الذي كتمه الطبيب عنه كما كتمته زوجته الصابرة، وابنه الطبيب المرافقان له.

---

[1]- لمحات من حياتي ، ج٥، ص ٢١٠.

[2]- رحلتي مع الأدب الإسلامي ، ص٢٣١، نقلاً عن مقابلة أجرتها مع الكيلاني مجلة الشهاب البيروتية، العدد التاسع، السنة الخامسة، ١٣٩١هـ/١٩٧١م.

[3]- انظر : مجلة المشكاة، المغرب، العدد ٢٣ ، السنة ٦، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، في مقالة لأبي زيد المقرئ الإدريسي بعنوان : نجيب الكيلاني : سيرته بقلمه. ص ١١.

[4]- العريني ، الاتجاه الإسلامي في أعمال نجيب الكيلاني القصصية، ص ١٤ .

[5]- مجلة المشكاة، العدد ٢٣ ، مقالة لأبي زيد المقرئ الإدريسي بعنوان : نجيب الكيلاني سيرته بقلمه. ص ١١.

[6]- د. محمد موسى الشريف : داعية إسلامي سعودي معروف ، له موقع على الانترنت اسمه : الرسالة .www.alresalah.com

وقضى أواخر أيامه صابراً محتسباً يصارع المرض، حتى وافاه الأجل في الخامس من شهر شوال ١٤١٥هـ، حيث توفي ودفن بمصر في مارس سنة ١٩٩٥م[1]، رحم الله أديبنا الراحل نجيب الكيلاني رحمة واسعة وغفر لنا وله ولجميع المسلمين"[2].

---

[1]- انظر : مجلة المشكاة، العدد ٢٣ ، مقالة لأبي زيد المقرئ الإدريسي بعنوان : نجيب الكيلاني سيرته بقلمه. ص ١١.

[2]- موقع الرسالة الإلكتروني على الانترنت ، بإشراف : د. محمد موسى الشريف ، ركن الأدب، شخصيات أدبية، د. نجيب الكيلاني ، بتاريخ : ١٤/٣/ ٢٠٠٥م.
www.alresalah.com

الفصل الثاني : د. نجيب الكيلاني أديباً إسلامياً

يقسّم الكيلاني مسيرته مع الأدب الإسلامي إلى ثلاث مراحل، يحددها ويوضحها ليؤكد على ضرورة ما كان يطالب به مراراً من أنه من الواجب عند القيام بدراسة أدب ما، مراعاة موضوع التدرج في الإبداع عند الأديب[1] وأهمية الأخذ بعين الاعتبار التسلسل التاريخي في حياة الأديب نفسه وتدرج الأديب في أفكاره وتطبيقاته[2]، التي تنعكس بشكل تام على إنتاجه، ويرى أنه من الظلم إغفال هذا الأمر عند دراسة ونقد أعماله هو، الأمر الذي فعله بعض من النقاد الإسلاميين عند دراستهم لأدب الكيلاني نفسه[3].

مراحل مسيرة الكيلاني مع الأدب :

المرحلة الأولى : من مرحلة الدراسة الثانوية حتى بدايات المرحلة الجامعية أي تقريباً عام ١٩٥٤.

نجيب الكيلاني شاعراً :

كانت البداية مع الشعر : فقد بدأت مسيرة الكيلاني مع الشعر منذ أن كان يدرس الثانوية، وكان عمره قريباً من سبع عشرة سنة[4]، وقد كانت باكورة

---

[1]- رحلتي مع الأدب الإسلامي، ص ٢٨.

[2]- المصدر نفسه، ص ٧.

[3]- المصدر نفسه، ص ٨.

[4]- العريني، الاتجاه الإسلامي في أعمال نجيب الكيلاني القصصية، ص ٢١.

أعماله الأدبية ديوانا صغيراً من الشعر أطلق عليه اسم "نحو العلا" وكان قد تكبد المتاعب في نشره على نفقته الخاصة وفي توزيعه، ولم يكن أمامه سوى أن يطبع ايصالات كي يتقاضى جزءاً من ثمنه قبل صدوره، حتى يستطيع الوفاء بالتزامات المطبعة، وقد قدّمه في هذا الديوان أستاذ اللغة العربية في مدرسته بـــ"طنطا".

ويقول الكيلاني : "إني لأتذكر كيف عجزت عن توزيع النسخ القليلة التي طبعتها، ووضعت نفسي في مأزق شديد مع صاحب المطبعة لولا أن سخر الله لي أحد زملاء الفصل، إذ أتى إليّ وقال إن والده مأمور أحد المراكز القريبة، وأنه قد تبرّع بتوزيع مائة نسخة دفعة واحدة على عمد القرى ومشايخها وأعيانها، وتسلمت ثمن المائة نسخة دفعة واحدة والحمد لله وانتهى الإشكال."[1]

وكان هذا الديوان يحتوي على قصائد عن فلسطين، وعن "خالد بن الوليد"، ورثاء لـــ "علي محمود طه"[2]، وغير ذلك من الموضوعات الدينية والسياسية والوطنية.

---

[1]- رحلتي مع الأدب الإسلامي، ص ١٠-١١.

[2]- علي محمود طه : ١٩٠٣-١٩٤٩، شاعر مصري، كثير النظم، ولد بالمنصورة وتخرج بمدرسة الهندسة التطبيقية وخدم في الأعمال الحكومية إلى أن كان وكيلاً لدار الكتب المصرية، وتوفي بالقاهرة ودفن بالمنصورة، له دواوين شعرية طبع منها : الملاح التائه، ليالي الملاح التائه، أرواح شاردة، أرواح وأشباح، زهر وخمر، وهو صاحب "الجندول" أغنية كانت من أسباب شهرته. انظر : الزركلي، الأعلام، ج٥، ص٢١.

نجيب الكيلاني روائياً :

أما في مجال القصة ففي هذه المرحلة يقول الكيلاني :" كان يسيطر عليّ – في مجال القصة – الإعجاب بها كفن خالص شيق مثير جذاب ... ولم يكن هدفي وأنا أكتب القصة في البداية سوى أن "أقلد" أو "أحاكي"، أو بمعنى آخر أن أؤلف من الواقع البيئي أو التاريخي قصصاً مشابهة لما أقرأ من نماذج في الآداب المترجمة أو الأدب العربي. كل ما يهمني حَدَثٌ مثيرٌ، ألتقطه من الخيال أو من الواقع المُعاش، وشخصيات متميزة، وحوار معبر، وتسلسل منطقي يؤدي إلى نهاية مقنعة، لكن هذه المحاولات البدائية التي امتزجت فيها العامية بالفصحى، والشعارات السياسية بالعواطف المتأججة، لم تكن على المستوى المطلوب، ولم أكن بعد قد تحددت لي فلسفة خاصة أنطلق منها وأنا أكتب... وحتى ١٩٥٠م لم أطَّلِع على مؤلفات تُعنَى بالمذاهب الأدبية والفنية."[1]

فإذن نستطيع أن نميل إلى فكرة أن الأدب الإسلامي كمفهوم أدبي ملتزم لم تكن قد بدأت عند نجيب الكيلاني في هذه المرحلة.

هذا ... ولكن يبقى أن شعوره بالانتماء الإسلامي شعور عميق لا تصنّع فيه كما يظهر في أشعاره خاصة، وهو يؤكد ذلك فيقول :"ومع سيطرة الشعور الديني في تلك المرحلة إلا أن ذلك الشعور لم يتبلور في مواقف حركية إيجابية محددة، لكنه على أي حال كان ينعكس على سلوكياتنا وأقوالنا وكتاباتنا بصورة تلقائية لا تكلف فيها ولا افتعال."[2]

---

[1]- رحلتي مع الأدب الإسلامي، ص١٦.

[2]- المصدر نفسه، ص١٩.

وقد تنبه الكيلاني إلى أهمية الأدب الإسلامي بعامة، والقصة الإسلامية بخاصة، عندما رأى كثيراً من الشيوعيين يشجعون الناس ويدعونهم إلى قراءة قصة "الأم"[1] للكاتب الروسي "مكسيم غوركي"[2]، وعرف منهم أنهم يعكفون على تلك الرواية وأمثالها مما يخدم اتجاههم، لأنهم يدركون أن دعوة الناس عن طريق القصة، أسهل بكثير من شرح آراء "ماركس"،[3]

---

[1]- الأم : أشهر رواية تصور حالة الفقر المدقع للشعب في شخص أم عاشت مع ابنها الذي تزعّم حركة التوعية مع لفيف من أصحابه وأدركت الأم ما يقوم به هؤلاء الشبان، وتبنت فكرة البحث عن الحرية، ثم سجن ابنها فتابعت الأم رسالة ابنها فقبضت عليها الشرطة وأهانوها، وداسوها بأقدامهم، فغدت رمزاً للحرية وللثورة، واستطاع المؤلف أن يفلسف الثورة الروسية، ويصور الصراع الطبقي من وراء هذه الأم، فكأن ثورة الأم إيذان بثورة الأبناء. انظر: التونجي، د. محمد، المعجم المفصل في الأدب، (دار الكتب العلمية : بيروت ، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م) ط.٢، ج١، ص١٣٠.

[2]- مكسيم غوركي : ١٨٦٨-١٩٣٦، أشهر الكتاب الروس، عاش يتيماً فقيراً، اختير عضواً شريفاً في أكاديمية العلوم، لكنه حين تعاطف مع الاشتراكيين سُجن وقضى فيه عاماً لينشر قصته "الأم" عام ١٩٠٧، ثم تولى وزارة الفنون الجميلة، اشتهرت كتاباته بأنها سيرة لحياته، ومن ورائها صوّر الواقع الاجتماعي المؤلم المتطلع إلى الثورة، ويعتبر مؤسس الأدب الواقعي في روسيا وأستاذ الأدباء بعده في الواقعية والاشتراكية، له: حياتي في حداثتي، وبين الناس، وجامعتي. انظر : المصدر نفسه، ج٢، ص٦٧٥.

[3]- كارل ماركس : ١٨١٨-١٨٨٣م، فيلسوف الشيوعية المعاصرة، من أصل يهودي ألماني، انصرف إلى الاقتصاد والفلسفة الاجتماعية، اضطُهد بسبب نشاطه الثوري، فانتقل إلى باريس حيث التقى بفردريك إنجلز وتعاونا على إصدار الوثيقة الشيوعية الأولى المعروفة باسم "المنشور الشيوعي"، هاجر إلى إنجلترا حيث أقام بها حتى وفاته، وأسس المؤتمر الاشتراكي العالمي،كان ماركس وأفكاره وما زالا موضع اختلاف كبير ، فهناك=

و"إنجلز"[1] وغيرهما من دعاة الشيوعية. ومنذ ذلك اليوم، أفاق الكيلاني على حقيقة بالغة الأهمية، وهي ضرورة جعل الأدب في خدمة الدعوة الإسلامية.[2]

تأثر الكيلاني بفكر الإخوان وأدبهم:

لقد كان لتعرف الكيلاني على جماعة الإخوان المسلمين ومشاركته لهم في نشاطاتهم وحفلاتهم سبب كبير في محاولة تعمقه لروح الإسلام ولبه، ويظهر إعجاب الكيلاني بأدب الإخوان في قوله : "كان لأدب الإخوان طابع خاص، كما كانت لهم تجارب نقدية حول ما يُقدَّم من أدب معاصر، وكانت هذه التجارب تُنحي باللائمة على أدب الجنس والتحلل."[3]

=من يرى أنه أتى بنظرية فريدة تلقي ضوءاً قوياً على تطور النظم الاجتماعية، وخصوصاً الرأسمالية، وهناك من يرى أنه لم يكن خالصاً لوجه العلم والحقيقة، وإنما ألبس نزعاته وميوله وثورته الجياشة ثياب التحليل العلمي، أصدر الجزء الأول من كتابه "رأس المال". انظر: غربال، الموسوعة العربية الميسرة، ج٢، ص١٦١٥-١٦١٦.

[1]- فردريك إنجلز: ١٨٢٠-١٨٩٥م، اشتراكي ألماني أسهم مع كارل ماكس في وضع أسس النظرية الاشتراكية الحديثة، اشترك في تدبير الحركات الثورية في أوروبا، واضطر إلى الإقامة الدائمة في إنجلترا على إثر فشل ثورة ١٨٤٨، وكان من رجال الأعمال الناجحين وتمكن بذلك من مساعدة صديقه ماركس على التفرغ للبحث والدراسة، ومن أهم كتبه : معالم الاشتراكية العلمية، والدولة والملكية الخاصة، وأصل الأسرة، والجزئين الثاني والثالث من كتاب "رأس المال" لكارل ماركس بعد وفاة الأخير. انظر: المصدر نفسه، ج١، ص٢٣٧.

[2]- العريني، الاتجاه الإسلامي في أعمال نجيب الكيلاني القصصية، ص١٦.

[3]- رحلتي مع الأدب الإسلامي، ص١٢.

فترة ركود أدبي:

كان لانضمام الكيلاني إلى الإخوان تأثير سلبي على عمله الأدبي من حيث قلة الإنتاج إذ أنه قد انشغل عن الأدب بمشاركته لهم في نشاطاتهم الخطابية، وحفلاتهم ومناسباتهم وبرامجهم[1] ، هذا إلى جانب استمراره في دراسة الطب، فقال عن هذه الفترة من الركود الأدبي- إذا صح لنا تسميتها بذلك - قال: "يمكن القول بأن طبيعة هذه الفترة متميزة بالعمل والجهاد، ولم يكن هناك وقت يذكر لأن أكتب شعراً كثيراً أو قصصاً .. وقامت الثورة .."[2]

المرحلة الثانية : من عام ١٩٥٥ إلى ١٩٦٧.

هذه المرحلة تبدأ من الوقت الذي بدأت فيه تجربة الكيلاني مع سجون "عبد الناصر" إلى أن غادر "مصر" إلى "الإمارات" حيث انتقل إلى مرحلة مختلفة تماماً.

ففي أواخر عام ١٩٥٥ وبعد انتقالات عديدة في سجون الثورة رُحِّل نجيب الكيلاني إلى سجن "أسيوط"، وهناك في مكتبة هذا السجن وقعت عيناه للمرة الأولى على دراسة تتناول معظم المذاهب الأدبية، وهي كتاب "النقد الأدبي ومذاهبه" لـــ د. "محمد مندور"[3]، وكانت نتيجة دراسته لهذا الكتاب أن خرج

---

[1]- العريني، الاتجاه الإسلامي في أعمال نجيب الكيلاني القصصية، ص١٥.

[2]- رحلتي مع الأدب الإسلامي، ص٢١.

[3]- محمد مندور: ١٩٠٧-١٩٦٥، دكتور حقوقي، أديب، صحفي، ضليع باليونانية والفرنسية والإنجليزية، تولى التدريس بجامعة القاهرة، ورأس تحرير بعض الصحف=

بعدة آراء كانت الركائز الأولى في فهمه للأدب ودوره، وفي تعرفه على أهم المذاهب الأدبية في ذلك الوقت، الأمر الذي لا بد منه لأي أديب أو كاتب.

ويذكر لنا الكيلاني الفوائد التي استخلصها من ذلك الكتاب، وهي [1]:

١. "غالبية الأدباء ينطلقون من أساس فلسفي أو فكري، ومن المهم أن يكون لدى الأديب قناعة، مهما اختلفت حوله الآراء.
٢. هناك مؤلفات عديدة تتناول الاتجاهات الأدبية في العالم، وتكشف عن مدى ارتباطها بفلسفات قديمة أو معاصرة.
٣. القيم السياسية - إن صح التعبير - تستخدم الأدب في الترويج لها، واكتساب الجماهير إلى صفها.
٤. العلاقة وطيدة بين الفلسفة والفن، وقيمة الفن لا ترتبط بأشكاله الفنية المؤثرة وحدها، وإنما بما تحويه من قضايا وأفكار أيضاً، فالفن بلا فكر خواء، والفكر بلا فن دراسة علمية جامدة.
٥. أما بالنسبة للدين والقيم الروحية، فيقول: يُلاحَظ أنه في بداية الأمر لم أتبين مدى تغلغل الدين والقيم الروحية إلا في النذر اليسير، كما في الرمزية[2] مثلاً.

=وعمل في المحاماة، وحاضر في معهد الدراسات العربية، وكان من كبار النقاد، توفي بالقاهرة، له : الفن التمثيلي والمسرح، النقد المنهجي عند العرب، في الأدب ومذاهبه، وترجم كتباً عن الفرنسية واليونانية. انظر: الزركلي، الأعلام، ج٧، ص١١١.

[1]- انظر : رحلتي مع الأدب الإسلامي ، ص ٢١-٢٢.

[2]- الرمزية : مدرسة أدبية ظهرت في فرنسا في أواخر القرن التاسع عشر، ودعا إليها جين موريas عام ١٨٨٦م، اعتمدت هذه المدرسة الفلسفة أساساً لأفكارها، ومنطلقاً=

بدايات الأدب الإسلامي عند الكيلاني:

ممّا سبق نرى أن الكيلاني قد بدأ في هذه المرحلة اكتشاف ارتباط الفكر والفلسفة والدين بالأدب، والكيلاني كما عرفنا؛ له فكر إسلامي ينطلق من فكر الإخوان المسلمين ويرتوي منه، فكان لا بد أن يبدأ الكتابة على أساسٍ مبدئيٍ من اعتماد الأدب على الفكر والدين، ولو أن أدبه في هذه الفترة لم يكتمل ولم ينضج كأدب إسلامي تماماً، إلا أننا نستطيع أن نقرَّ الكيلاني على قوله بأن "بعض ما كتبه في هذه الفترة يدخل في "إطار" ما نسميه الأدب الإسلامي، وذكر على سبيل المثال – لا الحصر– رواية "اليوم الموعود"، و"طلائع الفجر"، ومجموعة قصص قصيرة بعنوان :"دموع الأمير"."[1]

الإنتاج الأدبي للكيلاني في المرحلة الثانية :

الشعر :

"أغاني الغرباء": ديوان يشتمل على اثنتين وعشرين قصيدة قالها الشاعر في السجن، وقد حاول أن يكون صادقاً في التعبير عما يعتمل في نفسه، طوال تلك الفترة القاسية التي مرت به.[2] وهذه القصائد تعبر

=لتعابيرها في الشعر أولاً، ثم الدراما والنقد الأدبي، وأخيراً في الموسيقى والرسم، ولقد اتخذت الرمزية التعبير عن الانطباعات النفسية عن طريق الألغاز والتلميح بدلاً من الأسلوب التقريري المباشر، ومن أقدم من استخدم الرمزية في الشعر العربي الحديث: إيليا أبو ماضي، وسعيد عقل، ونزار قباني، والسيّاب. انظر : التونجي، المعجم المفصل في الأدب، ج٢،ص٤٩٠.

١– رحلتي مع الأدب الإسلامي، ص٣٩.

٢– العريني، الاتجاه الإسلامي في أعمال نجيب الكيلاني القصصية، ص٢٢.

عن فكر الكيلاني السياسي والعقائدي أصدق تعبير كما قال بنفسه عن هذا الديوان[1].

الرواية :

١. "الطريق الطويل": هي أول رواية له، وقد تقدم بها مشاركاً في مسابقة لوزارة التربية والتعليم عام ١٩٥٧م[2]، وحصل على جائزتها، وكان قد كتبها في السجن واستطاع تهريبها خفية.[3] وهي رواية تتعرض للأوضاع العامة في مصر إبان الحرب العالمية الثانية، وكان من الضروري أن تمتد أحداث القصة حتى معركة السويس طبقاً لشروط المسابقة.[4]

وكان هدفه الأساسي وهو يكتب هذه الرواية أن يبرز ما يعانيه الجمهور من : فقر وعذاب، وجهل وأمراض، وظلم وفساد تحت وطأة الحرب، واستبداد الحكام، وبشاعة الاستعمار، وخواء الحضارة الغربية من قيم إنسانية عريقة.[5] وهو يؤكد أن هذه الرواية كانت تعبيراً عن واقع مرٌ عايشه واكتوى بناره.[6]

---

[1]- رحلتي مع الأدب الإسلامي، ص٢٤.

[2]- العريني، الاتجاه الإسلامي في أعمال نجيب الكيلاني القصصية، ص٢٩.

[3]- رحلتي مع الأدب الإسلامي، ص٢٣.

[4]- لمحات من حياتي، ج٣، ص٢٠١.

[5]- انظر: الكيلاني، الطريق الطويل، (مؤسسة الرسالة، بيروت،١٤٠٨هـ/١٩٨٨) ط٥.

[6]- رحلتي مع الأدب الإسلامي، ص٢٣.

وقد استطاع الكيلاني تهريب هذه الرواية من السجن عن طريق أحد موظفي السجن، وكان رجلاً طيباً وله أقرباء مسجونون معه أيضاً وقد وضع على الكتاب اسماً مستعاراً مع رسالة مغلقة فيها الاسم الحقيقي والعنوان، وأوصى ألا تفضّ الرسالة إلا بعد إعلان النتيجة.[1]

وقد استطاع الكيلاني إنجاز الرواية في فترة لا تزيد عن ثلاثة أسابيع، والكيلاني يُرجع ذلك للاستعداد النفسي ووفرة الأحداث، وعمق التجارب التي تتصل بهذا الموضوع، وانتعاش الأمل بعد أن أظلمت الآفاق.[2]

ولعله من المضحك المبكي أن يخرج الكيلاني من سجنه ليُكرّم على أدبه ويتسلم جائزته ثم يعود إليه ثانية.[3] وفي عام ١٩٥٩ تمت الموافقة على تدريس هذه الرواية لأحد صفوف المرحلة الثانوية، في مصر وسوريا.[4] وقد ترجمت هذه الرواية إلى الإيطالية والروسية.[5]

1- رحلتي مع الأدب الإسلامي، ص٢٣.

2- لمحات من حياتي، ج٣، ص٢٠١-٢٠٢.

3- المصدر نفسه، ج٣، ص٢٣٥.

4- رحلتي مع الأدب الإسلامي، ص٢٩.

5- العريني، الاتجاه الإسلامي في أعمال نجيب الكيلاني القصصية، ص٢٩.

٢. "في الظلام" : رواية كتبها بعد رواية "الطريق الطويل" بشهور[1]، وتقدم بها لنيل جائزة وزارة التربية والتعليم لعام ١٩٥٨م[2]. تتحدث هذه الرواية عن الفترة ما بين ١٩٤٧-١٩٥٢م، يقول الكيلاني في مقدمته لهذه الرواية عن هذه الفترة :" فترة اهتزاز في القيم، واضطراب في المفاهيم، وارتباك في شتى الشؤون السياسية والاجتماعية والوجدانية .. لكن الحقيقة الكبرى الناصعة هي أن الشعب كان مصراً على النصر، لهذا أخذ يتلمس كل طريق، ويلهث بحثاً عن النور.. عن حياة أفضل، فقد ملّ العيش "في الظلام"..."[3] وقد ظهرت هذه الرواية في الإذاعة المصرية[4]..

٣. "عذراء القرية" : رواية كتبها الكيلاني بعد رواية "في الظلام".[5] عدَّها د. العريني[6] من الروايات المفقودة.[7] ولم أعثر عليها كذلك.

---

[1]- رحلتي مع الإدب الإسلامي، ص٢٣.

[2]- العريني، الاتجاه الإسلاني في أعمال نجيب الكيلاني القصصية، ص٢٩.

[3]- انظر: الكيلاني، في الظلام، (مؤسسة الرسالة، بيروت) ط٣، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

[4]- رحلتي مع الأدب الإسلامي، ص٢٣١. نقلاً عن مقابلة مع مجلة الشهاب البيروتية، العدد التاسع، السنة الخامسة، ١٣٩١هـ/١٩٧١م.

[5]- رحلتي مع الأدب الإسلامي، ص٢٣.

[6]- د. عبد الله بن صالح العريني : رئيس قسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، نال درجة الماجستير على بحثه : "الاتجاه الإسلامي في أعمال نجيب الكيلاني القصصية".

[7]- العريني، الاتجاه الإسلامي في أعمال نجيب الكيلاني القصصية، ص٢٠.

٤. "طلائع الفجر": هي الرواية الرابعة للكيلاني، وأول رواية تاريخية له، تصور كفاح مدينة رشيد[1]، وهي تتصدى للغزو الإنجليزي فيما عرف بحملة "فريزر"[2]. وهي رواية تاريخية واقعية، وهذه الرواية تأتي كردٍ على موجة الإعجاب بالأدب الروسي عند الشباب المصري في ذلك الوقت كما ذكر ذلك الكيلاني في مقدمته لهذه الرواية.[3]

٥. "ليل العبيد": رواية حازت على المركز الأول في مهرجان طشقند الدولي لسنة ١٩٧٢-١٩٧٣م، بعد أن أُخرجت فيلماً سينمائياً تحت اسم "ليل وقضبان"[4]، تصور هذه الرواية حياة السجن والسجناء والمدير الظالم، وقد استعان الكيلاني بالرمزية في هذه الرواية، وقد رمز للحاكم بالمدير الظالم، وللشعب المقهور المعذب بالسجناء المظلومين، والسجانين لأدوات الإرغام والعذاب التي

---

[1]- رشيد : بلدة على ساحل البحر والنيل قرب الاسكندرية، انظر : الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص٤٥.

[2]- حملة إنجليزية على مصر عام ١٨٠٧م، إبان حكم محمد علي باشا، كان قائد الحملة اسمه فريزر. انظر : المقدمة لرواية طلائع الفجر، (مؤسسة الرسالة: بيروت،١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م) طبعة جديدة منقحة ، ص٩.

[3]- انظر : المصدر نفسه ، ص٨.

[4]- انظر : مجلة الأدب الإسلامي ، السنة الثالثة ، العددان التاسع والعاشر، ص ١٣٣. رسالة جامعية لنيل الماجستير بعنوان "نجيب الكيلاني روائياً" قدمها الباحث سهيل ياسين للجامعة الأردنية عام ١٩٨٥م، والعرض مأخوذ من مقدمة تلك الرسالة.

يحركها المدير- الحاكم - كيف شاء.[1] وهي عندي باسم "ليل وقضبان"[2]، بينما عدّها د. العريني من الروايات المفقودة، ولعله لم يتسنَّ له الحصول عليها، أو أنه لم يعلم بأنها قد أخرجت فيلماً سينمائياً باسم آخر.

٦. "رأس الشيطان": أحداث هذه الرواية جرت في الفترة الأولى من الثلاثينيات إبان إلغاء دستور ١٩٢٣[3]، وتتناول هذه الرواية عدة قضايا، منها الاستعمار البريطاني على مصر، والإقطاع وتعامله مع الفلاح الفقير، وثورة الشعب المصري لنيل استقلاله.[4]

٧. "النداء الخالد": تصور هذه الرواية القرية المصرية "زفتي" في ظل الاستعمار الإنجليزي، وتبين حالة الفلاح المستضعف التي دفعته للثورة مرة بعد أخرى[5]. ولعل الكيلاني قد أراد أن يعطي صورة لتلك القرية والمقصود هو إعطاء صورة لمصر كلها والقرية كنموذج مصغّر. وقد حاول الكيلاني أن يبث في هذه الرواية

---

[1]- رحلتي مع الأدب الإسلامي، ص٢٧.

[2]- الكيلاني، ليل وقضبان، (مؤسسة الرسالة، بيروت ،١٤٢٠هـ/١٩٩٩م) ط٧.

[3]- رحلتي مع الأدب الإسلامي، ص٥١.

[4]- انظر: الكيلاني، رأس الشيطان،(مؤسسة الرسالة، بيروت ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م)د.ط.

[5]- انظر: الكيلاني، النداء الخالد، (مؤسسة الرسالة، بيروت ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م)ط٥.

أفكار "جمال الدين الأفغاني"[1] الذي كان الكيلاني معجباً به إعجاباً شديداً[2]. وفي عام ١٩٦٥م قررت وزارة التربية هذه الرواية على إحدى سنوات المرحلة الثانوية[3].

٨. "الربيع العاصف": هذه الرواية هي تصوير لقرية الكيلاني "شرشابة" في فترة من حياة هذه القرية، وهي فترة مليئة بالصراع بين ما هو قديم موروث، وجديد متحرر، واختار الكيلاني طبيباً وحكيمة في الوحدة المجمعة، وبعض الريفيين ليصور لنا من خلالهم هذا الصراع[4].

---

[1]- جمال الدين الأفغاني ، محمد بن صفدر الحسيني : فيلسوف الإسلام في عصره، وأحد الرجال الأفذاذ الذين قامت على سواعدهم نهضة الشرق الحاضرة، ولد في أسعد أباد بأفغانستان ونشأ بكابل، رحل إلى الهند ومصر والأستانة فجُعل فيها من أعضاء مجلس المعارف، ونُفي منها سنة ١٢٨٨ فقصد مصر فنفخ فيها روح النهضة الإصلاحية في الدين والسياسة ونفته الحكومة المصرية فرحل إلى حيدر أباد ثم باريس وأنشأ مع تلميذه الشيخ "محمد عبده" جريدة "العروة الوثقى"، ورحل رحلات طويلة إلى روسيا وألمانيا وإيران ولندن والأستانة ، توفي في الأستانة ودفن في أفغانستان، كان عارفاً باللغات العربية والأفغانية والفارسية والسنسكريتية والتركية وتعلم الفرنسية والإنجليزية والروسية، له : تاريخ الأفغان، ورسالة الرد على الدهريين. انظر : الزركلي ، الأعلام ، ج٦، ص ١٦٨-١٦٩.

[2]- لمحات من حياتي، ج٤، ص٢١٣.

[3]- المصدر نفسه، ج٤، ص٢٥٧.

[4]- انظر: الكيلاني، الربيع العاصف،(مؤسسة الرسالة: بيروت،١٤١٨هـ/١٩٩٧م)د.ط.

٩. "الذين يحترقون": تتحدث هذه الرواية عن القرية المصرية في بداية عهد الثورة، وتذكر لنا قصة طبيب شاب مثالي في أخلاقياته وتمسكه بمبادئه يعود ليخدم أهل قريته بعد تخرجه، والمصاعب التي واجهها من استغلال يمارسه العاملون في المستشفى من إداريين وأطباء وممرضين ومستخدمين للمرضى الفقراء، واستطاع التغلب عليها بصدقة وثباته. وهذه الرواية قد كتبها الكيلاني في فترة عمله في قريته طبيباً بعد تخرجه. وقد عُرضت في عام ١٩٧٥م مسلسلاً تلفزيونياً.[1]

١٠. "الكأس الفارغة": "رواية تجري أحداثها في منطقة قنال السويس، والصراع الدائر هناك بين الفدائيين من الإخوان المسلمين وبين القوات البريطانية المستعمرة، وقد سُلِّمت هذه الرواية للمطبعة للطبع إلا أن الحكومة قد فرضت الحراسة على المطبعة ففقدت الرواية".[2]

١١. "الرايات السوداء" : هذه الرواية كانت مفقودة ثم عثرت عليها زوج د. نجيب الكيلاني، ولم يسبق نشرها فأرسلتها لدار البشير لطبعها ونشرها وذلك بعد وفاة زوجها، ويبدو من تعليق الكيلاني

---

[1]- انظر : مقدمة الناشر، الكيلاني، الذين يحترقون، (مؤسسة الرسالة، بيروت ، ١٩٩٩ م) ط١.

[2]- لمحات من حياتي، ج٤، ص٢١٤.

الموجود في آخر الرواية أنه كتبها وهو في مساكن أبي زعبل[1]، والناشر يقول في غلافها أنه تم العثور عليها في ٢٠٠٣/٣/٨م، ولم يسبق نشرها. وهذه الرواية هي رواية تاريخية تتحدث عن خلافة بني العباس بعد زوال خلافة بني أمية. مكان الرواية: الكوفة بشكل رئيس، وزمنها: عصر العباس السفاح. ومن أهم الأمور التي تناولتها هذه الرواية : المظالم التي ارتكبها الأمويون، ورأي العباسيين في أحقيتهم بالخلافة لأنهم من آل البيت، وسؤال يدور مع أحداث هذه الرواية : هل الخلاف بين الطرفين نابع من اختلافهم الفقهي أم أنه لا يمت إلى الدين بصلة، بل هو رغبة في الحكم والسلطان؟ وتناول موضوع الرق والعبودية وصوره تصويراً رائعاً ودقيقاً[2].

القصص القصيرة :

١. "موعدنا غداً" : نال عليها جائزة نادي القصة والميدالية الذهبية من د. طه حسين عام ١٩٥٩م.[3]

---

[1]- انظر : الكيلاني، الزايات السوداء،(دار البشير للثقافة والعلوم: طنطا، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م) ط١، ص٢٤٣.

[2]- انظر : المصدر نفسه .

[3]- انظر : رحلتي مع الأدب الإسلامي، ص٢٣١، نقلاً عن مقابلة أجرتها مع الكيلاني مجلة الشهاب البيروتية، العدد التاسع، السنة الخامسة، ١٣٩١هـ/١٩٧١م. وانظر : العريني، الاتجاه الإسلامي في أعمال نجيب الكيلاني القصصية، ص٢٩.

٢. "دموع الأمير": قصص قصيرة مستمدة من التاريخ الإسلامي، كتبها عام ١٩٦٢،[1] نال عليها جائزة وزارة التربية والتعليم،[2] وقد كُتب في أول صفحة من طبعة ١٩٩٩ لهذه القصص أنها الفائزة بجائزة القصص الإسلامية والتاريخية القصيرة.[3]

تحتوي هذه المجموعة على اثنتي عشرة قصة، ويقول الكيلاني في المقدمة لها : "لعلها المجموعة الأولى من نوعها في قصصنا الحديث"،[4] وقد صدرت هذه المجموعة مرة أخرى بعنوان "رجال الله" عن الدار العلمية ببيروت عام ١٩٧١م.[5] وهي عندي بنفس العنوان ولكن من إصدار مؤسسة الرسالة ببيروت، ولكنها تحتوي على ثماني قصص فقط، ست منها مكررة من "دموع الأمير" واثنتان فقط جديدتان وهما: "رجال الله"، و"الحرية الموهومة"[6].

---

[1]– انظر المقدمة لهذه القصص: الكيلاني، "دموع الأمير"، (مؤسسة الرسالة، بيروت) طبعة جديدة ومنقحة، طبعة ١٩٩٩م، ص١٠.

[2]– العريني، الاتجاه الإسلامي في أعمال نجيب الكيلاني القصصية، ص٢٩.

[3]– انظر : "دموع الأمير" طبعة ١٩٩٩م، إصدار مؤسسة الرسالة، بيروت.

[4]– انظر : مقدمة الكيلاني لهذه القصص، ص٨.

[5]– العريني، الاتجاه الإسلامي في أعمال نجيب الكيلاني القصصية، ص٢٠.

[6]– انظر: الطبعة الثالثة عام ١٩٩٩م، من: رجال الله، من إصدار مؤسسة الرسالة، بيروت.

٣. "عند الرحيل": مجموعة تتكون من ثمانٍ وعشرين قصة قصيرة، آخرها قصة "عند الرحيل" التي تتناول قضية تزوج الآباء بناتهن لأجل المال فقط والظلم الذي يقع عليهن بسبب ذلك.[1]

٤. "العالم الضيق" : يذكر د. العريني أن هذه المجموعة مفقودة،[2] ولكنني استطعت الحصول عليها وهي من نشر مؤسسة الرسالة،[3] وتحتوي هذه المجموعة على ثلاث عشرة قصة قصيرة أولها بعنوان "العالم الضيق" تتحدث عن بوّاب فقير ينتظر وصول رسالة من ابنه تحتوي على شيك لتنقذه مما هو فيه من كرب، فإذا برسالة تصله لكنها تحتوي على ورقة طلاق ابنته ليزداد كربه ويضيق العالم أكثر فأكثر في وجهه[4].

٥. "حكايات طبيب": هذه المجموعة تحتوي على سبع وعشرين قصة[5]، كلها تتناول حالات طبية أو إنسانية عايشها الطبيب أو قابلها، وهي حالات واقعية في أصلها أو استوحاها الكيلاني من طبيعة عمله طبيباً، ويقول الكيلاني :"هي مجموعة من القصص الفنية القصيرة عما صادفته من

---

[1]- انظر : الكيلاني، عند الرحيل، (مؤسسة الرسالة، بيروت)، ١٩٩٩م، ص٣٠٨.

[2]- العريني، الاتجاه الإسلامي في أعمال نجيب الكيلاني القصصية، ص٢١.

[3]- انظر : العالم الضيق، (مؤسسة الرسالة، بيروت ،١٤٢٢هـ/٢٠٠١م) طبعة جديدة منقحة.

[4]- انظر : المصدر نفسه ، ص ١٩.

[5]- انظر :الكيلاني، حكايات طبيب، (مؤسسة الرسالة: بيروت، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م) ط٧.

مآسي خلال العمل بالمهنة في الأماكن المختلفة"[1]. "وامتدت فترة هذه المجموعة لسنوات طويلة"[2]، ويقول الكيلاني :"لقد بدأت فكرة هذا الكتاب حينما كنت أشارك في برنامج "عيادة على الهواء" في إذاعة الشارقة بدولة الإمارات العربية المتحدة، وكان في بداية البرنامج فقرة بعنوان "مذكرات طبيب" كنت أقرأ فيها قصة ذات دلالة وفائدة بصوتي، وقد قدمت عشرات القصص، ولكني عندما أردت جمعها في كتاب، اكتشفت أن الإذاعة قد أضاعت أغلبها، ولم يبق إلا بضع وعشرون قصة جمعتها في "حكايات طبيب"."[3]

وقد فاز الكيلاني عام ١٩٥٩م بجائزة القصة القصيرة لنادي القصة باتحاد الكتاب[4]، ثم جائزة المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب عام ١٩٦٠م في الرواية.[5]

المسرحية :

١. "حسناء بابل: "يقول الكيلاني عن هذه المسرحية :"هي مسرحية كنت أعتز بها أيما اعتزاز، وأعتبرها أثراً جيداً، لكنها اختفت في طوفان

---

[1]- لمحات من حياتي ، ج٤، ص ٢٣٤ .

[2]- رحلتي مع الأدب الإسلامي ، ص ٢٥ .

[3]- لمحات من حياتي ، ج٤، ص ٢٣٤ .

[4]- مجلة المجتمع الكويتية ، العدد ١٦٤٢، ص ٤٨.

[5]- رحلتي مع الأدب الإسلامي، ص ٢٣١، نقلاً عن مقابلة أجرتها مع الكيلاني مجلة الشهاب البيروتية، العدد التاسع، ١٩٧١م.

صدام عارم مع السجانين، ولا أعرف مصيرها، وإن قيل لي أنها لدى أحد الضباط، وهي عن قصة هاروت وماروت".[1]

٢. "على أسوار دمشق" : مسرحية تاريخية عن الإمام "أحمد بن تيمية"[2]، وهي تصور كفاح الأمة الإسلامية ضد الغزو التتري[3].

الدراسات :

١. "إقبال الشاعر الثائر": كتب الكيلاني هذا الكتاب سنة ١٩٥٦م[4]، اشترك الكيلاني بهذا الكتاب عن إقبال[5] في مسابقة وزارة التربية والتعليم عن

---

[1]- رحلتي مع الأدب الإسلامي، ص ٢٥ .

[2]- أحمد بن تيمية : الإمام وشيخ الإسلام، كان كثير البحث في فنون الحكمة، داعية إصلاح في الدين، آية في التفسير والأصول، فصيح اللسان، قلمه ولسانه متقاربان، ناظر العلماء واستدل وبرع في العلم والتفسير وأفتى ودرّس وهو دون العشرين، اعتُقل مرات عديدة ومات معتقلاً بقلعة دمشق، له : السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، الصارم المسلول على شاتم الرسول، رفع الملام عن الأئمة الأعلام، التوسل والوسيلة. انظر : الزركلي : الأعلام، ج١، ص ١٤٤.

[3]- رحلتي مع الأدب الإسلامي ، ص ٢٤ .

[4]- مدخل إلى الأدب الإسلامي،(صادر عن رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية في دولة قطر، كتاب الأمة ، ١٤٠٧هـ)، ط١، ص ٢٣.

[5]- محمد إقبال : ١٨٧٣-١٩٣٨م، شاعر وفيلسوف باكستاني، ولد في مدينة سيالكوت، والتحق بكلية لاهور ونال الليسانس والماجستير، وغادرها إلى كمبريدج حيث درس الفلسفة، ثم إلى ألمانيا حيث التحق بجامعة ميونخ وعاد إلى وطنه حيث عمل واشتغل بالمحاماة وقرض الشعر، ذاع صيته في الهند وكثير عشاق أدبه ومريدو فلسفته،دعا في=

التراجم والسير سنة ١٩٥٧، وقد فاز بتلك الجائزة،[1] ويعتبر الكيلاني من أوائل الذين درسوا شعر "محمد إقبال" وقد بيّن معالم فلسفة إقبال، وأشار إلى النزعة الإنسانية في شعره، وختم هذه الدراسة بعقد موازنة بينه وبين "أبي العلاء المعري"[2].[3]

ويقول الكيلاني :"اشتركت بكتابي عن إقبال، وقد كنت كتبته قبل أن يعلن عن أية مسابقة، ولا يمت من قريب أو بعيد بأية ارتباطات إجبارية سياسية في تلك الفترة"[4]. وقد تسلم الكيلاني الميدالية الذهبية من الرئيس

-شعره إلى نبذ التصوف العجمي الذي يؤدي إلى إنامة الأمة، وبشر بالتصوف العملي الذي يدعو إلى العمل والجهاد، واتخذ مثلاً لذلك محمداً صلى الله عليه وسلم، وعمر وأبا بكر رضي الله عنهما، ونادى بالباكستان ليتخلص المسلمون من الاضطهادات الدينية، وتدل أشعاره على تمجيد الشخصيات الإسلامية كلها، له : تجديد التفكير الديني في الإسلام، أسرار خودي، بيام مشرق، ضرب الكليم، بال جبريل، أرمغان حجاز. انظر : غربال ، الموسوعة العربية الميسرة، ج١، ص ١٨٣.

[1]- رحلتي مع الأدب الإسلامي، ص ٢٤ .

[2]- أحمد بن عبد الله المعري : شاعر إسلامي مشهور، ولد بمعرة النعمان سنة ٣٦٣ هـ، وأصيب بالجدري طفلاً فأفقده عينيه، كان عجيب الحافظة متنوع الثقافة بارع النظم، تأثر بالمتني وبالثقافة الهندية، درس في بغداد واستوعب آراء الفقهاء والفلاسفة، اتُهم برقة الدين، واعتزل في بيته، وأخذ على نفسه التقشف وعدم أكل اللحم، له : ديوان سقط الزند، ورسالة الغفران. انظر : التونجي، المعجم المفصل في الأب، ج٢، ص ٨٠٨.

[3]- العريني ، الاتجاه الإسلامي في أعمال نجيب الكيلاني القصصية، ص ٢٦.

[4]- رحلتي مع الأدب الإسلامي ، ص ٢٤ .

"ضياء الحق" رئيس جمهورية باكستان عن كتابه هذا عام ١٩٨٠م[1].
ويقول الكيلاني :"حينما ألّفتُ كتابي عن "إقبال" كنتُ أكتبه وأنا في حماس بالغ .. كتبته من زاوية الحب والتقدير لهذا الشاعر العظيم الذي لم ينل ما يستحقه من اهتمام في عالمنا العربي".[2]

٢. "المجتمع المريض" : نال جائزة وزارة التربية والتعليم على كتابه هذا عام ١٩٥٨م، وهو دراسة عن السجن وعالم السجون، سجل فيه تجاربه، وعدّد بعضاً من الظواهر المرضية فيه، ثم قدّم بعض الاقتراحات كحلول ارتآها مناسبة، مع ذكر بعض الأشعار التي كان السجناء يعبّرون فيها عن آمالهم وآلامهم ومعاناتهم.[3]

٣. "شوقي في ركاب الخالدين" : دراسة نال عليها الكيلاني جائزة وزارة التربية والتعليم للتراجم والسير[4] عام ١٩٥٨م[5]، تحدث فيها عن نشأة "شوقي" وأثرها في شعره، ثم بسط القول عن "شوقي" في منفاه، وبيّن خصائص شعره، واحتفاءه بالمناسبات الإسلامية، واستلهامه روح

---

[1]- العريني ، الاتجاه الإسلامي في أعمال نجيب الكيلاني القصصية، ص ٢٩ .
[2]- رحلتي مع الأدب الإسلامي ، ص ٢٢٦.
[3]- انظر : الكيلاني ، المجتمع المريض، (مؤسسة الرسالة: بيروت، ١٤٠١هـ/١٩٨١م) د.ط.
[4]- رحلتي مع الأدب الإسلامي ، ص ٢٤ .
[5]- العريني ، الاتجاه الإسلامي في أعمال نجيب الكيلاني القصصية، ص ٢٩.

التاريخ، ثم بيّن موقف الشاعر من قضايا عصره، وأخيراً ذكر منزلة "شوقي" في الأدب العربي ونواحي التجديد في شعره.[1]

٤. "الطريق إلى اتحاد إسلامي": هو كتاب الكيلاني الأول في هذه المرحلة الذي يتناول موضوعات فكرية إسلامية فهو يقول :"حاولتُ جاهداً أن ألقي الأضواء على جوانب هذا الموضوع الهام، ألا وهو وحدة العالم الإسلامي، وعلى أي أساس تقوم، وكيفية خلق رأي عام إسلامي، وصلات هذه المجموعة من الدول الإسلامية بغيرها من الدول، كما تعرضت لأسباب انحسار المد الإسلامي وانكماش ظله .. الخ، وقد أكدّتُ أثناء ذلك أنه موضوع ضخم كبير يحتاج لمزيد من الجهود والبحث..."[2].

٥. "الإسلامية والمذاهب الأدبية" : هو الكتاب الثاني وقد كتبه في شرشابة في أول أكتوبر عام ١٩٦٢م، وقد قال الكيلاني عنه :"هو محاولة متواضعة لتخطيط مذهب أدبي، يترسمه القصّاصون والشعراء وكتّاب المسرح، في ظلال التصور الإسلامي للكون والحياة والإنسان، وما دفعني إلى الكتابة في ذلك الموضوع إلا إيماني بخطورة الفنون – كوسيلة من وسائل الإعلام – في تشكيل أخلاقيات المجتمع، وتوجيه الشباب وتأثره بها فضلاً عن أن آداب الدول الإسلامية وفنونها توشك

---

[1]- العريني، الاتجاه الإسلامي في أعمال نجيب الكيلاني القصصية، ص ٢٧ .

[2]- الكيلاني، الإسلامية والقوى المضادة ، (مؤسسة الرسالة: بيروت ، ١٩٨٧م) ط٣، ص ١٠.

أن يجرفها تيار الفلسفات الأوروبية المنحرفة، فينسيها بذلك تراثها وتاريخها ومبادءها وميزاتها المتفردة كأمة ذات كيان وسمات وعقائد خاصة..."[1]وقد تناول فيه قضايا كثيرة منها :"علاقة الدين بالفن"، و"الخصام الذي نشب بينهما"، و"الحرية والالتزام في أدبنا الإسلامي"، و"موقف الاختيار الوجودي وموقف الاختيار الإسلامي والفرق بينهما"، و"الإسلامية[2]والأدب"، و"جولة مع الأدب الإسلامي القديم والأدب الإسلامي الحديث مثل "إقبال" و"شوقي" و"حافظ" و"الرافعي" و"محرم"[3]

---

[1]- الإسلامية والقوى المضادة ، ص ١١.

[2]- الإسلامية: "في الأدب" هي انطلاق الأديب في العملية الإبداعية من رؤية أخلاقية تبرز مصداقيته في الالتزام بتوظيف الأدب لخدمة العقيدة والشريعة والقيم وتعاليم الإسلام ومقاصده، وتبين إيجابيته عند معالجة قضايا العصر والحياة، التي ينفعل بها الأديب انفعالاً مستمراً، فلا يصدر عنه إلا نتاج أدبي متفق مع أخلاق الإسلام وتصوراته ونظرته الشاملة للكون والحياة والإنسان في إطار من الوضوح الذي يبلور حقيقة علاقة الإنسان بالأديان وعلاقته بسائر المخلوقات فرادى وجماعات، وبشكل لا يتصادم مع حقائق الإسلام، ولا يخالفها في أي جزئية من جزئياتها ودقائقها. انظر : الجهني ، الموسوعة الميسرة للأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، ج٢، ص ٨٥٣.

[3]- أحمد محرم بن حسن عبد الله : ١٨٧٧-١٩٤٥، شاعر مصري، حسن الوصف، نقي الديباجة، تركي الأصل أو شركسي، ولد في إبيا الحمراء من قرى مصر، في شهر محرم فسمي أحمد محرم، وتلقى مبادئ العلوم وتثقف على يد أحد الأزهريين، وعاش يتكسب بالنشر والكتابة، وحفلت أيامه بأحداث السياسة والأحزاب، فانفرد برأيه مستقلاً، له: ديوان محرم وديوان الإسلام أو الإلياذة الإسلامية في تاريخ الإسلام شعراً، توفي ودفن بدمنهور. انظر : الزركلي ، الأعلام، ج١، ص ٢٠٢.

و"الحكيم" و"باكثير"، وقد لخص المذاهب الأدبية كي يتيح الفرصة للدراسة والمقارنة من كلاسيكية[1]، ورومانسية[2]، وواقعية[3]، وواقعية اشتراكية[4]،

---

[1]- الكلاسيكية : أقدم المذاهب الأدبية ويرجع ظهورها إلى القرن الخامس عشر إثر حركة الإحياء الأدبي والعلمي التي عرفت في إيطاليا، وهو مصطلح يدل على أي عمل أدبي يصاغ على نمط قديم أو مما كتب قديماً، كما يطلق على أي عمل يتسم بالرصانة، والاتزان، والوحدة الفنية. انظر : التونجي، المعجم المفصل في الأدب، ج٢، ص ٧٢٥.

[2]- الرومانسية : نزعة فنية تجديدية في جميع فروع الفنون، تدفع الإنسان نحو الطبيعة، وإيثار الحس والعاطفة، وتفضلهما على العقل والمنطق، وأضفت صفات المثالية على أهل الريف والأطفال لما لهم من خصال بدائية رفيعة، وأولت الفرد مزيداً من الاهتمام وعبروا عن نظرتهم هذه بالروايات التاريخية، وبقصص الحب، وبالقصائد العاطفية، ومن الأدباء العرب الرومانسيين : السيّاب، وعلي محمود طه، وإيليا أبو ماضي، وجبران. انظر : المصدر نفسه ، ج٢، ص ٤٩٩.

[3]- الواقعية : برز المذهب الواقعي بشكل ظاهرة أدبية في فرنسا إثر ثورتها عام ١٨٣٠ وبلغ قمته على يد إميل زولا، وأتباعها حريصون على تسجيل الأحداث بكل فطنة، ميالون إلى النقد والتشاؤم، ويميلون إلى الأعمال الهزلية والسخرية والعمل اللاذع، ويتمثل الأدب الواقعي بأدب الفروسية وشعر الغزل، وينهلون لوحاتهم من الشعب لا من الفرد، ويرون أن المسرح يفوق الأجناس الأخرى تأثيراً، ومالوا إلى النثر في حين مال الرومانسيون إلى الشعر. انظر : المصدر نفسه، ج٢، ص ٨٧٧.

[4]- الواقعية الاشتراكية : عُرف هذا المصطلح في روسيا في الربع الأول من هذا القرن، ليعبر عن الأدب السوفياتي ونقده إبان الثورة تعبيراً واقعياً صادقاً، مصوراً واقع العمال واتجاههم الاشتراكي. انظر : المصدر نفسه ، ج٢، ص ٨٧٨.

والطبيعية[1]، ومذهب الفن للفن[2]، والرمزية[3]، والوجودية[4]

---

[1]- الطبيعية : هي استلهام الطبيعة بوصفها، ومحاكاتها، وعرضها عرضاً واقعياً حسب منهج علم الجمال، ولا فرق فيها بين جميل وقبيح، ويحيا فيها الإنسان حياة حرة، غير متأثرة بمذهب سياسي أو عقدي. انظر : التونجي، المعجم المفصل في الأدب ، ج٢، ص ٦٠٢.

[2]- الفن للفن : مذهب فني لا يُعنى بغير الفن، ولا ينظر إلى الجمال إلا بمنظار الإحساس الجمالي، منزهاً عن أي غاية أخرى، وقد ساد هذا المذهب في فرنسا منذ أواسط القرن التاسع عشر، ثم تسرب إلى إنجلترا، ودعا أصحاب مذهب الفن للفن إلى دراسة الجمال من غير أي اعتبار للمجتمع أو الأخلاق، ومن غير أن يُذعن للتقاليد والأعراف والالتزام، ومن أبرز الشعراء لهذا المذهب : لي كونت دي ليل، وغوتيه، وبودلير، وبانفيل. انظر : المصدر نفسه : ج٢، ص ٦٩٢.

[3]- الرمزية : مدرسة أدبية ظهرت في فرنسا في أواخر القرن التاسع عشر، دعا إليها جين موریاس، اتخذت الرمزية التعبير عن الانطباعات النفسية عن طريق الألغاز والتلميح بدلاً من الأسلوب التقريري المباشر، ذلك أن دعاتها وجدوا أن العقل عاجز عن الوصول إلى الحقائق، وأن العلم لا يمكنه إشباع رغبة الإنسان بمعرفة أسرار الكون، ومن الأدباء العرب الذين تأثروا بها : إيليا أبو ماضي، وسعيد عقل، ونزار قباني، والسياب. انظر : المصدر نفسه ، ج٢، ص ٤٩٠.

[4]- الوجودية : مذهب أدبي اشتهر في فرنسا، ويعد سارتر داعيته الأول، والذي يقوم على أن الإنسان حر في كل شيء عدا ألا يكون حراً، فالإنسان في عرفهم غير مقيد بقانون يحد من حريته، ويستطيع أن يختار ما يعمل، ويقوم محور المذهب الوجودي في الأدب على تمثيل ذاتية الإنسان، وحقه الحر في التفكير كما يشاء، وباللغة التي يريد، بحرية فنية كاملة تحرره من كل قيد يقيده به النقاد، إضافة إلى مظهره الإلحادي. انظر : المصدر نفسه ، ج٢، ص ٨٨١.

والسريالية[1]، والفرويدية[2].[3]

٦. "الإسلامية والقوى المضادة" : الكيلاني يقدم هذا الكتاب كما يقول :"كي يميط اللثام عن تلك الحراب المسمومة التي يحاول بها الخصوم قتل أعز ما تملكه الأمم الإسلامية ألا وهو دينها الحنيف، الذي طالما أقالها من عثرتها، وأضاء بها ظلمات الأحداث، وحماها وسط عواصف النكبات المتتالية، وقدم لها صورة النموذج المثالي للإنسان الحر الشريف الفاضل.."[4]

---

[1]- السيريالية أو السوريالية : نزعة أدبية متطرفة، تدين بالحركة المطلقة، والفوق الواقعية، والخروج على كل عرف وتقليد، وهي في الأدب تنفر من موضوعات الفكر الجارية، وتحتقر الأساليب السائدة في أشكالها وصورها ومجازاتها وكلماتها، وتسخر من العقل والمنطق، وجل إلهاماتها من الأحلام والرؤى ودفعات اللاشعور والتأثيرات الماضية، فالسريالية إملاء للفكر دون رقابة العقل، وبعيداً عن كل اهتمام فني أو أخلاقي، وممن ذهب هذا المذهب من الشعراء العرب : كامل أمين، وكامل زهيري، وأورخان ميسر، وعلي الناصر. انظر : التونجي، المعجم المفصل في الأدب ، ج٢، ص ٥٣٣.

[2]- الفرويدية : مدرسة للتحليل النفسي وتفسير الأحلام، المنسوبة إلى فرويد، أساس مبدئها السلوك غير السوي والعصابي والاكتئابي عند البالغين والتي ترجع كلها إلى الجنس في الطفولة عن طريق ارتياد اللاشعور، والبحث عن الرموز في أحلام شخصياته ونوع حديثهم، وتعنى بمتابعة الطاقة الحيوية الغريزية. انظر : المصدر نفسه ، ج٢، ص ٦٨٦.

[3]- انظر : الكيلاني ، الإسلامية والمذاهب الأدبية ، (مؤسسة الرسالة : بيروت، ١٤٠٧ هـ/١٩٨٧م) د.ط.

[4]- انظر : المصدر نفسه، ص ١١.

وقد تحدث في هذا الكتاب عن حركة التنصير[1]، والصهيونية[2]، والماسونية[3]،

---

[1]- التنصير : حركة دينية سياسية استعمارية بدأت بالظهور إثر فشل الحروب الصليبية بغية نشر النصرانية بين الأمم المختلفة في دول العالم الثالث بعامة وبين المسلمين بخاصة بهدف إحكام السيطرة على هذه الشعوب، ويساعدهم في ذلك ثلاثة عوامل : انتشار الفقر والجهل والمرض في معظم بلدان العالم الإسلامي، والنفوذ الغربي في كثير من بلدان المسلمين، وضعف بعض حكام المسلمين الذين يسكتون عنهم أو ييسرون لهم السبل رغباً ورهباً أو نفاقاً لهم، من وسائلهم : تقديم الخدمات الطبية بهدف استغلال هذه المهنة في التنصير، والتعليم، والأعمال التجارية، كإنشاء مخيمات الكشافة، وإنشاء المكتبات التبشيرية والاعتناء بالأعمال الترفيهية. انظر : الجهني، الموسوعة الميسرة للأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، ج٢، ص ٦٧٥-٦٨٨.

[2]- الصهيونية : حركة سياسية عنصرية متطرفة، ترمي إلى إقامة دولة لليهود في فلسطين تحكم من خلالها العالم كله، واشتقت الصهيونية من اسم جبل "صهيون" في القدس حيث ابتنى داود قصره بعد انتقاله من الخليل إلى بيت المقدس في القرن الحادي عشر قبل الميلاد، وهذا الاسم يرمز إلى مملكة داود وإعادة تشييد هيكل سليمان من جديد بحيث تكون القدس عاصمة لها، وقد ارتبطت الحركة الصهيونية الحديثة بشخصية اليهودي النمساوي هرتزل الذي يعد الداعية الأول للفكر الصهيوني الحديث والمعاصر الذي تقوم على آرائه الحركة الصهيونية في العالــم. انظر : المصدر نفسه ، ج١، ص ٥٢١.

[3]- الماسونية : لغة معناها البناءون الأحرار، وهي في الاصطلاح منظمة يهودية سرية هدامة إرهابية غامضة، محكمة التنظيم تهدف إلى ضمان سيطرة اليهود على العالم وتدعو إلى الإلحاد والإباحية والفساد، وتتستر تحت شعارات خداعية "حرية، إخاء، مساواة، إنسانية"، جلُ أعضائها من الشخصيات المرموقة في العالم، يقيمون ما يسمى بالمحافل للتجمع والتخطيط والتكليف بالمهام، تمهيداً لتأسيس جمهورية ديموقراطية،=

والوحدة العربية[1]، والوحدة الإسلامية، والمادية الإلحادية[2]، مثل الفرويدية، والوجودية، والاستشراق[3] والاستعمار.

=عالمية – كما يدعون – وتتخذ الوصولية والنفعية أساساً لتحقيق أغراضها في تكوين حكومة لا دينية عالمية. انظر : الجهني، الموسوعة الميسرة للأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، ج١، ص ٥١٣.

[1]– الوحدة العربية : هي الفكرة القومية العربية التي هي حركة سياسية فكرية متعصبة، تدعو إلى تمجيد العرب، وإقامة دولة موحدة لهم، على أساس من رابطة الدم والقربى واللغة والتاريخ، وإحلالها محل رابطة الدين، وهي صدى للفكر القومي الذي سبق أن ظهر في أوروبا، من أهم الجمعيات التي لها توجه قومي: الجمعية السورية، جمعية الوطن العربي، جمعية العربية الفتاة، حزب اللامركزية، المؤتمر العربي في باريس، الجمعية القحطانية. انظر : المصدر نفسه، ج١، ص ٤٤٨.

[2]– الإلحادية : هي مذهب فلسفي يقوم على فكرة عدمية أساسها إنكار وجود الله الخالق سبحانه وتعالى، فيدّعي الملحدون بأن الكون وُجد بلا خالق، وأن المادة أزلية أبدية، وهي الخالق والمخلوق في نفس الوقت، ويعد أتباع العلمانية هم المؤسسون الحقيقيون للإلحاد، ومن هؤلاء : أتباع الشيوعية والوجودية والداروينيـــة. انظر : المصدر نفسه، ج٢، ص ٨١٣.

[3]– الاستشراق : تعبير يدل على الاتجاه نحو الشرق، ويطلق على كل ما يبحث في أمور الشرقيين وثقافتهم وتاريخهم، ويقصد به ذلك التيار الفكري الذي يتمثل في إجراء الدراسات المختلفة عن الشرق الإسلامي، والتي تشمل حضارته وأديانه وآدابه ولغاته وثقافته، ولقد أسهم هذا التيار في صياغة التصورات الغربية عن الشرق عامة وعن العالم الإسلامي بصورة خاصة، معبراً عن الخلفية الفكرية للصراع الحضاري بينهما. انظر : المصدر نفسه ، ج٢، ص ٦٩٧.

٧. "حول الدين والدولة" : تناول فيه قضية الدين والفن، والدين والدولة، والدين والحرية، ثم الرسالة الكبرى التي أنيطت بالأزهر الشريف وعلمائه.[1]

سمات أدب الكيلاني في هذه المرحلة :

١. الواقعية : كان أدب الكيلاني في هذه الفترة واضحاً في ميله للواقعية في معظمه، وأما في شكل أدبه فلم يكن يتعدى الأشكال التقليدية المتعارف عليها.[2]

٢. استخدامه للمونولوج : اعتمد الكيلاني في رواياته على الحوار الداخلي "المونولوج" بشكل كبير، وذلك قد ساعده في إبراز الملامح النفسية لشخصياته، وذلك نراه بوضوح في روايتيه : "في الظلام" و"الربيع العاصف".

ففي روايته "في الظلام" : يدور حوار داخلي بين "عبد الرحمن" ونفسه في تعجبه من أم "نهيرة"، وتشتت ذهنه وحيرته في تناقضاتها معه،[3] وصراعه مع نفسه في شأن رغبته بـــ"نهيرة"، ثم عتابه لنفسه – مع تساؤلنا عن مدى عمق هذا الإحساس عنده – في محاولته للإيقاع بين "فريد" و"نهيرة".

وهناك مونولوج آخر يدور في نفس "فريد" في محاسبته لنفسه على طيشه وتسرعه في علاقته بـــ"نهيرة" والنتائج التي وصل إليها معها.[4]

---

[1]- انظر : حول الدين والدولة، (دار النفائس : بيروت، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م)ط٢،ص٥.

[2]- رحلتي مع الأدب الإسلامي، ص ٢٥ .

[3]- انظر : في الظلام ، ص ٨٧.

[4]- انظر : المصدر نفسه، ص ١٠٣.

وهذان الحواران يبرزان كثيراً من الملامح التي تساعدنا في تكوين صورة متكاملة عن هاتين الشخصيتين الرئيستين في هذه الرواية.

أما في رواية "الربيع العاصف": فـ "عبد المعطي" الباشكاتب الذي يعتبر رجلاً مهماً مع سقمه وأمراضه،[1] يحتل حواره مع نفسه مكانة مهمة في هذه الرواية، ويظهر جشعه وخبثه ثم كيده لمعاديه بقلمه الذي لا يرحم، وتناقض تلك القسوة مع مشاعره الرقيقة الجياشة تجاه الممرضة أو الحكيمة القادمة من المدينة "منال" وصراعه من أجل الحصول عليها، كل ذلك يتجلى في حواره الداخلي الغني.[2]

٣. اهتمامه بالقيم العليا والأخلاق: نالت القيم العليا من صدق وإخلاص وتضحية وثبات على المبادئ وشجاعة وصبر، نالت هذه القيم كلها اهتماماً من الكيلاني كبيراً. وقد سعى إلى إظهارها بأروع صورها وقام بتجسيدها أبطالُ رواياته بشكل رائع، وقد قال الكيلاني عن نفسه :"كنتُ مؤمناً أعمق الإيمان – وأنا أفعل ذلك – أنني أؤدي واجباً، وأخطو خطوات في طريق الخلاص لأجيالنا الجديدة، على ضوء القيم التي غرسها ديننا الحنيف في فكرنا وسلوكنا"[3].

---

[1]- انظر : الربيع العاصف ، ص ١٣ .

[2]- انظر : المصدر نفسه، ص ١٨و ١٢٤و ١٣٨ و١٥٥.

[3]- رحلتي مع الأدب الإسلامي ، ص ٢٨ .

ومن الممكن أخذ رواية "رأس الشيطان" كمثال على إبراز قيم عليا مثل: الحرية، والثبات على المبادئ والاستقامة، والشجاعة.

٤. أما الاهتمام بتعرية الاستبداد وفضحه، وكشف ما يقوم به من ظلم وقهر وكبت، وما يعانيه مخالفوه من قلق وتوتر وتضحيات، وفي بعض الأحيان انتكاسات، فقد استحوذ على معظم رواياته، مع أنه لم يكن صريحاً واضحاً في هذا الشأن، فقد لجأ إلى الرمز في بعض الأحيان كما في رواية "ليل العبيد" أو "ليل وقضبان".

وقد قدّم لنا الكيلاني عذره في عدم صراحته تلك بقوله :" كان التعبير الأدبي بصراحة عن مظالم الحكم باهظ التكاليف، قليل الجدوى، فما نكتبه لن ينشر في الصحف، أو يصدر في مطبوعات، لأن حرية التعبير كانت مفتقدة تماماً، وأقصد بها حرية الأقلام المعارضة، ولقد بقيتُ فترة طويلة حتى بعد خروجي من السجن أتخذ نفس الأسلوب في التستر وراء الرموز التاريخية، ولهذا فإن كتاباتي التاريخية لم تكن هروباً إلى الماضي، أو عجزاً عن مواجهة قضايا العصر، ولكنها كانت تعبيراً عن أزمة وواقع، وكانت إسقاطاً لانحرافات العهد الذي نعيشه، ولقد تقدمت خطوة أخرى حينما تناولت قضايا ومشاكل معاصرة في قصصي يستطيع القارئ المتعمق أن يعرف ما وراءها من رموز وقضايا خطيرة"[1].

---

[1]- لمحات من حياتي ، ج٢، ص ٢٩ .

ومجموعة قصصه المسماة :"دموع الأمير" أو "رجال الله" فيها الكثير من ذلك موافق لما قاله الكيلاني.[1]

والكيلاني يعطينا صورة مقربة للحالة السياسية في مصرِ التي كان يكتب فيها رواياته، فيقول :".. الظروف السياسية التي يعيشها العالم هي ظروف أقل ما يقال فيها أنها مدعاة للخوف والقلق والترقب، فهناك قوى خفية وظاهرة، تُحِدُ من حرية الرأي، وأمانة التعبير، فالكاتب يكتب وسيوف القهر والتهديد مسلطة فوق عنقه، ولا أراني في حاجة لحصر الكتّاب الذين لاقوا حتفهم اغتيالاً أو ألقي بهم في غياهب السجون، أو أُجبروا على حياة المنافي، أو حوربوا في أرزاقهم، بل تتعداهم اللعنة إلى زوجاتهم وأبنائهم وأسرهم ... إن الحرية الحقيقية .. حبر على ورق .. حتى في أوروبا وأمريكا .. إن القيود كثيرة .. والعقبات عديدة .."[2]
والدارس المتمعن في روايات : "النداء الخالد" و"طلائع الفجر" و"في الظلام" و"ليل وقضبان" يرى هذه المعاني بوضوح جلي.

٥. إلى جانب كل ما ذكرناه سابقاً يبقى ظاهراً الإلحاحُ من الكيلاني في رواياته في تلك المرحلة على المشاكل والمظالم الاجتماعية، ومراعاته لعواطف الإنسان، وقد تناول ذلك بأنواعه المختلفة، وأظهر دور المرأة الحيوي الفعال، وأعطاه اهتماماً خاصاً، وبشكل عام فقد كان الصراع

---

[1]- انظر : دموع الأمير، ورجال الله، من إصدارات مؤسسة الرسالة ، بيروت .
[2]- لمحات من حياتي ، ج١، ص ٧ .

بين الخير والشر الأزلي الواقعي واقعياً أيضاً في روايات الكيلاني في هذه المرحلة.

نقاد تناولوا أدب الكيلاني :

لقد تناول أدبَ الكيلاني بعضٌ من النقاد[1] بالنقد والتحليل أو بالمشاركة في ندوات حول كتبه. ومن هؤلاء : "محمد حسن عبد الله" الذي قام بنقد رواية "الربيع العاصف".[2] و"محمد قطب"[3]، و"نجيب محفوظ"[4]، و"علي أحمد باكثير"، و"محمد عبد الحليم عبد الله"[5]، وغيرهم.[6]

1- ذكرت من النقاد الذين شاركوا بنقده في تلك المرحلة فقط، ولم أتطرق لمن شارك في ذلك من النقاد بعد ذلك في فترات متأخرة لأنه سيُذكر في المرحلة التي ستلي هذه المرحلة.

2- انظر : الدراسة النقدية لمحمد حسن عبد الله التي تبعت رواية "الربيع العاصف" المؤرخة في ١٠ يونيو ١٩٦٢م.

3- محمد قطب : مفكر إسلامي وهو شقيق سيد قطب ، له : منهج الفن الإسلامي ، جاهلية القرن العشرين، شبهات حول الإسلام. لم أجد له ترجمة في كتب الأعلام.

4- نجيب محفوظ : ولد في عام ١٩١١م، روائي مصري من كبار كتاب القصة العصرية، أول كاتب عربي ينال جائزة نوبل للآداب عام ١٩٨٨م، له روايات كثيرة : قصر الشوق، خان الخليلي، حكايات حارتنا، القاهرة الجديدة. انظر : مجموعة من المساهمين، المنجد في الأعلام، (دار المشرق: بيروت، ١٩٩٧م) ط٢٢، ص ٥٢٢.

5- محمد عبد الحليم عبد الله : ١٩١٣-١٩٧٠م، من كبار كتاب القصة في مصر، من قصصه المطبوعة : لقيطة، بعد الغروب، شجرة اللبلاب، الوشاح الأبيض، من أجل ولدي، الباحث عن الحقيقة، غصن الزيتون. انظر: الزركلي ، الأعلام ، ج٦، ص ١٨٧.

6- رحلتي مع الأدب الإسلامي ، ص ٢٩ .

ويلخص نجيب الكيلاني تجربته في هذه الفترة من مسيرته الأدبية بقوله :"ساعدتني هذه المرحلة بما فيها من تجارب وممارسة ونقد قليل، أن أستوعب الشكل الفني الذي أرتضيه، وأن أبحث عن مضامين جديدة، تكون أشد ارتباطاً والتصاقاً بمعتقداتي الإسلامية وخطي السياسي وأسلوبي الفكري، وهو ما أطلقت عليه "الأدب الإسلامي" الذي عشت له سنوات من أهم سنوات عمري على الإطلاق".[1] وهذا ما سنراه واضحاً نظرياً وعملياً في أدب الكيلاني في المرحلة الثالثة.

المرحلة الثالثة : من عام ١٩٦٨ حتى وفاته.

هذه المرحلة هي مرحلة التطبيق الواعي المنظم الهادف لنظرية "الأدب الإسلامي" أو "الإسلامية" التي دعا إليها الكيلاني، والإسلامية كما يعرفها الكيلاني – في كتابه الذي خصصه عن أعدائها – هي :"منهج في الفكر والسلوك، ومن ثم فإنها تجمع بين النظرية والتطبيق، وهذا المنهج رباني، وليس من صنع البشر، { صِبْغَةَ اللهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ صِبْغَةً }[2] فالإسلامية بتعبير آخر هي : الدين الإسلامي".[3]

ويفصّل هذا التعريف بقوله :"الإسلامية إن صح التعبير : فلسفة إلأهية شاملة تغطي وجه الحياة بكل نواحيها وصورها، سواء في العلاقات الإنسانية، أو الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية، وفي

---

[1]- رحلتي مع الأدب الإسلامي، ص٣٠.

[2]- البقرة : ١٣٨.

[3]- الكيلاني،أعداء الإسلامية،(دار الأنصار ودار الاتحاد العربي:مصر)د.ط.د.ت،ص٧.

المسائل التشريعية أو القانونية، وكذلك العلاقات الدولية، والاحتكاكات العسكرية، والابتداعات الأدبية والفنية"[1].

ولن تكون الإسلامية واقعاً حياً إلا إذا اجتمع الفكر والسلوك، أو النظرية والتطبيق، ولن تصل هذه الإسلامية إلى عقول الناس وقلوبهم إلا بالقدوة والمشاركة البنّاءة في كل مشاكل الناس، واتخاذ أساليب العلم والتكنولوجيا في معركة الإسلام ضد أعدائه"[2].

النتاج الأدبي للكيلاني في المرحلة الثالثة :

الشعر :

١. "عصر الشهداء" : يشتمل هذا الديوان على ثمانٍ وعشرين قصيدة، وفيها عدد من القصائد التي لم يلتزم فيها بالوزن والقافية، وقد حاول في هذا الديوان أن يكشف معاناة العالم الإسلامي.[3] وهو يقول عن الفن :

"أريدُ الفنَّ مُنْطَلِقاً يَقُودُ خُطَاكَ للنَّصْـــــرِ
يُوَاكِبُ وَثْبَةَ الأحْرَارِ نَحْوَ طَلائِعِ الفَجْــرِ
وَيَحْدُو كلَّ قَافِلَةٍ تُصَارِعُ غَضْبَةَ الشَّــــرِّ
يَمُدُّ رِبِيْعَهُ الفَيْنَان فوق مَطارِحِ القَفْــــرِ
يُزَوِّدُ رَكْبَنَا الظَّامِئَ مِنْ يُنْبُوعِهِ الثَّـــــرِّ

---

[1]- أعداء الإسلامية ، ص ٨.

[2]- المصدر نفسه، ص ١٨ .

[3]- العريني : الاتجاه الإسلامي في أعمال نجيب الكيلاني القصصية ، ص ٢٢.

يُطِلُّ على وُجُومِ الليلِ والمَجهُولِ كالبَدْرِ
أريدُ الفنَّ مُمْتَزِجاً بِرُوحِ الحَقِّ والخَيْــرِ
أريدُ الفنَّ قُرْآناً يُدَاهِمُ مَجْمَعَ الكُفْـــــرِ"[1]

٢. "كيف ألقاك" : "يضم هذا الديوان أربعاً وعشرين قصيدة، ويقول في بعض أبيات قصيدته " مرثية القرن الرابع عشر الهجري":

أيُّهَا النُّوَّامُ لا تَسْتَرْسِــــلوا	وَارْهفوا السَّـــــمْعَ لِذَيَّاكَ الأذَان
نَحْنُ بالتوحيدِ أقوى أمَّـــــةٍ	ومع الإيمانِ في أسْـــــمَى مَكان
إنَّمَا النَّصرُ لِشَعْبٍ مؤمـــــنٍ	لا للهْوِ وخُنُـــــــوعٍ وَقِيَـــان
والمَواثيقُ التي نَصنَعُهـــــا	نَكْبَةٌ ما لم تُدَعَّمْ بالسِّـــــــنَان
إنّما السَّيفُ على أيامِـــنَــا	مثلُ عصرِ الغَابِ أقوى في البَيان
القوى العُظمَى جُحُـودٌ وأذَى	وشِعَاراتُ خُنُوعٍ وامْتِهَـــــــان
لوَّثَتْ وجْهَ الهُدَى عامِـــدَةً	ذاك عُرْفٌ سَـــــائِدٌ في كلِّ آن
هكذا التاريخُ قدْ علَّمَنَـــــا	وَوَعَيْنَا الدَّرْسَ منْ قَـاصٍ ودَان
أتُرى نَبْرَأُ مِنْ أوْهَامِنَـــــا	أتُرى يا قَرْنُ قَدْ فَـــاتَ الأوَان؟"[2]

---

[1]- الكيلاني ، عصر الشهداء ، (مؤسسة الرسالة : بيروت، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م) ط٣، ص ١٦.

[2]- الكيلاني ، كيف ألقاك ، (مؤسسة الرسالة : بيروت ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م) ط٢، ص ٣٨.

٣. "مهاجر": فيه من القصائد ثمانٍ وعشرون قصيده وفيها قصيدة بعنوان "ذكرى الإمام الشهيد" يقول فيها :

نَاديتَ يا "حسَنُ البَنَّا" فما رجَعَتْ رُبُوعُنَا غيرَ أصدَاءِ مِنَ الحَـزَنِ
غَالُوكَ في ليلةٍ ظَلمَاءَ كَالحَـــة وغيَّبُوا قَلْبَكَ المعْطَاء في كَفَـــنِ
ظنُّوا دماءَك تُطفي مِن سَخيمَتِهِم وتُخْمِدُ الثَّورةَ الكبْرى مـــعَ الزَّمَنِ
غَالوكَ كي يحفَظُوا للمُلْك هَيْبَتَهُ ويُصلِحُوا مَا أصَابَ"القَصرَ"مِن وَهنِ
وَحقّقُوا لِبَنِي صهْيُون غَايتَهـــم إذْ دَبَّروا كَيدَهُم في مَحْفَل نَتِـــنِ
كَنَائس جَلجَلَتْ أجْرَاسُها طَرَبَــاً ورَتّلوا صَلوَاتِ المَذبَحِ الأسِـــنِ
يا قَلبُ ما لكَ لا تَنْشَقُ مُنفَطِــرَاً مِن الخُطُوبِ ولا تَنْفَضَ مِن شَجَنِ[1]

٤. "مدينة الكبائر" : وفيه سبع وعشرون قصيدة، وعن "مدينة الكبائر" يقول:

يا أيها المسافرُ التَّعِس
لا تنزلقْ إلى الدَّنَسِ
هُنَاكَ في مدينةِ الكبائرِ
يُمَارِسُ الرِّجَالُ والنِّسَاءُ كلَّ شيءٍ
وليْسَ مِن شَرائعِ المدينَةِ
تَسَاؤلٌ عنِ الحَرَامِ والحَلالِ[2]

---

[1]- الكيلاني ، مهاجر ،(مؤسسة الرسالة : بيروت ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م) ط٢، ص ٧٧.
[2]- الكيلاني، مدينة الكبائر،(مؤسسة الرسالة:بيروت،١٤٠٩هـ/١٩٨٨م) ط١، ص ٥٦.

الرواية :

١. "ليالي تركستان" : رواية تاريخية تروي قصة صراع أهالي تركستان المسلمين في مواجهة المد الشيوعي الزاحف للحفاظ على هويتهم ودينهم وثقافتهم، مع ما لاقوه من تعذيب وتهجير وتشتيت، وتدور أحداث هذه الرواية في عام ١٩٣٠م عند احتلال الصين لتركستان الشرقية، واحتلال روسيا لتركستان الغربية.[1]

٢. "عمالقة الشمال" : هي رواية تاريخية تروي قصة الصراع في نيجيريا في فترة ما بين ١٩٦٥-١٩٧١م، وقد نستطيع اعتبارها رواية رمزية إذا جعلنا "عثمان" بطل الرواية رمزاً لنيجيريا الشمال، و"جاماكا" بطلة القصة رمزاً لنيجيريا الجنوب، فالتقاؤهما رمز لاتحاد نيجيريا بشقيها الشمالي والجنوبي، المسلم وغير المسلم، (مع ما حصل من إسلام جاماكا بعد ذلك).[2]

٣. "عذراء جاكرتا" : هذه الرواية من الروايات الإسلامية التي سجلت صراع شعب مسلم في سبيل الحفاظ على دينه ومبادئه، وتدور أحداثها في أندونيسيا وعاصمتها جاكرتا، والانقلاب الشيوعي فيها عام ١٣٨٤ هـ/١٩٦٥م[3]. وقد تُرجمت هذه الرواية إلى اللغة التركية [4].

---

[1]- انظر : ليالي تركستان، (دار النفائس : بيروت، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م) ط٨.

[2]- انظر : عمالقة الشمال،(دار النفائس : بيروت ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م) ط٩، ص ١٨٤.

[3]- انظر : العريني ، الاتجاه الإسلامي في أعمال نجيب الكيلاني القصصية ، ص ٣٦.

[4]- انظر : المصدر نفسه ، ص ٢٩ .

٤. "دم لفطير صهيون" أو "حارة اليهود" : هذه الرواية تتحدث عن اعتقاد لدى اليهود بالعجين المقدس المعجون بدم مسيحي، وكيف أن الحاخامات اليهود في حارة اليهود بدمشق قد قاموا بقتل قسٍّ مسيحي واعتصروا دمه ليعجنوا به عجينهم المقدس، وقد انكشف أمرهم بعد ذلك وسبَّبَ ذلك فضيحة كبيرة في ذلك الوقت. وأحداث هذه الرواية واقعية وموثقة بالوثائق الرسمية التي أرفقها الكيلاني في آخر روايته تلك. ومكان هذه الرواية "دمشق" فيما بين الفترة من فبراير ١٨٤٠م حتى سبتمبر من نفس العام[1].

٥. "قاتل حمزة" : رواية تاريخية، تتناول قاتل "حمزة" رضي الله عنه وهو "حبشي" الذي أسلم بعد ذلك، وهذه الرواية تستفيض في وصف حالة "حبشي" النفسية قبل وخلال وبعد قتله لـ"حمزة" رضي الله عنه.[2]

٦. "عمر يظهر في القدس" : كتب الكيلاني هذه الرواية في دبي عام ١٩٧٠م، وهي رواية سببت ضجة ونقداً كبيرين للكيلاني، بسبب اختلاف الآراء لدى النقاد والعلماء المسلمين في مدى جواز استخدام الأديب لشخصيات إسلامية لها احترام وتقديس في أعمال أدبية، فالكيلاني كتب هذه الرواية التي تذكر أن الخليفة الصحابي "عمر بن الخطاب" رضي الله عنه قد ظهر في القدس بعد احتلالها ويبين ردة فعله، وهو الذي استلم مفاتيحها في وقت خلافته، ويقول د. محمد حسن

---

[1]- انظر : حارة اليهود، (دار البشير للثقافة والعلوم : طنطا، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م) ط١.

[2]- انظر : قاتل حمزة ، (مؤسسة الرسالة : بيروت، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م) ط٩.

بريغش :"عمر هنا ليس شخصية تاريخية مضت وانقضى عصرها، بل هو المسلم الحقيقي في كل عصر، المسلم الذي يعاني هذه الأزمات، ويكتوي نار الغربة والقهر والحرب، ويجاهد بإخلاص حاملاً الحب والخير للإنسان في هذا العالم"[1].

٧. "الظل الأسود" : رواية إسلامية تتحدث عن أثيوبيا[2]، ومقتل الامبراطور "أياسو" واستيلاء "هيلاسلاسي" على الحكم في الحبشة[3]، ويقول د. العريني: "لقد سُحبت هذه الرواية من المطبعة قبل سنوات، وعندما قابلتُ د. نجيب الكيلاني للمرة الأولى في ١٤٠١/٦/١٧هـ فإنه قد ذكر لي أن هذه الرواية في جملة الروايات التي لا سبيل إلى الحصول عليها"[4]. وقد ذكر الكيلاني أن هذه الرواية فُقدت في بيروت ولم يعثر عليها إلا بعد خمسة عشر عاماً، ودفع فيها مبلغاً كبيراً من المال حتى يستردها[5].

---

[1]- بريغش ، د. محمد حسن ، دراسات في القصة الإسلامية المعاصرة ، (مؤسسة الرسالة : بيروت ، ١٩٩٤م) ط١، ص ٢٠٣.

[2]- انظر : مجلة المجتمع الكويتية ، العدد ١٦٤٢، ٢صفر ١٤٢٦هـ/١٢/٣/٢٠٠٥م، كتب محمود خليل تحت عنوان : في ذكراه العاشرة ، د. نجيب الكيلاني .. رائد القصة الإسلامية، ص ٤٨.

[3]- انظر : العريني ، الاتجاه الإسلامي في أعمال نجيب الكيلاني القصصية، ص ٣٧.

[4]- انظر : المصدر نفسه ، ص ١٨ .

[5]- لمحات من حياتي ، ج٤، ص ٢١٥ .

٨. "رحلة إلى الله" : هذه الرواية هي تسجيل لما حصل مع الإخوان المسلمين في سجون "عبد الناصر"، وهي تسجيل واقعي صادق، والكاتب يُعدّ من أقدر الناس على تسجيل ذلك لأنه عايش هذا الواقع بنفسه لسنوات، وهذه الرواية هي نوع من ردة فعل عند الكيلاني في أنه ذكر أنه نذر لله نذراً أن يثأر من الطاغية "حمزة البسيوني"[1] حياً أو ميتاً بطريقته الخاصة لما كان يرتكبه من جرائم في حق المعتقلين من الإخوان المسلمين، وقد أطلق عليه اسم "عطوة الملواني"[2] تجنباً لمشاكل التقاضي وطلب التعويضات كما قال[3]. وهو أيضاً قد خلد صديقاً له مات تحت التعذيب ثم ادّعت المخابرات المصرية أنه قد هرب من المعتقل، وهو "محمود صقر" وسنعود لهذه الشخصية ثانية في الفصل المخصص للحديث عن الشخصيات المميزة في الباب الثاني إن شاء الله.

٩. "نور الله" : رواية في جزئين، تتحدث عن نشأة الدعوة الإسلامية في وقت البعثة المحمدية، وتركز على دور المنافقين وأحوالهم النفسية، والصراع القائم بين المسلمين وبين اليهود.[4]

---

[1]- حمزة البسيوني : قائد السجن الحربي ، ورائد التعذيب لشباب الإخوان ورجالاتهم. انظر : لمحات من حياتي، ج٥، ص ٢٠٢.

[2]- انظر : الكيلاني، رحلة إلى الله، (دار الوثائق : الكويت) د.ط، د.ت، ص ٥.

[3]- لمحات من حياتي، ج٥، ص ٢٠٣.

[4]- انظر : نور الله ، (مؤسسة الرسالة : بيروت ، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م) طبعة جديدة ومنقحة، ج١و٢.

١٠. "مواكب الأحرار" أو "نابليون في الأزهر"[1] : رواية إسلامية تاريخية، تقع أحداثها في بولاق في أواخر القرن الثامن عشر، وتذكر مقاومة الشعب المصري المسلم لحملة نابليون[2] على مصر.[3]

١١. "رمضان حبيبي" : تتناول هذه الرواية ما حدث في معركة العاشر من رمضان، السادس من أكتوبر عام ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.[4]

١٢. "حكاية جاد الله" : ترسم هذه الرواية لنا صورة دقيقة لحياة السجّان "جاد الله" والحياة في المعتقلات المصرية، وحال السجانين النفسية والمادية، ولعل هذه الرواية الفريدة من نوعها في تصديها لمحاولة تصوير نفسية السجان غير المتعلم، وطريقة تعامله مع المساجين، وتطبيقه للقوانين

---

[1]- ذكر د. محمد حسن بريغش في كتابه : دراسات في القصة الإسلامية المعاصرة، ص ٧٥ أن هذه الرواية قد نشرت بهذين الاسمين في مرتين مختلفتين.

[2]- نابليون الأول : ١٧٦٩-١٨٢١م، تخرج ضابطاً في المدفعية، استرعى إليه الأنظار ورقي إلى رتبة جنرال ثم عين قائداً للحملة الإيطالية التي جعلت انتصاراته الرائعة فيها بطل فرنسا المرموق، وضع خطة لضرب الإنجليز في الشرق باحتلال مصر، فأرسل حملة نزلت بمصر في أول يوليو ١٧٩٨، وسحق المماليك في الرحمانية ومعركة إمبابة، ثم خرج إلى سوريا ولكنه أخفق أمام حصون عكا المنيعة، وعاد إلى فرنسا، وفي ١٨١٣ تكون تحالف دولي ضده مكون من روسيا وبروسيا وإنجلترا والسويد ثم انضمت إليه النمسا فهُزم نابليون في معركة واترلو الفاصلة ١٨١٥ فنزل عن العرش ونُفي إلى سنت هيلانة حيث مات هناك. انظر : غربال ، الموسوعة العربية الميسرة، ج٢، ص ١٨١٣.

[3]- انظر : مواكب الأحرار ، (مؤسسة الرسالة : بيروت، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م) ط٦.

[4]- انظر : العريني ، الاتجاه الإسلامي في أعمال نجيب الكيلاني القصصية، ص ٣٦.

بصرامة، مع تهريبه للحشيش والأفيون للمساحين إذا دفعوا له مقابل ذلك، وهي رواية غنية بالتقلبات النفسية لهذه الشخصية الرئيسة في هذه الرواية.[1]

١٣. "أرض الأنبياء" : يدور موضوع هذه الرواية حول قيام الدولة الصهيونية في فلسطين عام ١٩٤٨م.[2]

١٤. "ابتسامة في قلب شيطان" : عدّها د. العريني من الروايات المفقودة.[3] ولم أجدها كذلك.

١٥. "رجال وذئاب" : كتبها الكيلاني في دبي عام ١٩٨٥م، وهي رواية تصور حال مصر في عهد "عبد الناصر"، وحال المستشفيات والجامعات وبالأخص كليات الطب، وما فيها من أطباء وممرضات وأساتذة وحكايات، والملخص لها كلها هو انقسام الناس إلى :

رجال: تتجسد فيهم الرجولة الحقة بما فيهم من شهامة وخلق ودين.

وذئاب : يجسدون الشر والرذيلة والدناءة.

وهذه الرواية ككل الأعمال الأدبية تحتوي على الصراع بين الخير والشر أي بين الرجال وبين الذئاب.[4]

---

[1]- انظر : حكاية جاد الله، (مؤسسة الرسالة : بيروت ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م) ط٢.

[2]- العريني ، الاتجاه الإسلامي في أعمال نجيب الكيلاني القصصية ، ص ٣٦.

[3]- العريني ، الاتجاه الإسلامي في أعمال نجيب الكيلاني ا لقصصية، ص ٢٠.

[4]- انظر : رجال وذئاب ، (مؤسسة الرسالة : بيروت، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م) طبعة جديدة ومنقحة.

١٦. "ليالي السهاد" : كتبها الكيلاني في ١٩٨٤م، وهي رواية عن مهندس معماري اعتقل بسبب انتمائه للإخوان المسلمين، ثم أُفرج عنه، وتذكر المصاعب التي واجهها في سبيل إيجاد عمل شريف له، مع تخوف الناس من التعامل معه لسوابقه تلك، ثم الحرية التي يحصل عليها ليغادر مصر إلى بعض دول الخليج العربي لينطلق بعيداً عن سلطة عبد الناصر وأعوانه.[1]

١٧. "أهل الحميدية" : رواية تتحدث عن أمور مكررة في روايات الكيلاني، كالطبيب وممارسته لمهنته وذلك في "عبد المغيث" بطل الرواية وعمله طبيباً في قريته "الحميدية" ودخوله السجن.[2]

١٨. "ملكة العنب" : هذه الرواية من آخر الروايات التي كتبها الكيلاني فقد كتبها في قريته "شرشابة" عام ١٩٩١م، وقد نشرت للمرة الأولى في عام ٢٠٠٠م، ويعتبرها النقاد من أفضل الروايات الإسلامية التي عالجت قضايا الشعب المصري بوجهة نظر إسلامية واضحة. فيقول د. محمد حسن بريغش :"الكاتب في هذه الرواية ودَّعَ التردد الذي كان ينتابه – كما يبدو لي – عند كتابة قصصه، هذا التردد الذي يجعله وسطاً بين منحى الأدب الإسلامي الأصيل، ومنحى المذاهب الأخرى المستقاة من المذاهب الغربية، أياً كانت مسمياتها، ومصادرها، وعبّر بحق عن أصالة أدبه الإسلامي ولم يخشَ النقاد الذين لا يرضون إلا بكل غريب مستغرب، أو صورة منكرة، أو

---

[1]- انظر : ليالي السهاد ، (مؤسسة الرسالة : بيروت ، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م) ط٥.

[2]- انظر : أهل الحميدية ، (مؤسسة الرسالة : بيروت، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م) ط١.

أسلوب يرتدي أزياء العلمانيين"[1]. وهذه الرواية تتحدث عن "ملكة العنب" وهي فتاة استطاعت أن تكون أنموذجاً حياً طوال الرواية للفتاة المسلمة في قوتها وتأثيرها في مجتمعها، وفي نفس الوقت تمسكها بحيائها وأدبها كفتاة. وهناك صراع دائر في هذه الرواية بين شريحة من المجتمع المصري المحافظ المتمسك بدينه بفطرته، وبين شريحة أخرى من الذين يحاولون إلصاق التهم بالدعاة في مختلف الأماكن ومختلف العصور، وقد يكون ذلك بسبب منافع شخصية لهم، أو رغبة في التقرب من السلطة والحكم، وقد تعرض الكاتب أيضاً لقضية حرب الخليج واحتلال العراق للكويت وما تبع ذلك من وويلات أصابت الأفراد أكثر مما أصابت الحكومات والدول.[2]

١٩. "اعترافات عبد المتجلي" : كتبها الكيلاني في عام ١٩٨٩ وهي قصة طويلة تتناول قضية سرقة ونش[3] ثم تصدي "عبد المتجلي" للبحث عن سارقه، وهي قصة تجمع بين الطرافة والألم، فهي تتحدث عن رغبة صادقة وإخلاص من "عبد المتجلي" غير ملائمة للبيئة التي يحيا بها ولا الزمن الذي يعيش فيها، حيث صارت السرقة شطارة، والكذب ذكاء، واختلطت المفاهيم بل انقلبت أو كادت. وقد جرَّ البحثُ عن سارق الونش لـ"عبد المتجلي" ملاحقة من المخابرات والشرطة له، ثم تحقيقاً واعتقالاً وتعذيباً.[4]

---

[1]- بريغش ، دراسات في القصة الإسلامية المعاصرة ، ص ١٢٥.

[2]- انظر : الكيلاني، ملكة العنب،(مؤسسة الرسالة : بيروت ، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م) ط١.

[3]- الونش : هو الرافعة التي باستطاعتها رفع أثقال كبيرة جداً كالسيارات وغيرها.

[4]- انظر : الكيلاني، اعترافات عبد المتجلي، (مؤسسة الرسالة : بيروت، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م) ط٣.

٢٠. "امرأة عبد المتجلي" : هي الجزء الثاني لرواية "اعترافات عبد المتجلي" وهي تكمل أحداث تلك الرواية ولكن مع تركيز على زوج "عبد المتجلي" التي كان لها نشاط تجاري واسع في القرية.[1]

٢١. "حبيبتي سراييفو" : تدور هذه الرواية حول مشكلة البوسنة والهرسك.[2]

٢٢. "حمامة سلام" : يدور صراع بين الحاج "عبد الودود" وبين الفلاحين الفقراء الذي يعملون في أرضه، ويحاول كل فريق إثبات أنه الأقوى، فالفلاحون يعمدون إلى مزارع الحاج فيحرقونها، وإلى ماشيته فيتقلون بعضها، ويسرقون بعضها الآخر، وإلى محصول القطن فيشعلون فيه النار، ثم تنهض "سكينة" الفتاة الشابة زوج الحاج "عبد الودود" فتمثل دور "حمامة سلام" بين زوجها وأهل قريتها ويتم الصلح ويعم السلام أرجاء القرية.[3]

٢٣. "ليل الخطايا" : لم أستطع الحصول على هذه الرواية، وقد قال د. العريني عنها: "أدرك الكيلاني ما تنطوي عليه هذه الرواية من إغراء بالإثم، فرفض إعادة طبعها مرة ثانية، على الرغم من الإلحاح المستمر الذي يلقاه من أكثر الناشرين"[4].

---

[1]- انظر : الكيلاني، امرأة عبد المتجلي ، (مؤسسة الرسالة : بيروت ، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م) ط٣.

[2]- مجلة المجتمع الكويتية، العدد ١٦٤٢، ص ٤٨.

[3]- انظر :الكيلاني، حمامة سلام ،(مؤسسة الرسالة : بيروت، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م) ط٤.

[4]- العريني ، الاتجاه الإسلامي في أعمال نجيب الكيلاني القصصية، ص ٩٨.

٢٤. "قضية أبو الفتوح الشرقاوي" : تدور أحداثها عن "أبو الفتوح الشرقاوي" الذي يقدم شهادته على جريمة قتل وقعت في القرية، ليفتح عليه أبواباً من التحقيقات والتعقيدات التي لم يحسب لها حساباً.[1]

٢٥. "الرّجل الذي آمن" : تحكي قصة شاب موسيقي إيطالي جاء ليعمل في "دبي" فاعتنق الإسلام بعد معاناة وقلق نفسي وحيرة وتردد، ويصف الكيلاني التغيير الكبير الذي حصل له ثم اعتناقه للإسلام وتأثيره عليه.[2]

٢٦. "أميرة الجبل" : تتحدث هذه الرواية عن "مريم" ابنة شيخ قبيلة الشحوح التي تقطن في الجبال بجانب دبي والفجيرة، التي تهرب من سيطرة التقاليد التي تحكم القبيلة لتتزوج طبيباً التقته في المستشفى عندما دخلته للعلاج.[3]

٢٧. "مملكة البلعوطي" : هذه الرواية تعتمد بشكل شبه كليٍّ على سيرة حياة جد الكيلاني لأبيه "إبراهيم"، ومعظم الشخصيات في الرواية هم شخصيات حقيقية، ولم يغيّر الكيلاني من أسماء معظمهم.[4]

٢٨. "على أبواب خيبر" : وهي رواية تسلط الضوء على غزوة خيبر وغدر اليهود منذ بداية الدعوة الإسلامية في المدينة المنورة[5].

---

[1]- انظر : الكيلاني، قضية أبو الفتوح الشرقاوي، (مؤسسة الرسالة : بيروت ، ١٤٢٠ هـ/١٩٩٩م) ط٢.

[2]- انظر :الكيلاني،الرجل الذي آمن،(مؤسسة الرسالة: بيروت، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م) ط٣.

[3]- انظر : الكيلاني، أميرة الجبل، (دار ابن حزم : بيروت، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م) ط١.

[4]- انظر :الكيلاني،مملكة البلعوطي،(مؤسسة الرسالة:بيروت ، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م) ط١.

[5]- انظر : على أبواب خيبر،(طنطا: دار البشير للثقافة والعلوم،٢٠٠١م) ط١، ص١٠.

قصص قصيرة :

١. "الكابوس" : فيها ست عشرة قصة، "كثير منها يمثل بعض تجارب الكاتب في سنواته الأخيرة، وهي في مجملها تحمل تصور الكاتب في قضايا مهمة، بعضها سياسي، وبعضها فكري، وبعضها اجتماعي"[1]. أولها "الكابوس" وهي قصة متخيلة كمحاكمة لـ"عبد الناصر"، وقد يقصد منها الكاتب محاكمة الأنظمة المستبدة في كل مكان[2].

٢. "فارس هوازن" : تحتوي على إحدى عشرة قصة قصيرة، أولها قصة "فارس هوازن" والمقصود به "مالك بن عوف" زعيم قبائل هوازن التي قاتلت المسلمين في غزوة حنين، ثم قصة أخرى بعنوان "أحزان ملك" تتحدث عن "جبلة بن الأيهم" ملك غسان.[3]

مسرحية :

"محاكمة الأسود العنسي" : مسرحية من ثلاثة فصول، تتحدث عن "الأسود العنسي" الذي ادّعى النبوة، ثم مقتله في آخر المسرحية.[4]

---

[1]- بريغش، دراسات في القصة الإسلامية المعاصرة، ص٩٨.

[2]- انظر : الكيلاني، الكابوس وقصص أخرى، (مؤسسة الرسالة : بيروت، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م) ط٤، ص٥.

[3]- انظر : الكيلاني، فارس هوازن وقصص أخرى، (مؤسسة الرسالة : بيروت ، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م) ط٣.

[4]- انظر : الكيلاني، محاكمة الأسود العنسي، (دار ابن حزم : بيروت ، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م) ط١.

دراسات :

١. "أعداءِ الإسلامية": كتب الكيلاني هذا الكتاب في شرشابة في ١٩٧٧م، وقد شرح أولاً ما هي "الإسلامية"، ثم تحدث عن الحضارة الإسلامية وملامحها ومميزاتها، ثم عدّد أعداء الإسلامية وهم الصليبية والاستعمار والصهيونية كدين وسياسة وفكر وفن ثم المادية والماركسية.[1]

٢. "تحت راية الإسلام" : هذا الكتاب هو مجموعة كتابات الكيلاني في بعض الصحف العربية والإسلامية وأحاديث إذاعية تجمع بين الحوار الواعي الدقيق، والدراسات الفكرية المختلفة، جمعها في ١٩٧٩م، كما كانت إجابات لاستفسارات من الإخوة العاملين في حقل الثقافة الإسلامية. وهناك بعض موضوعات على لسان ما أسماه "شيخه".

ويقول الكيلاني :" قصدتُ من وراء تلك الموضوعات التنبيه لعناصر هامة في حياتنا العامة، وآمل أن تلاقي مزيداً من التمحيص والدراسة في مختلف المجتمعات الإسلامية"[2].

---

[1]- انظر : الكيلاني ، أعداء الإسلامية.

[2]- انظر : ألكيلاني، تحت راية الإسلام، (مؤسسة الرسالة : بيروت، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م) ط٣، ص ٦.

٣. "نحن والإسلام" : يتناول هذا الكتاب عدة موضوعات من أهمها : "الشخصية الإسلامية" و"الغزو الفكري" و"اضطراب التصور الديني" و"أوهام الفن وأوهام الجيل" و"الإسلامية في شعر أمير الشعراء".[1]

٤. "رحلتي مع الأدب الإسلامي" : من أهم الأمور التي أوضحها الكيلاني في كتابه هذا هو مراحل تدرجه أديباً، فقد قسّم حياته إلى ثلاث مراحل، ثم بيّن موقف النقاد منه، وتحدث عن الرواية الإسلامية بين النظرية والتطبيق، وقدّم نماذج لكتابات النقاد حول بعض القصص والمؤلفات للكيلاني، وحوار له مع مجلة "المختار الإسلامي"، ولقاء مع مجلة "الشهاب الإسلامي" البيروتية[2].

٥. "آفاق الأدب الإسلامي" : كتبه الكيلاني في دبي في ١٩٨٤م، وتحدث فيه عن آفاق الأدب الإسلامي، ووظيفة النقد في المجتمع الإسلامي، والأدب الإسلامي وعلاقته بالمجتمع والحياة، وفن المتعة والتسلية، ثم تناول السينما العربية وما يتأمله لها[3].

٦. "لمحات من حياتي" : هذا الكتاب هو سيرة ذاتية للكيلاني، وهو مكوّن من ستة أجزاء.

---

[1]- انظر: الكيلاني، نحن والإسلام،(مؤسسة الرسالة:بيروت ، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م) ط١.

[2]- انظر : رحلتي مع الأدب الإسلامي.

[3]- انظر : آفاق الأدب الإسلامي، (مؤسسة الرسالة : بيروت ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م)ط١.

٧. "مدخل إلى الأدب الإسلامي" : من أهم الموضوعات التي تناولها هذا الكتاب هي : مفهوم "الأدب الإسلامي"، وأنه مصطلح صالح لكل العصور، و"البطل في الأدب الإسلامي"، و"أخطار تتهدد الأدب الإسلامي"، ومن أهمها "الفلسفات الحائرة أو الجانحة التي غزت عالمنا، وأثار سؤالاً هو: إلى أي شيء ترمز شخصية المرأة في أي عمل أدبي؟ و"علاقة الأديب بمجتمعه"، و"أدب الأطفال" وأهمية علم النفس فيه[1].

٨. "حول المسرح الإسلامي" : كتب الكيلاني هذا الكتاب في ١٩٨٣م، وقال عن كتابه هذا :"حاولتُ في هذه الدراسة أن أبحث في العلاقة بين الدين والمسرح، وأن أتبين مقصد القرآن الكريم في القصة للمثل والعبرة وإنارة الفكر، وما تحمله من أهداف أخرى، كما تطرقت إلى شكل المسرح وقواعده، وكذلك الأفكار والموضوعات التي يتطرق إليها المسرحيون، ومحاولة النظر إليها في ضوء العقيدة الإسلامية، وكذلك الفلسفات والمذاهب المعاصرة وجدواها، وعقد مقارنة بسيطة مبدئية بينها وبين الأصول العقيدية في الإسلام"[2].

وقد تطرق لموضوع مشاركة المرأة في المسرح، ولغة المسرح، وقدم عشرين مقترحاً، إلى جانب دراسة تطبيقية لمسرحيات هي : "الشيطان

---

[1]- انظر : مدخل إلى الأدب الإسلامي، ص٦٤و١١٠و١١٥.

[2]- انظر : الكيلاني، حول المسرح الإسلامي، (مؤسسة الرسالة : بيروت ، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م) ط١، ص ٩.

يسكن في بيتنا" لـــ د. "مصطفى محمود"[1]، و"حبل الغسيل" و"الدنيا فوضى" لـــ "علي أحمد باكثير"، و"باب الفتوح" لـــ "محمود دياب"[2]، و"الحسين ثائراً" و"الحسين شهيداً" لـــ "عبد الرحمن الشرقاوي"[3].

٩. "نحو مسرح إسلامي" : هو ورقة عمل قدمها الكيلاني في "المهرجان الوطني للتراث والثقافة" في الرياض، وقد تطرق في هذه الورقة للحساسية تجاه مصطلح المسرح الإسلامي، ورسالة المسرح، وموقف

---

[1]- مصطفى محمود : لم أستطع أن أجد له ذكراً في كتب الأعلام.

[2]- محمود دياب : ١٩٣٢-١٩٨٣م، كاتب مسرحي ، روائي، ولد بمصر وكان محامياً، وعين أستاذاً للمسرح في معهد المسرح بالقاهرة، له في القصة : خطاب من قبلي، الظلال في الجانب الآخر، وكتب في المسرحية : البيت القديم، والزوبعة، وليالي الحصاد، والإخوة الأعداء، وأرض لا تنبت الزهور. انظر : أباظة والمالح، إتمام الأعلام، ص ٤٢٦.

[3]- عبد الرحمن الشرقاوي : ١٩٢٠-١٩٨٨م، قاصّ روائي مسرحي من الشعراء، حصل من جامعة القاهرة على إجازة الحقوق، عمل مفتشاً للتحقيقات بوزارة التربية، ثم تفرغ للكتابة واشتغل بالصحافة، فعين رئيساً لمجلس الإدارة بمؤسسة روز اليوسف وانضم إلى كبار الكتاب في جريدة الأهرام، كان أميناً عاماً للمجلس الأعلى للفنون والآداب بدرجة وزير، وعضواً في لجنة تحكيم أكبر جوائز منظمة اليونسكو الثقافية، وعضواً باتحاد الإذاعة والتلفاز، وبجمعية الأدباء المصريين واتحاد الكتاب العرب ونادي القصة، منح عدداً من الجوائز : منها جائزة الدولة التقديرية في الأدب ووسام الأدب والفنون من الطبقة الأولى، من دواوينه : أرض المعركة، رسالة من أب مصري إلى الرئيس ترومان، ورواياته : الأرض، وقلوب خالية، وثأر الله، وأئمة الفقه التسعة، وله مسرحيات شعرية متعددة. انظر : أباظة والمالح، إتمام الأعلام ، ص ٢٢٤-٢٢٥.

رجال المسرح وعلماء الدين من بعض القضايا، وتحديد تصور مبدئي عن الرواية الإسلامية التي يخرج في إطارها المسرح الإسلامي ومفهومه.[1]

وقدّم مقترحات وأفكاراً لخطوات عملية تحقق من وجهة نظره ما يسمى بالمسرح الإسلامي، منها : تأصيل وتوضيح مفهوم المسرح الإسلامي، وإنشاء مراكز أو مؤسسات تعليمية وتدريبية خاصة بالمسرح الإسلامي، وإصدار نشرة دورية أو مجلة متخصصة في المسرح الإسلامي، وإشكالية "لغة المسرح"، و الكوميديا في المسرح الإسلامي، ثم بين أهمية إقامة مهرجانات للمسرح الإسلامي بصفة دورية، وتوظيف ما يتوفر لدينا من تكنولوجيا مسرحية حديثة في مسارحنا الصغيرة والكبيرة.

١٠. "أدب الأطفال في ضوء الإسلام" : يقول الكيلاني عن هذا الكتاب :"هو محاولة متواضعة، في وضع تصور صحيح لمفهوم أدب الأطفال، على ضوء تعاليم الإسلام وتجربته الحضارية الفذة .. أو بمعنى آخر "أسلمة" أدب الأطفال، دون إهدار للقيم الجمالية لكل نوع من أنواعه .."[2]

---

[1]- انظر : الكيلاني، نحو مسرح إسلامي ، (دار ابن حزم : بيروت، ١٤١١هـ/١٩٩٠م) ط١. ص ٥ و ٩٢.

[2]- الكيلاني، أدب الأطفال في ضوء الإسلام، (مؤسسة الرسالة : بيروت، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م) ط٢، ص٥.

تعرض نجيب الكيلاني في هذه المرحلة الهامة من مسيرته لكثير من الأمور، وبين رأيها فيها، وآراؤه تلك سجلها في كتبه المتفرقة هنا وهناك، إلا أنه لم يكتف بذلك بل لعل هذه الأمور هي التي كان لها الاهتمام الأكبر عنده عندما كتب رواياته في تلك الفترة، فقد ضمن رواياته آراءه كلها، وسوف نحاول أن نستعرض هذه الآراء ونقابل بها ما جاء في رواياته ضمناً مما يتعلق بكل واحدة. وأهم هذه النقاط هي :

١. الأدب الإسلامي :

الكيلاني يرى أن الأدب الإسلامي هو لسان حال الإسلام والمسلمين، ونظرته إلى الإنسان والكون والمخلوقات والأحداث نظرة نابعة من المسلّمات الدينية، وعقيدة التوحيد، والمفهوم الصحيح للدنيا والآخرة، والرسالة التي تم توصيفها للمسلم وفق ضوابط معينة.[1]

وأما ما يتعلق بإنتاجه الأدبي فإننا نرى أن هذا الفهم الدقيق لمصطلح الأدب الإسلامي قد التزم به في روايات عدة، ولكنه ولا شك حاد عنه قليلاً في بعضها الآخر، ومن الروايات التي نستطيع أن نوافقه على تسميتها روايات إسلامية : رواية "عمالقة الشمال"، و"عذراء جاكرتا"، و"ليالي تركستان"، و"ملكة العنب"، و"دم لفطير صهيون"، و"رحلة إلى الله"، و"مواكب الأحرار".

---

[1]- رحلتي مع الأدب الإسلامي ، ص٤.

ونجيب الكيلاني يهاجم "الماركسية"[1]، و"الوجودية"، و"الرأسمالية"[2]، ويقارنها جميعاً بالإسلام، فيقول عن الماركسيين :"إن لهم تفسيرهم الخاص النابع من نظريتهم الكلية، فهم يرون أن الطبقة العاملة صاحبة المصلحة ورمز الأغلبية، ومحط الاضطهاد، والاستغلال التاريخي، وهي صاحبة الحق الطبيعي في الحكم وتصريف الأمور. وتعتبر الماركسيةُ الدينَ مخدراً أو وسيلة يستند إليها المستغلون في السيطرة والخداع للجماهير"[3].

---

[1]- الماركسية : مذهب فكري يقوم على الإلحاد وأن المادة هي أساس كل شيء ويفسر التاريخ بصراع الطبقات وبالعامل الاقتصادي، وهم ينكرون وجود الله تعالى وكل الغيبيات، وشعارهم : نؤمن بثلاثة : ماركس ولينين وستالين (مؤسسي هذا المذهب)، ونكفر بثلاثة : الله و الدين والملكية الخاصة. انظر : الجهني ، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، ج٢، ص ٩٢٩-٩٣٤.

[2]- الرأسمالية : نظام اقتصادي ذو فلسفة اجتماعية وسياسية، يقوم على أساس إشباع حاجات الإنسان الضرورية والكمالية، وتنمية الملكية الفردية والمحافظة عليها، متوسعاً في مفهوم الحرية، معتمداً على سياسة فصل الدين نهائياً عن الحياة، ومن عيوبها : تحكم فرد أو أفراد قلائل بالأسواق تحقيقاً لمصالحهم الذاتية دون تقدير لحاجة المجتمع أو احترام للمصلحة العامة، والاحتكار والتطرف في تضخيم شأن الملكية الفردية، وابتزاز الأيدي العاملة، والبطالة، من أشهر الدعاة إليه : فرنسوا كنزني، جون لوك، تورجو، ميرابو. انظر : الجهني ، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، ج٢، ص ٩٢٠-٩٢٨.

[3]- رحلتي مع الأدب الإسلامي، ص٤١.

وهو يرى بذلك أن الماركسية والإسلام على طرفي نقيض، ثم يتساءل فيقول :".. فكيف يتشابه التعبير أو المفهوم بالنسبة للأدب أو الفن في مثل هاتين الحالتين؟"[1].

وهو يرد على الماركسية بقوله :"إن ارتباط مناهج الفكر والسلوك بالعقيدة الدينية أمر له أهميته القصوى، فالفرق شاسع بين إنسان يعمل في هذه الدنيا وليس وراء عمله إلا تحقيق الكسب والسعادة على وجه الأرض، وإنسان آخر يدرك أن الجزاء الحق في عالم آخر غير هذا العالم الذي يعيش"[2].

وأما ما نتج من أدب رأسمالي غربي أمريكي أو أوروبي فهو يراه ساخطاً رافضاً لكل القيم والمسلمات القائمة، وينتفض كالمصروع يعضّ ويرفس ويضرب بقبضاته في الهواء عشوائياً، ولا يعرف حلاً أو هدفاً لتمرده وسخطه ورفضه، سوى التدمير والتحطيم"[3].

وأما الوجودية : فالكيلاني يرى أنها "تفترض الحرية الكاملة والمطلقة للإنسان، ولا قيد على هذه الحرية إلا المسؤولية، وهذا صحيح في عمومه، لكن مسؤولية الوجوديين أمام مَنْ ؟؟ إنهم لا يؤمنون بالله ولا بكتابه، ولهذا

---

[1]- رحلتي مع الأدب الإسلامي ، ص٤٢.

[2]- أعداء الإسلامية ، ص٧٦ .

[3]- رحلتي مع الأدب الإسلامي، ص٤٣.

فإن "سقوط المسؤولية أمام الله" في الفكر الوجودي تجعلها مسؤولية شخصية تافهة خاضعة لأهواء النفس وتقلباتها وقدرتها، وخاضعة للسلطة القائمة"[1].

لذا يرى الكيلاني أنه أمام هذا التخبط الفكري العالمي المعاصر، فإن الحاجة تبدو ملحة إلى تصور أفضل واضح يملأ النفس بالثقة واليقين والاطمئنان. وتحقيق هذا الهدف لا يتم إلا في رحاب دين الله أو من خلال التصور الإسلامي للدنيا والآخرة[2].

٢. العلاقة بين الحاكم والمحكوم :

فهو يؤكد على عدة نقاط في هذا الأمر، وهي :

- الحاكم يأتي في ظل بيعة حرة، والعدالة لا تعرف صغيراً ولا كبيراً، طاعة الحاكم ثابتة ما أطاع الله فإن عصاه فلا طاعة له في رقبة أحد. ففي روايته "الرايات السوداء" يقول على لسان "الشيخ عبد الله" أنه يرى أن الدين والشرع لا يرضيان أن يصل الخلفاء إلى أريكة الحكم بالقوة والقهر والوعيد، ومن الممكن فهمه أكثر بتقريره للوضع القائم وقتئذٍ في العهد العباسي، بقوله :"إن البيعة تؤخذ أخذاً"[3].
- عدم جواز انفراد طبقة بالحكم، وذلك أيضاً أوضحه في روايته "الرايات السوداء" فهو ينكر على بني أمية وبني العباس كليهما

---

[1]- رحلتي مع الأدب الإسلامي ، ص٤٣.

[2]- انظر : المصدر نفسه ، ص ٤٣ .

[3]- انظر : الرايات السوداء، ص ٦٩.

انفرادهما بالخلافة، واستمرارهما في القضاء على كل من ينكر حقهما المزعوم بالخلافة.

- عدم جواز تمايز فئة بسبب صلتها بالحكم عن بقية الناس.[1]

٣. المرأة :

ليست المرأة محطاً للمتعة المجردة أو الوقتية، وليست كالرجل تماماً فيما يُناط بها من أعمال وواجبات .. لقد كرمها الله بحقوق فردية وتقدير وفضل كان في تاريخ البشرية أمراً لا شبيه له في جميع الحضارات[2].

والكيلاني يحمل على بعض الأدباء المعاصرين الذين يقعون في أخطاء جسيمة تسيء إلى نظرة الإسلام للمرأة، مثل تناول البعض لموضوع تعدد الزوجات، فيمعنون في تصوير الخلافات بين الزوجات، وموقف الزوج الجشع الحيواني بحيث يشمئز القارئ من هذا الأمر برمته، ويتخذ موقفاً رافضاً لهذا الحكم الشرعي الذي أباحه الله لحكم عديدة، أو إضفاء صورة الذليلة على المرأة في بيتها، السلبية التي لا رأي لها، متناسياً دور المرأة الواقعي والمؤثر في مجتمعاتنا العربية، إضافة إلى تشويه معاني الحب العواطف الإنسانية، فيقول الكيلاني

---

[1]- انظر : رحلتي مع الأدب الإسلامي، ص٤٤.

[2]- انظر : المصدر نفسه ، ص٤٤ .

:"ليست نساء العصر على نمط نساء "الثلاثية"[1] التي كتبها "نجيب محفوظ"، أو "أنا حرة" لــ "إحسان عبد القدوس"[2]. وفي المقابل يشير الكيلاني إلى تعدد العشيقات في المجتمعات الغربية، والإباحية المطلقة التي أوصلت المرأة إلى أن لا تعدو أن تكون مجرد دمية جميلة يتمتع بها الرجل ثم يرميها بعد أن يملّ منها"[3].

ولقد استطعنا أن نرى صورة جميلة مشرقة للمرأة المسلمة في "ملكة العنب" و"رحلة إلى الله"، و"عمالقة الشمال"، وهذه الأخيرة قد تكون أكثرها وضوحاً وذلك يتجلى في رفض "عثمان" بطل الرواية لإغراء

---

[1]- ثلاثية نجيب محفوظ : سلسلة أدبية مكونة من ثلاث روايات الأولى : بين القصرين، والثانية: قصر الشوق، والثالثة: السكرية، وقد تناول فيها نجيب مفوظ موضوعات مختلفة، لشخصيات واحدة تعالج موضوعاً واحداً هو تطور البورجوازية المصرية الصغيرة، مع أن كل رواية مستقلة عن الأخرى. انظر : التونجي، المعجم المفصل في الأدب، ج١، ص ٣٠٢.

[2]- إحسان عبد القدوس : ١٩١٩-١٩٩٠م، صحفي قصصي روائي، حصل على إجازة الحقوق وعمل في مجلة روز اليوسف التي أسستها والدته، كما عمل في غيرها من الصحف بمصر كاتباً ومحرراً ورئيس تحرير، اشتهر بالقصة القصيرة والرواية، أسس نادي القصة، وأنشأ سلسلة الكتاب الذهبي، مُنح جائزة الدولة التقديرية، استهوت رواياته الشباب وعُرضت أغلب قصصه في السينما والتلفاز، اتهمه النقاد ووصفوا أدبه بالإباحية، له : النظارة السوداء، ياعزيزي : كلنا لصوص، لن أعيش في جلباب أبي. انظر : أباظة والمالح، إتمام الأعلام، ص ٢٩.

[3]- رحلتي مع الأدب الإسلامي ، ص٧٤-٧٧.

"جاماكا" حتى بعد أن جاءته إلى بيته[1]، وذلك كله نابع من التزامه بدينه وشرعه.

أما في رواية "رأس الشيطان" فقد حاد الكيلاني قليلاً عن الصواب في تناوله لاستدراج "صفاء" بطلة الرواية لبعض الجنود الإنجليز باستخدامها لزينتها[2]، وقد كان العذر في ذلك هو الوطنية والدفاع عن البلد، وهذا العذر مرفوض، لأن هذا الأمر لا يجيزه الدين الإسلامي بحال من الأحوال، إضافة إلى استنكاف الرجل بشكل عام - والمسلم بشكل خاص - بطبعه عن أن يرضى بذلك لإحدى أقاربه مهما كان الهدف نبيلاً، فنبل الهدف لا يعطي ضوءاً أخضر لدناءة الوسيلة، ولا بد في نهاية القول هنا أن نذكر بأن رواية "رأس الشيطان" من نتاج المرحلة الثانية من مسيرة الكيلاني الأدبية وقد تناول هذا الموضوع بالنقد والاستنكار عددٌ من النقاد الإسلاميين مثل الدكتور عبد القادر القط[3]، والدكتور محمد حسن بريغش[4]، ولعله تجاوز ذلك في رواياته الإسلامية في مرحلته الثالثة التي نحن بصددها هنا. وذلك التجاوز يظهر في شخصية "ملكة العنب" فهي فتاة قوية، تاجرة، يحسب لها الرجال ألف حساب، ومع ذلك نراها لا تتخلى عن أدبها وحيائها، وكانت نموذجاً حياً

---

[1]- انظر : عمالقة الشمال، ص ١٨.

[2]- انظر : رأس الشيطان ، ص ٢١٢ وما بعدها.

[3]- رحلتي مع الأدب الإسلامي، ص ٥٢.

[4]- بريغش ، دراسات في القصة الإسلامية المعاصرة، ص ٩٥.

قوياً من أول الرواية إلى آخرها للفتاة المسلمة التي حظيت بدور فعّال إيجابي في مجتمعها.

٤. صلة الرحم :

إن هذه الصلة تعتبر ظاهرة تستحق العناية في أدب الكيلاني، والكيلاني بنفسه اعترف بذلك في قوله :"إن صورة الأب والأم في شعري ورواياتي ذات طبيعة خاصة، والعجيب أن أحد النقاد لفت نظري إلى ذلك، وأشار إلى أنني أُضفي على صورتها قداسة من نوع مميز، مع أن هناك أمهات وآباء يتسمون بسمات مغايرة"[1].

وهو يعتقد أن الحفاظ على كيان الأسرة وربطها بالمحبة والتعاون والإيثار، إنما هو البداية الصحيحة للحفاظ على كيان المجتمع الكبير كله. وهو يقرر أن الفلسفات المبتدعة في الغرب استطاعت أن تعمق من مأساة الأسر المنهارة والدمار الذي حل بالبيت الغربي، وأن هذه الفلسفات تزيد من تفاقم هذه المشكلة ومن آثارها المحطمة[2].

وقد ذكر الكيلاني قصة عمه الذي كان يحتاج للنقود فيعرض أرضه التي ورثها عن أبيه للبيع فيضطر والد نجيب الكيلاني لشرائها لقناعته التي لا تتزحزح بأن الأرض شرفهم وكرامتهم، ولا يجوز التفريط بشبر منها ولو بيعاً، فيضطر لشرائها من أخيه وتزداد الديون

---

[1]- لمحات من حياتي، ج٣، ص ٤٣.

[2]- رحلتي مع الأدب الإسلامي ، ص ٤٥.

ثقلاً على كاهله، وهو مع ذلك كله رؤوف بأخيه محب له، ناصح له، يعييش معه في بيته ولا يشعره بأي ضيق منه أو انزعاج، حتى يبيع الأرض كلها فينتقل للعيش في المدينة ليبحث عن مصدر رزق جديد. وهذا الأمر قد ذكره الكيلاني في كتابه "لمحات من حياتي"[1]، ثم قام باقتباسه في روايته "الطريق الطويل"[2].

أما في "ملكة العنب" فإن هذا الترابط الذي زاد عن حده في منع الأسرة ملكة العنب من الزواج ممن اختارته لأنه ليس من العائلة، فقد أظهر الجانب السبي في هذا الترابط وخاصة في القرية[3].

٥. المشاكل الفردية أو الجماعية :

هذه المشاكل أياً كان شكلها أو مداها فإن الكيلاني يرى أن "علاجها ينبع أساساً من قلب المؤمن وضميره، فالتشريع لا قيمة له ما لم يجد من يحترمه ويلتزم به وينفذه، ولن يكون هناك من يفعل ذلك إلا إذا وُجدت القناعة الشخصية، والرضاء التام، والحب لمن وضع ذلك التشريع"[4].

---

[1]- لمحات من حياتي ، ج١، ص ٣١.

[2]- انظر : الطريق الطويل ، ص ٧٧وما بعدها.

[3]- ملكة العنب ، ص ١٧٤ وما بعدها.

[4]- رحلتي مع الأدب الإسلامي، ص ٤٥.

وأفضل مثال على ذلك ما أثبته الكيلاني من خلال قصصه من أن قضية الأخذ بالثأر[1] في الريف لم تقضِ عليها القوانين ولا العقوبات مهما بلغت شدتها أو قسوتها، بينما استطاع الداعية المسلم أن يستأصلها تماماً بتحريك الوازع أو الرادع الديني في نفوس هؤلاء الصعايدة الذين اشتُهروا بالقسوة والجلافة.

٦. الحضارة الإسلامية :

- شعارها : التوحيد، لا إكراه في الدين، ففي رواية "عمالقة الشمال" يقول على لسان عثمان الداعية إلى الإسلام في غابات نيجيريا : "عندما تخلص العبودية لله وحده تشعر بالتحرر الكامل" ويقول رداً على القس المسيحي :"من الشرق ظهر المسيح، وفي الجزيرة العربية ولد محمد، وفي مصر ولد موسى .. زادكم عندنا" ويؤكد على مبدأ لا إكراه في الدين في رفض عثمان أن يُكرِه رئيسُ القبيلة الذي أسلم الفئة المتنصرة على ترك دينها وإجبارها على اعتناق الإسلام[2].
- أبرز معالمها : إن المسلمين تتكافؤ دماؤهم، ويسعى بذمتهم أدناهم، وهم يد على من سواهم.

---

[1]– في العادة أن أقرب أقرباء المقتول هو صاحب الثأر، فإن مات قبل أن يثأر ورثه في الثأر من يليه في القرابة أو أحد أولاده. انظر : التونجي ، المعجم المفصل في الأدب، ج ١، ص ٢٩٨.

[2]– انظر : عمالقة الشمال ، ص ٦٥و٦٩و٧٣.

• ميزاتها: فهمت الحضارة الإسلامية قضية التطور والثبات فهماً دقيقاً سليماً، واحترمت العلم والعلماء في شتى فروع المعرفة الدينية والدنيوية، ولم تغفل جانب الفن[1].

٧. الداعية الإسلامي :

يؤكد الكيلاني أن الدعوة بالكلمة يجب أن يواكبها الفعل، وأن على الداعية الإسلامي الناجح أن يتخذ وسائل العصر الحديثة مطية إلى أهدافه الشريفة، ويهتم بالوسائل التي يقبل على سماعها ومشاهدتها آلاف الملايين في شتى أنحاء الأرض، فإن فن العرض الحديث – كما يقول – أمر لا مناص لنا من دراسته وفهمه من أجل الوصول إلى الجماهير العريضة وإقناعها من خلال الحشد الهائل من الفلسفات والأفكار المنحرفة التي يعج بها عالمنا المعاصر[2].

ولعل صورة الداعية المسلم تبرز في شخصيتين اثنتين من رواياته، الأولى : "عثمان" في "عمالقة الشمال" الذي كان يدعو إلى الإسلام بالكلمة الحسنة ونجاحه في ذلك، ثم ثباته على مبادئه وتقبله لوضعه الجديد بعد سجنه، واعتباره أن ذلك وسيلة للتقرب من الله عزوجل وأنه فرصة لمراجعة الإنسان لنفسه والتفكير بهدوء واتزان[3].

---

[1]- انظر : أعداء الإسلامية ، ص ٩-١٤.

[2]- انظر : المصدر نفسه ، ص ١٥و١٧.

[3]- عمالقة الشمال ، ص ٨٩ .

والشخصية الثانية هي : د. "سالم" في "رحلة إلى الله"، فقد كان له دور أساس ومهم في توعية "نبيلة"، واستمراره في دعمها معنوياً ومادياً بعد ذلك عندما ساعدها في ترتيب أمور سفرها للخارج[1].

أسماء من تأثر بهم الكيلاني من الأدباء :

يقول الكيلاني :"تأثرت بالكثير من كتّاب القصة، وعلى رأسهم الكاتب الروسي دستويفسكي[2] لأني أعتقد "من الناحية الفنية" أنه أعظم كاتب للرواية حتى الآن .. كما أعجبت أيضاً بقصص تولستـــوي[3] ... ومسرحيات

---

[1]- رحلة إلى الله، ص ٢١٣-٢٣٧.

[2]- ثيودور ميخائيلوفتش : ١٨٢١-١٨٨١م، روائي روسي، ومؤلف قصص قصيرة، وصحفي، أرسل إلى مدرسة صناعية حربية وفيها قرأ الآداب الأجنبية بنهم وبعد فراغه تحول إلى الكتابة مباشرة بدلاً من العمل بالجيش، قبض عليه لنشاطه السياسي وحكم عليه بالموت بالرصاص، ثم خفف الحكم من الموت إلى السجن مع الأشغال الشاقة في سيبيريا، ثم العمل بالجيش بعدئذٍ فقضى ثلاث سنوات في البؤس والعذاب مما جعله يتحول إلى الدين ثم سمح له بالعودة لبلده وفيها تابع نشاطه الأدبي وأسس مع أخيه مجلة "الزمن" ونشر فيها كثيراً من رواياته مسلسلة، وأهمها: بيت الموتى، والمهانون والمجروحون، وله : المساكين، وشباب فج، والجريمة والعقاب، والعبيط، تتميز رواياته بالتحليل النفسي العميق، وبالقدرة الخارقة على محبة جميع البشر والعطف عليهم، مهما بلغوا من الدناءة والحطة، كما تمتاز بالاهتمام بمشكلات الخطيئة والعقاب والخلاص. انظر : غربال ، الموسوعة العربية الميسرة، ج١، ص ٧٩٥-٧٩٦.

[3]- ليو تولستوي : ١٨٢٨-١٩١٠م، روائي وفيلسوف روسي، من أكبر كتّاب العالم، حارب في القوقاز، وأمدته تجاربه في الحرب المادة التي أخرج منها فيما بعد رائعته=

سارتـــر[1] برغم اعتراضي على كثير من فلسفته"، وأجد سعادة كبرى في قراءة توفيق الحكيم .. وطه حسين .. ونجيب محفوظ .. والذي لا شك فيه أن نجيب محفوظ يحتل مكانة كبرى بين كتاب الرواية في العالم، ولا أنكر تأثير أسلوب محمود تيمور في التزامي بالفصحى .."[2].

="الحرب والسلام" نشر أول جزء من تاريخ حياته : "الطفولة" وهو في القوقاز، ولكن الجزء الثاني "الصبا" والثالث "الشباب" ظهرا فيما بعد، حاول إنشاء معهد لتعليم الفلاحين لتحريرهم من نير الطغيان والإقطاعية، ولكنه فشل، زار غرب أوروبا، مر بأزمة روحية كانت نتيجتها اعتناقه مبدأ المقاومة السلبية للشر، وقضى بقية حياته يدعو إلى إيمانه الجديد ولقد أدى إصراره على تطبيق مبادئه في حياته وتصميمه على التخلي عن جميع ممتلكاته إلى نشوب خلاف خطير بينه وبين زوجه، وانضم أولاده إليها إلا ابنته الصغرى، ووافته المنية في عام ١٩١٠ وهو في محطة للسكك الحديدية في صحبة ابنته، له : أنا كارنينا، قوة الظلام، موت إيفان اليتش. انظر : غربال ، الموسوعة العربية الميسرة، ج١، ص ٥٦١.

[1]- جان بول سارتر : ١٩٠٥-   ، فيلسوف وأديب فرنسي، اقترنت باسمه الفلسفة الوجودية، اشتغل بالتدريس، ثم انخرط في الجيش، وسجنه الألمان وبعد أن أطلق سراحه اشترك في حركة المقاومة، أنشأ مجلة "العصور الحديثة" التي تتضمن أبحاثاً وجودية في الأدب والسياسة، أطلق كلمة "وجودية" على فلسفته دون سائر فلسفات الوجود، أهم مؤلفاته : الوجود والعدم، والغثيان، وسبل الحرية، ومسرحية : الفاضلة، وموتى بلا مدافن، والأيدي القذرة، وقد تُرجمت إلى العربية، مُنح جائزة نوبل في الأدب ١٩٦٤ لكنه رفضها. انظر : المصدر نفسه، ج١، ص ٩٤٢.

[2]- رحلتي مع الأدب الإسلامي ، نقلاً عن المقابلة الأدبية التي أجراها معه علي فريج، مجلة الشهاب البيروتية ، العدد التاسع ، السنة الخامسة ، ١٣٩١هـ/١٩٧١م.

ويقول الكيلاني :"محمد إقبال .. هو الشاعر الذي أحببته، وأعجبت به أكثر من أي شاعر آخر حينما وقع في يدي ديوانه "ضرب الكليم" وأخذت أقرأ فيه وشعرت أنني عثرت على كنز ثمين .. كان اكتشافي لإقبال من أهم أحداث حياتي الأدبية .. فقد انكببت على دواوينه فترة طويلة من الزمن.."[1].

[1]- رحلتي مع الأدب الإسلامي ، ص ٢٢٦.

الفصل الثالث : الرواية عند د. نجيب الكيلاني موضوعاً

إن النفس البشرية ميالة لسماع القصة، تجد الأنس والمتعة في متابعة أحداثها، وقد تجد فيها ما تريده أو ما تحياه فيترك ذلك فيها من التأثير والاستمتاع ما لا تبلغه وسيلة أخرى، ومن أجل ذلك كانت القصة أسلوباً ناجحاً في الدعوة إلى الدين جعل في تاريخنا الأدبي والديني فئة من الناس يمتهنون الكلام وإلقاء القصص حتى عرفوا بالقُصّاص.

ومن أجل ذلك لا يستطيع أن يستغني عنها داعية ولا مصلح، والقصة تسكت عن ذكر المغزى، وتترك للسامع أن يستخرجه وهو بذلك يكون أكثر تأثراً لأنه يتبنى المغزى عن اقتناع، وقد يحس بأنه هو صاحب الفكرة، لم يفرضها واعظ عليه ولم يُوحِ معناها إليه أحد. والنفس تنفر من الأسلوب الوعظي التقريري لاسيما إن أسرف فيه الواعظون أو فقدوا التوفيق في عرضه واللطف في أدائه.[١]

ود. شوقي ضيف يقول :"ينبغي للقصة أن لا يكون غرضها التسلية والمتعة السريعة الزائلة، وإنما الوصول أو النفوذ من خلال الوعي الكامل بالمجتمع إلى الحقائق الإنسانية، بل إلى جذور هذه الحقائق ودفائنها ومكنوناتها."[٢]

---

[1]- الصباغ، د. محمد، التصوير الفني في الحديث النبوي،(المكتب الإسلامي : بيروت، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م) ط١، ص ٤٩٨ .

[2]- ضيف، د. شوقي، في النقد الأدبي، (دار المعارف: القاهرة)، د.ت، ط٦، ص ٢٢٨.

والأديب ملتحم مع مشاكل قومه ومجتمعه حتى وإن كانت سياسية فهو الجسر بين الماضي والمستقبل، يضع يده على الداء ويساهم في إعطاء أو وصف الدواء. وبقدر نجاحه في وصف الدواء والإشارة إلى مواطن الداء لتلافيها بقدر ما يكون تأثيره في تحسين الأوضاع أو تغيير طابعها الفاشل المؤلم، والتطلع إلى آفاق جديدة تنقل الإنسان إلى حياة أفضل.[١]

وفي مقالة بعنوان "فن الرواية" لهنري جيمس يقول :" إن على الرواية أن تنظر إلى نفسها نظرة جادة حتى تحمل الجمهور على إعارتها نظرة مماثلة. وإن المبرر الوحيد لوجود الرواية هو أنها تحاول تمثيل الحياة، وهي حينما تتخلى عن هذه المحاولة تكون قد وضعت نفسها في مأزق غريب حقاً"[2].

ومما سبق نستطيع أن نفهم أهمية الدور الذي تلعبه القصة في المجتمعات وفي رقيها الفكري والأخلاقي.

ود. نجيب الكيلاني يرى أنه "علينا أن لا نقف مستعدين ومنتظرين حتى يأتي إلينا من بيدهم الأمر ليأخذونا إلى حيث مراكز الدعوة والتوجيه "وسائل الإعلام بتنويعاتها" ... لا ... هذا غير معقول، بل علينا أن نتحرك ونأخذ للأمر عدته من علم وثقافة وتجربة وعزم، ثم نزاحم هؤلاء المنحرفين بالمناكب، ونأخذ أماكننا بالكفاءة والجدارة وتقديم النماذج البديلة، تقديم البدائل هو الحل.

---

[1]- البغدادي، د. مريم، المدخل في دراسة الأدب، (تهامة : جدة، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م) ط ١، ص ١٢٢ .

[2]- مارك شورر، وجوزفين مايلز، وجوردن ماكنزي، أسس النقد الأدبي الحديث، ترجمة : هيفاء هاشم، مراجعة : د. نجاح العطار، (مطابع وزارة الثقافة والسياحة والإرشاد القومي : دمشق، ١٩٦٦م) ، ج١، ص ١١٣-١١٤.

فالناس لا يمكن أن يعيشوا في فراغ، وإذا أردنا أن نزيح صناعة زائفة، أو فكراً منحرفاً، فلابد أن نغرس مكانه النبتة الصالحة في التربة الصالحة ونواليها بالري والغذاء حتى تورق وتثمر وتترعرع. علينا أن نعرف جيداً كيف يفكر عدونا، وكيف يخطط ويرسم، وكيف يمضي في معركته، وما هي الطريقة التي يوهن بها قوانا وعزائمنا ومعتقداتنا عندئذ نستطيع أن نعد الأسلحة المضادة التي تفل سلاحه وتفشل مخططه.."[1]

الالتزام في الأدب :

عند الكلام عن الموضوعات التي يطرحها الأديب في أدبه وهدفه من طرحها، كل ذلك يدفعنا إلى الكلام عن الالتزام في الأدب، فقضية الالتزام في الأدب كان لها دائماً مناوئوها والمدافعون عنها، فهناك من يرى أن الأدب هو فن يصاغ ويصدر للفن فقط وليس له رسالة أو هدف ما يلتزم به، وهناك من يرى أن الأدب له رسالة سامية وهدف نبيل، وهو إسعاد الإنسان، ود. الكيلاني يرى "أن أي نشاط إنساني يجب أن يقصد به إسعاد الإنسان .. والأدب كلون من ألوان هذا النشاط يجب أن يلتزم نفس الخطة، وأن يلعب دوره الخطير من أجل إسعاد الفرد والمجموع، وهذا هو ما أقصده بأدب الالتزام .. قد يسميه البعض أدباً ملتزماً .. وقد يسميه الآخرون أدباً هادفاً .. ونحن نسميه وجهة نظر إسلامية في الأدب ".[2]

ما هو المقصود بكلمة الالتزام؟ وبأي شيء يكون هذا الالتزام ؟ وهل هو تقييد لحرية الأديب أم هو تمسك بالقيم والأخلاق الثابتة وفتح لباب الإبداع ؟

1- أعداء الإسلامية، ص ٢٤ .

2- الإسلامية والمذاهب الأدبية، ص ٣٠ .

د. نجيب الكيلاني يقول :"في اعتقادي أن الفن الأصيل تحيز .. أجل .. تحيز، لأن الفنان يجب أن يكون، ملتزماً بقضايا يؤمن بها، وتستغرق فكره وذهنه، ويتشكل بها سلوكه وتعبيره، فالفنان الحقيقي هو الذي له علاقة بمثله العليا، والفنان ينظر دائماً إلى عالمه بالمقارنة مع مثله وقيمه ومبادئه."[1]

وعن الخوف من الحد من حرية الأديب أو تضييق مجال الإبداع عنده نرى الأستاذ إبراهيم سعفان يقرر أن "الأدب الإسلامي يلتزم بالرؤية الإسلامية وعادات وتقاليد المجتمع، وهذا الالتزام لا يحد من حرية المبدع، ولا يحد من خياله، ولكنه ينظمها بشكل متوازن مؤثر في بناء الشخصية الإسلامية بناء متوازناً يتطابق فيها القول مع العمل، في صورة واقعية بعيداً عن الخيال الجامح الذي يحلق بصاحبه في فضاء لانهائي، مما يصيبه بخيبة الأمل عندما يكتشف أنه يقبض على سراب".[2]

إذن فليس الالتزام لمجرد الالتزام هو المطلوب، فيقول الكيلاني :"ليس مجرد الالتزام فضيلة، وإنما الالتزام بقضايا شريفة نبيلة والتضحية في سبيلها بالأم والولد والدم هو الالتزام الذي نريد".[3]

---

[1]- الإسلامية والمذاهب الأدبية، ص ٥٣ .

[2]- إبراهيم سعفان، مجلة الأدب الإسلامي، العدد ٣٠ ، المجلد الثامن ، ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م، دراسة تطبيقية بعنوان : خصائص القصة القصيرة الإسلامية، ص ١٠.

[3]- الإسلامية والمذاهب الأدبية ، ص ٤١ .

"والقصة أدب راق يعالج النفس البشرية، ولن يعيش ويبقى ويخلد، إلا ذلك الأدب الصحيح الصائب الذي يتعامل تعاملاً صحيحاً مع النفس التي خلقها ربها فسواها."[1]

ود. حمدي شعيبه يقول :"هنالك قاعدة أبدية مطردة، وسنة اجتماعية ثابتة؛ وهي أن : أدبيات كل عصر ما هي إلا مرآة صادقة للحقبة الزمانية والمكانية التي تصدر عنها.

ومن هنا يبرز دور الأدب، ويبدو أهمية المحافظة على قيمته الأخلاقية، والثقافية كعنوان للمرحلة التي تعيشها الأمة. بل إن دوره يتعدى ذلك ليصبح عاملاً خطيراً في عملية التغيير الحضاري.

والأدبيات تعتبر أيضاً خير شاهد على عصر الفكرة التي تدور في عقل صاحبها والمرحلة الفكرية والثقافية، بل والتربوية التي يمر بها."[2]

وإذا انتقلنا لروايات نجيب الكيلاني التي بين أيدينا فنرى تطبيقه لآرائه التي ذكرها في كتبه التي نظّر فيها للأدب الإسلامي، فنجد الموضوعات التي تناولها في رواياته تكاد تكون شاملة لجميع جوانب الحياة، فهو تناول الحياة بجوانبها السياسية والأخلاقية والاجتماعية والدينية والفكرية، بل لعله وظّف

---

[1]- فتحي الإيباري، في مقابلة له مع مجلة المجتمع، حاوره: محمود خليل، العدد ١٦٣٢، ذو القعدة ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤/١٢/٢٥م، ص٥٠-٥١ .

[2]- د. حمدي شعيبه ، مجلة المجتمع ، العدد ١٦١٤، دور الدعاة والأدباء والمصلحين ، الجزء الرابع من خمسة أجزاء بعنوان: العمل الدعوي العام.. المنهج والضوابط. جمادى الآخرة ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤/٨/١٤م، ص ٥٦-٥٧ .

التاريخ نفسه في بعض الأحيان ليبرز لنا جانباً من الجوانب التي غفل الناس عنها، أو كرمز لواقع محسوس لم يستطع التعبير عنه صراحة لاعتبارات عدة، قد يكون أهمها الوضع الأمني والسياسي الذي كان يعيش فيه الكاتب في ذلك الوقت، كونه كان منتسباً لجماعة الإخوان المسلمين وسجين سابق في سجون مصر في عصرها الحديث.

وسنحاول في هذا الفصل الاطّلاع على أهم الموضوعات التي تناولها الكيلاني في رواياته وأعطاها أهمية أكبر، وكثرة تكرار الموضوعات في روايات عدة قد يكون أكبر دليل على اهتمام الكيلاني بهذه الموضوعات.

وهذه الموضوعات قد تكون سياسية، أو اجتماعية أو أخلاقية أو دينية، وقد تجمع بين هذه وتلك وقد تجمع الموضوعات هذه جميعها.

ومن خلال دراستي لروايات نجيب الكيلاني استطعت أن أخرج منها بأهم هذه الموضوعات، ألا وهي : السجن، والحرب، والمرأة، والفساد بكل أنواعه. وهذه الموضوعات تتبعها موضوعات متفرعة منها سنتناولها ببحثنا هذا كذلك. وسآتي بنصوص من تلك الروايات لتكون الفكرة واضحة كما أرادها الكيلاني نفسه في تضمينها في رواياته.

أولاً : السجن

السجن في روايات نجيب الكيلاني له مكانة خاصة تستحق بحثاً كاملاً وليس جزءاً من فصل في بحثنا هذا، ولكنني سأحاول الإلمام بشكل سريع بأهم ما تناوله الكيلاني فيما يتعلق بالسجن، وبإمكاننا تقسيم السجن إلى سجن سياسي

للسياسيين وأكثرهم إسلاميون، وسجن عادي للمجرمين والقتلة وتجار المخدرات...

السجن السياسي :

في رواية "في الظلام" يُعتقل "فريد"، وهو في السجن "تطوف بذهنه صورة سريعة متلاحقة لما مر به منذ أن قبض عليه حتى الآن .. سبعة أيام طويلة حتى ليخيل إليه أن كل يوم يوازي عاماً كاملاً لما فيه من الآلام والعذاب، وهل ينسى أول يوم؟ .. لا يمكن أن ينساه أبداً .. ماذا حدث فيه؟ "يا إلهي ما أقسى ظلم الإنسان لأخيه الإنسان .. "هل يستطيع أن يحصي الركلات والصفعات واللكمات التي تناولت كل جزء من جسمه؟ .. والسياط التي كانت تهوي على قدميه وعلى جسده، وحرب الأعصاب التي شنها عليه المحققون .. والسخرية المرة التي حاول "بعضهم" أن يصبّها عليه حتى يهدم مقاومته ويحطم أعصابه.."[1]

"إن "فريد" لم يكن يتصور أن تمتد يد بالإهانة إليه، و هاهو الآن تمتد إليه عشرات الأيدي بالأذى "الخطوات تقترب .. لقد جاءوا .. وضعوا المفتاح في ثقب الباب .. يجب أن أسارع وأقف انتباه حتى أوفر على نفسي صفعتين أو ثلاث من كف الجندي الغليظة..."[2]

أما في رواية "حكاية جاد الله" فلم يتوقف الكيلاني كثيراً عند السجون السياسية بل مر عليها عابراً فـ"جاد الله" يتذكر "كيف أنه كان يعود إلى البيت ليشرح لزوجته تفنُّنه في تعذيب السياسيين وخاصة الباشاوات والإخوان

---

[1]- في الظلام، ص ١٢٧.

[2]- المصدر نفسه، ص ١٢٨.

المسلمين، وكان يفتخر بأنه الوحيد الذي سجل الأرقام القياسية في سرعة انتزاع الاعترافات، وعندما كانت زوجته تتألم وتستنكر عمله، كان يؤكد لها أن هذا التصرف منه واجب وطني يمليه عليه ضميره وإخلاصه لبلاده وقيادتها، لأن المعارضين خونة متمردون، ويتعاونون مع أعداء البلاد من يهود وإنجليز وأمريكان، ثم إنه كرجل عسكري لا يستطيع أن يعصي الأوامر التي أصدرها الرئيس ونقلها إليه المسؤولون الكبار، وكان يقهقه وهو يؤكد لها أن البلد ممسوكة بيد من حديد. وأن الإجراءات الحازمة ضرورية لأمن البلاد وتقدمها وصمودها أمام أعدائها الكثيرين، وأن الحمقى من رجال الفكر والسياسة والشباب لا يفهمون الأمور على وجهها الصحيح".[1]

وفي "ليالي السهاد" تبقى لعنة السجن السياسي ملازمة للمهندس "عبد القادر" فعندما علم مدير الشركة التي كان يعمل بها أنه معتقل لشبهة سياسية، أصدر على الفور قراره بالفصل، وبقيت زوجته وابنته بدون عائل.[2] ولكن هذه الحال تغيرت بل انقلبت تماماً بعد أن تعرف على الفنانة "صافي" التي كان لها معارف كثيرون في الحكومة، ففي المرة الثانية التي اعتُقل فيها كما يقول "عبد القادر" بعد خروجه من المعتقل :"واظبتُ على عملي في الشركة، كان الحاج "محمود" يعاملني برقة غريبة، ولا يرد لي طلباً، ودفع لي مرتب الفترة التي قضيتها في الحجز مضاعفاً، وقدم لي قطعة ذهبية كهدية لزوجتي بمناسبة المولود الجديد، كما أخبرتني زوجتي أنه كان يرسل إليها مع إحدى الموظفات

1- حكاية جاد الله، ص٢٧.

2- ليالي السهاد، ص ٥.

كميات كافية من اللحوم والخضراوات والفواكه وعرض عليّ بعض المشاريع الجديدة..."[1]

وفي "رجال وذئاب" عندما دخل د. "رشدي" السجن عانى الأمرين "فلم يذق في أول ليلة النوم لحظة، كانت ليلة طويلة، لقد أخذوه ضمن مجموعة من عشرة أفراد لا يعرف منهم أحداً، ونظموهم في طابور قصير، وظلوا يجرون حتى تقطعت أنفاسهم، وكان العسكري الذي يحرك الطابور يحمل في يده سوطاً ذا وقع أليم .. إنهم يقتلون القيم النبيلة بلا رحمة، ويتركون الإنسان مجرداً من مقومات الإنسانية، يتركونه جسداً بلا روح، بلا قلب، بلا حب كبير.. زعموا أنني أجتمع .. وأدفع التبرعات .. وأخطب ضد الحكومة، وأدبّج المنشورات، وأنشر النكت السياسية، وأسخر من الكوادر الحزبية الأصيلة عندهم .. ساقوا اتهامات كثيرة لا حصر لها .. لكنهم لم يقدموا دليلاً واحداً على زعمهم .. وما زالوا يضربونني ويحقرونني حتى كادت عزيمتي أن تخور تماماً .. أحياناً أعتقد أن في الموت راحة .. لكن أين هو الموت ..."[2]

والتعذيب في السجون السياسية منها بخاصة يأخذ حيزاً واضحاً في روايات الكيلاني فـ"عوض العوضي" يخبر أصدقاءه بعد خروجه من السجن عما عاناه "فيقول وجسده يرتجف :"فتحوا عليّ أبواب جهنم .. كرابيج .. عصي .. صفعات .. لكمات .. ركلات .. نار .. والله العظيم نار .. إبر .. خنق .. دم .. وأنا أتواثب كالقرد الذي وضعوه في فرن .. تذكرت كلمات الشيخ الذي كان يحدثنا من قديم عن جهنم التي أعدت للكافرين .. أيقنت أنه يوم

---

[1]- ليالي السهاد، ص١٥٦ .

[2]- رجال وذئاب، ص ١٢٠-١٢١.

الحساب .. صرخت :"تبتُ يا رب أنا العبد الخاطئ الفاسق .. سامحني يا أرحم الراحمين ".. وكان آخر ما سمعته ضحكاتهم العالية .. ثم غبتُ عن الوجود .. وتمنيت وأنا أغوص في الإغماء ألا أفيق أبداً .. ولا أدري كم مضى من الوقت .. حينما استيقظت كان جسمي مبللاً .. وكنت أستشعر قدراً من النشاط والألم .. سمعتهم يقولون : أعطوه حقنة أخرى من الكافور .."[1]

أما "عطوة الملواني" في رواية "رحلة إلى الله" فهو يذكر تماماً حادثة حدثت "ذات مرة رأى جندياً يعذّب معتقلاً .. لم يكتف الجندي بالسوط الذي في يمينه .. ورأى "عطوة" مشهداً غريباً .. لقد انقض الجندي على أذن المعتقل طالب الطب "محمود الشاوي" ونهشها بأسنانه .. وسعد "عطوة" يومها أيما سعادة، وأعجب بالجندي إعجاباً شديداً، فأسرع إليه وقدم له مكافأة خمسين قرشاً، وأمر بأن يرقى إلى رتبة أعلى .. لقد أضاف إلى ذراعه شريطاً .. وفي اليوم التالي تحول عدد كبير من الجنود إلى "عضّاضين"، وكانت نكتة طريفة ضحك لها "عطوة" ورفاقه، وأخيراً وضع حداً لهذا التصرف بقوله :"إنكم أيها العساكر تجترئون على حق كلابي .. الكلاب وحدها هي المسموح لها بالعضّ، لأنكم لا تتقنون هذا الفن مثلهم أو تتلذذون به."[2]

وإلى جانب التعذيب الجسدي كان التعذيب النفسي "فلقد كان المسجونون يعانون من قلق بالغ بالنسبة لنسائهم وأطفالهم خارج السجن، والحكومة لم تسمح لهم بالزيارة، حتى مجرد كتابة رسائل عادية تحت المراقبة لم يسمح لهم بها، وهناك عدد كبير من المعتقلين ذوي الأعمال الحرة، بعضهم مرتبط بالتزامات

---

[1]- ملكة العنب، ص ٥٦-٥٧ .

[2]- رحلة إلى الله، ص ١٤٨ .

وعقود قانونية لتوريد بضائع، أو إقامة بنايات، أو الوفاء بأعمال متنوعة، وبعضهم لديه بعض المتاجر التي أغلقت أبوابها، وأصبحت أسرهم بلا مورد رزق، ولقد سُمح لبعض الموظفين الحكوميين الذين لم يُقدّموا للمحاكمة – وما أقلهم – بصرف مرتباتهم عن طريق كتابة توكيل لأحد الأقارب، أما الغالبية العظمى وهم من ذوي المهن الحرة فقد وقعوا في حيرة ولا يدرون ما يفعلون، وألح المعتقلون على إدارة السجن كي يسمحوا لهم بكتابة خطابات يدبّرون بها بعض شؤونهم في بيوتهم، ولكن أحداً لم يستجب لهم."[1]

السجن العادي :

رواية "حكاية جاد الله" ذكرت جزءاً ليس بالقليل عن السجن غير السياسي، فهناك مجرمون بتهمة المخدرات، وهناك قتلة، وهناك المتهمون بتزييف العَملة، وكان "منصور" منهم الذي استطاع أن يورِّط السجان "جاد الله" في هذا الأمر حتى استطاع أن ينسحب منها بهدوء ليجد له عملاً آخر آمناً يحفظه من العودة إلى السجن ثانية، ليدخل بدلاً منه السجان نفسه الذي حاول قتله وفشل في ذلك.[2]

و"ليل وقضبان" تتناول بيئة السجن بوجهيها المادي والنفسي، فـ"في داخل السجن بدا كل شيء كئيباً .. البناية الصفراء ذات النوافذ الصغيرة، المطبخ البدائي ذو المدخنة التي تتقيأ دخاناً أسود كالحقد، حتى حوض الأزهار الصغير خلف مكتب المدير تقف زهراته في جمود يثير الأسى، والضوضاء المنبعثة من ورشة النسيج والنجارة والسمكرة ضوضاء قاتلة وكأنها أجراس

---

[1]- رحلة إلى الله، ص ١٧٩ .

[2]- حكاية جاد الله، ص ١٣ و ٢١٧و ٢٤٧ .

مبحوحة في سوق للرقيق .. وهؤلاء الذين يروحون في فناء السجن لا توحي مظاهرهم الشاحبة بغير الضياع والجفاف والوجوم .."[1]

وعن قسوة السجانين في تعاملهم مع السجناء نذكر حادثة وقعت تبين الجو النفسي الذي كان يعيشه السجناء، ففي يوم ما "ضاق المسجونون ذرعاً بـــ"الشلقامي" وهو سجان غليظ القلب، فقد بدأ يومه بالسباب والشتائم المقذعة، حتى قدماه قد تعبتا من كثرة ما ركل بحذائه، وعلى سفح الجبل الأسود لم يَكُفَّ عن إلهاب الظهور بخيزرانته، وتساءلوا جميعاً: لماذا لم يحكم الله على "الشلقامي" بالمرض .. بالموت؟ هذا الشيطان لا يفكر مطلقاً في أخذ يوم إجازة، لا يعرف الراحة ولا المرض، السجن هو عالمه الوحيد الذي يؤكد فيه ذاته، ما أشبهه بسيادة المدير!! وكان أبشع ما فعله "الشلقامي" في ذلك اليوم هو اعتداؤه على رجل واهي القوى، يزحف نحو الخمسين، لقد صفعه فوقع السجين على الأرض، وعندما انتصب على قدميه أعطاه لكمة في فكه الأسفل فسقط للمرة الثانية، ونظر إليه السجين بعين دامعة وقال:

- حرام عليك ..
- اخرس يا كلب ..
- أنا مثل والدك ..

فأخذ "الشلقامي" يركله في جنون وكأنه قد استعذب ضراعته :

- يا بني .. في عرضك .. أليس في قلبك رحمة؟؟

وتوقفت الحركة من حول السجين المضطهد، رشقته العيون الحزينة من كل جانب، وأمسكت الأيدي بالمعاول في جمود، كل واحد كان يحلم بأن ينقض

---

[1]- ليل وقضبان، ص ٩ .

على "الشلقامي" بمعوله، ويحطم جمجمته ويطحن جسده ، وتطلع "الشلقامي" إلى الجمع الواجم الذاهل، لو رماه كل واحد منهم بحصوتين لخرَّ صريعاً، وداخله رعب، أيفر؟؟ سيكون هذا بداية النهاية له ولسلطانه ؟؟ يستنجد برفاقه ورؤسائه من الضباط؟؟ لكنه أدرك بسرعة أن أسلم وسيلة للخروج من المأزق هو التمادي في القسوة، ومن ثم انحنى على السجين وجذبه حتى وقف، وصرخ فيه:

- اشتغل .. أنت الذي جلبت الأذى لنفسك .

ثم صرخ في المسجونين : - ماذا تنتظرون ؟؟ كلٌ إلى عمله وإلا ..

وعادت المعاول الحديدية ترتطم بالصخر الصلب، ومن خلال ارتطامها تنطلق شرارات واهنة سرعان ما تموت، لم يكن أحد منهم يعرف "الشلقامي" قبل مصير السجن، وعندما رأوه حسبوا أنه قد خلق على نمط آخر مغاير تماماً لنمط البشر، إنهم يشكون في انتسابه إلى فصيلة الإنسان، هل يمكن أن يكون لهذا الرجل أطفال يداعبهم ويمرحون على كتفيه وحجره؟ .."[1]

أما التقلبات النفسية والاضطرابات التي تصاحب السجناء في حياتهم في السجن فـ"عبد الحميد" يرى أن "فارساً" قد تمدد فوق "برشه"[2] تغطيه البطانية من قمة رأسه إلى أخمص قدمه، كان صدره يعلو ويهبط، ولتنفسه صوت واضح يقرب من الغطيط وتطلع إليه "عبد الحميد" في حيرة، لكن سرعان ما أخذت حيرته في الانقشاع .. ليس ما يراه جديداً عليه، كل مسجون له عشرات الأحوال إنه يضحك ثم يبكي ويغني ثم ينتحب كأنثى فقدت عزيزاً لديها، ويسكن

---

[1]- ليل وقضبان، ص ٦٦-٦٨ .

[2]- أي فراشه، باللهجة العامية المصرية.

في ارتياح ثم تفاجئه نوبة صرع قاسية، أغلب المسجونين هكذا .. يعيشون حياة متقلبة متغيرة تثير العجب، لكن خبرة "عبد الحميد" بها، وشيوعها خلف الأسوار جعلته ينظر إليها دون عجب، ويعالجها في رفق واطمئنان وفي الغد سيكون "فارس" – لاشك – أحسن حالاً، وفي الجبل تحت وهج الشمس الحارقة سوف يمسك بمعوله ويضرب به الصخر، وينجز عمله المقرر، وكل شيء ينتهي إلى خير .."[1]

السجانون :

بتناول الكيلاني للحياة في السجون كان لابد من أن يتعرض للسجانين أنفسهم، وقد تناولهم أيضاً برواياته وتوقف عند بعضهم، مثل ما رأينا في رواية "ليل وقضبان" في توقفه عند "عبد الهادي" مدير السجن، وفي رواية "رحلة إلى الله" في تناوله بشكل مفصل لـ"عطوة الملواني" مدير السجن الحربي، وكذلك في رواية "حكاية جاد الله".

"حكاية جاد الله" كانت من الروايات التي ركزت بشكل رئيس على السجانين في شخص "جاد الله".

وفي رواية "ليل وقضبان" يتذكر مدير السجن "عبد الهادي" أنه يوماً ما "كان المسجونون يطلقون عليّ "وحش السجون المصرية""[2]. وكان هذا اللقب

---

[1]- ليل وقضبان، ص ١٠٢ .

[2]- هذا اللقب ذكر في هذه الرواية "ليل وقضبان"، ص ٦٥ و١١٢، ثم تكرر ذكره في رواية "رحلة إلى الله" والكيلاني يقصد به "حمزة البسيوني" السجان المعروف بقسوته وشدته ، وذكره أيضاً في رواية "أهل الحميدية"، ص ٢٦٠ .

آنذاك يطربني ويغذي كبريائي وشبابي بالغرور... كنت عنيفاً أبث الرعب في النفوس، وكان قلبي يفيض بالسعادة وأنا أرمق المذعورين والمرتجفين."[1]

ثانياً : الحرب

في روايات الكيلاني كانت الحرب تحتل مكانة واضحة، سواء أكانت الحرب للاستقلال بالقتال مع القوات الإنكليزية المحتلة أو قتال اليهود في الحروب التي دارت بين دولة ما يسمى بإسرائيل والدول العربية وأهمها مصر في زمن "عبد الناصر" .

الحرب مع الاحتلال :

"الطريق الطويل" : تعرضت هذه الرواية للحرب بشكل موسع وبينت آثارها المدمرة، ووطنية بعض الشباب وحماسهم فنحن نرى "سعيد" يقول لـ"سليمان" عندما حاول الأخير أن يثنيه عن ذهابه لأرض المعركة :"اعلم أنها حياتي، وأنا أتصرف فيها حسبما أشاء، وليس لأحد دخل في ذلك، قد يتألم والدي أو يحزن، ويعتبرني مغامراً، لكن هذا لن يثنيني عما اعتزمته .. ومن أدراك أن أبي سيتضايق مما أفعل؟؟ إنه لا يقل حماساً ووطنية عني .. فيجيبه "سليمان" : بل هو الذي غرسها فيك ورعاها .."[2] وهذا ما كان فعلاً فقد أرسل "سليمان" خطاباً لوالد "سعيد" وملأه بعبارات المؤاساة والتشجيع ويقول "سليمان" :"ويظهر أن الشيخ "حافظ" – والد "سعيد" – رثى لحالي وابتسم لسذاجتي، فقد قال في خطابه الذي رد به علي :"سامحك الله يا "سليمان"... أتظن أني أضنُ يا بني به على وطنه ؟؟ إن دم التضحية يا ولدي يجري متسلسلاً من أب لابن في

---

[1]- ليل وقضبان، ص٦٥.

[2]- الطريق الطويل، ص ٢٧٠.

شرايينا، وكم كنت أتمنى أن أكون بجانب "سعيد"، لكن جزى الله الشيب بما أوهن من جسدي، وأضعف من جلدي.."[1]

أما في "رأس الشيطان" : فبطل الرواية "ضياء" يقول مبيناً أن الاحتلال هو أصل الداء في إنتشار الفساد في البلاد :"أيها الأصدقاء ..إن الملك وصدقي والباشاوات وأصحاب رأس المال والمندوب السامي والأذناب.. كل هؤلاء صفات عامة لسرطان خبيث هو الاستعمار .. هو منبع الإثم والضياع وهو لاعب الشطرنج الأكبر .. بل رأس الشيطان التي تدبر وتعمل في لؤم .. حطموا رأس الشيطان يصبح جسداً هامداً وينطلق تاريخنا السجين من عقاله ونأتي بالمعجزات ويصبح أمرنا في يدنا لا في يد حكام أتراك، أو مندوب سامٍ، أو باشا مأجور.."[2] وكان أن بدأت المقاومة المصرية القتال ضد الإنكليز وذلك بقيام مظاهرات ثم تطورت لأعمال فدائية، فنحن نرى أن د. "ضياء الدين" مشترك مع "عدنان الأسطواني" وهو شاب سوري ثائر له دور خطير في الثورة السورية ضد قوات الاحتلال التي بسطت نفوذها على سوريا ولبنان، وقد حكم عليه بالإعدام غيابياً ففر من بلده، وهناك أيضاً مندوب عن الطلبة وآخر عن العمال، اجتمعوا جميعاً على أساس العمل للوطن، دون التقيد بحزب أو الارتباط بكبير من الكبراء، مع ضعف إمكانياتهم المادية ولكن رصيدهم من القيم الروحية كان كبيراً.[3] وهم يقررون "أن العين بالعين .. وأن الطغاة الذين قتلوا آباءنا وإخواننا بالمئات يجب أن يُقتلوا .. وأن أي إنجليزي في مصر دمه

---

[1]- الطريق الطويل، ص ٢٧١.

[2]- رأس الشيطان، ص ٦٩ .

[3]- المصدر نفسه، ص ٦٦ .

مباح .."[1] ثم صارح "ضياء" "صفاء" بما يفعله فقال لها :".. الآن أعترف لك بأني أرأس تشكيلاً ثورياً سرياً .." ويفصّل لها هدفه فيقول :"ستقولين أنني كمن يحاول زحزحة "المقطم" بمفرده .. لكن تأكدي يا عزيزتي أني لا أجهل إمكانياتي المتواضعة، إن خللاً بسيطاً في آلة كبيرة – نزع مسمار منها مثلاً– سوف يعطل دورانها .. إن الاستعمار لن يعيش آمناً بيننا لأننا نكرهه .. سنحاول أن نحيطهم بجو من القلق والرعب .. وسنكبدهم الخسائر دائماً، ونؤكد لهم أنهم لن يستطيعوا الاعتماد علينا في الأوقات الحرجة، إن كمية صغيرة من المتفجرات مثلاً لا يزيد ثمنها على بضعة قروش تستطيع أن تنسف مخزناً للذخيرة يقدر ثمنها بآلاف الجنيهات، ورصاصة واحدة تستطيع أن تضع حداً لحياة ضابط إنجليزي كبير، وبهذه الطريقة نرغمهم على أن يفكروا في وضعهم، هل يحققون خسارة أم كسباً، وبعملية حسابية بسيطة يوقنون أن وجودهم عبث لا طائل تحته .."[2] وكان هناك إلى جانب هذه المقاومة نوع آخر من المقاومة وهو: اختطاف الجنود الإنكليز والقضاء عليهم.[3]

ورواية "النداء الخالد": تتناول الحرب العالمية الأولى التي نشبت عام ١٩١٤م، وقد كانت مصر ترسل برجالها ليعملوا في خدمة القوات الإنجليزية، فيعبّدوا الطرق ويشقوا الترع ..[4] أو أن يأتي أحد الضباط الإنجليز إلى قرية مصرية ما، وبيده ورقة مطوية لينشرها ويتلو أسماء "المتطوعين" الذين سيتم ترحيلهم إلى مناطق القتال، وكما وضّح الكيلاني فإن لفظ "المتطوعين" إنما يقال

---

[1]– رأس الشيطان، ص ٧٠ .

[2]– المصدر نفسه، ص ١٢٦–١٢٧.

[3]– المصدر نفسه، ص ٢٠٥.

[4]– النداء الخالد، ص ٩.

للتمويه والكذب، فالجميع يعرف أن كل من سيق سابقاً لم يكن يحق له الاعتراض أو التخلف، وأنهم يساقون مُسخّرين لأعمال غير حربية كشق الطرق وسط الصحاري وعبر الجبال، ونقل المؤن والمعدات، والقيام على خدمة القوات الإنجليزية وإجابة مطالبها في أية بقعة في الشرق الأوسط وصحراء ليبيا وفي قبرص واليونان وسيناء وغيرها.[1]

وهناك التذكير بالأسباب الواهية التي يتنكر خلفها الاحتلال في دخولهم لبلاد المسلمين فنرى الشيخ "عنبة" الذي قضى فترة ليست بالقصيرة في الجامع الأزهر أيام كان شاباً وعاصر "جمال الدين الأفغاني"، وشارك في انتفاضة الشعب المصري أيام الثورة العُرابية، نراه لا يفتأ يفكر في أمر هؤلاء الإنجليز الذين دخلوا مصر بحجة حماية الخديوي من غضبة الشعب[2]، ومصدر عجبه هو أن الإنجليز يحمون فرداً ويدوسون على إرادة أمة بأسرها.

ثم يتساءل : هل هذه هي الحرية التي ينادي بها الأوروبيون المتمدنون؟ ثم عندما اندلعت الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤م أعلنوا أنهم باقون لحماية مصر من غدر الترك والألمان .. وحماية تراث الإنسانية من الحريات العامة والعدالة والإخاء، وعدم الاستغلال، وينتهزون فرصة الحرب فيفرضون الحماية البريطانية والأحكام العسكرية على مصر. فتُراقَب الصحف وتُمنَع الاجتماعات .. ويُكتم كل صوت ينادي بحق مصر .. ويُستذل الأحرار وتعطل الحياة الديمقراطية، ويصبح قائد القوات البريطانية أو المندوب السامي هو الحاكم الفعلي في البلاد .. وهكذا اكتسح مصر طوفان المظالم وأصبحت مجرد ضيعة

1- النداء الخالد، ص ٢٦.

2- وانظر أيضاً رواية الطريق الطويل، ص ٢٦.

للإنجليز تورد لهم ما يحتاجون إليه من مال ومؤن .. يأخذونه بثمن بخس أو بلا ثمن .. ويقع العبء الأكبر من هذه التضحيات الفادحة على عاتق الشعب الفقير الكادح[1].. ومن يفكر في الاعتراض على الإرادة الإنجليزية، فالسياط والسجون والإعدام هي الرد الحاسم.[2]

ثم من المآسي التابعة لوجود الاحتلال ما يتبعه من مفاسد، فـ"كل يوم تذكر القرية الغائبين عنها، أولئك الذين ذهبوا إلى بعيد، حيث لا يعلم أحد، ليقوموا بأحطّ الأعمال في خدمة الإمبراطورية التي لا تغرب عنها الشمس، وفي كل يوم تأتي أنباء من المدينة تؤكد ما سبق من شائعات، تلك الشائعات التي تتحدث عما يفعله جنود الإنجليز .. فهم في المدينة يغتصبون النساء ويستولون على البضائع من المتاجر العامة، ويضربون المواطنين للتسلية أو لأوهى الأسباب، ويترنحون سكارى في الشوارع، ينشرون الفساد والانحلال في أرجاء البلاد[3]، فهم يحق – كما يقول الشيخ "عنبة" – رسل مجون ودعارة وانحلال، لا رسل مدنية وتحرير للشعوب المستعبدة.[4]

أما المفاوضات في وقت الحرب فهي :"مأساة جديدة، يحاول الاستعمار أن يشغل بها الأمم المكافحة .. تضييعاً للوقت، ولكي يجد ثغرة ينفذ منها إلى أغراضه الخبيثة.."[5] ثم تنطلق ثورة ١٩١٩في مارس، وكان الذي بدأها طلبة

---

[1]– وانظر : الطريق الطويل، ص ١٠٣.

[2]– النداء الخالد، ص ٤٢-٤٣ .

[3]– وانظر : الطريق الطويل، ص ٣٢و ٣٤و٩٧.

[4]– النداء الخالد، ص ١٠٩.

[5]– المصدر نفسه، ص ٢١٨ .

المدارس العليا، وكانت الرصاصات الإنجليزية الطائشة تنساب لتصيب الشباب العزل الذين قاموا بالمظاهرات السلمية وتحصد الكثير منهم.[١]

الحرب مع إسرائيل :

الحرب مع اليهود المحتلين في فلسطين من أهم الحروب في تاريخ العالم العربي والإسلامي المعاصر والصراع القائم كان له تأثير كبير على جميع جوانب الحياة.

في "رجال وذئاب": تتناول هذه الرواية الحرب التي وقعت بين مصر وإسرائيل والهزيمة التي لحقت بمصر وقواتها وهي "أكبر هزيمة عرفتها مصر في تاريخها القديم والحديث"[٢]، ثم محاولة تلميع صورة "جمال عبد الناصر" بمسرحية هشة عن تنازله عن الحكم ثم رضوخه لرغبة الشعب وعودته إليه ثانية.[٣]

وفي "أهل الحميدية" : ركزت هذه الرواية على الحرب الإعلامية الحامية التي انطلقت وقت الحرب مع إسرائيل، فـ"عبد الناصر يعقد المؤتمرات الصحفية، ويخطب في الجماهير، و"هيكل" ينشر صور الطائرات "التي ستحمي سماء الشرق الأوسط"، وصور الجنود والضباط في جيشنا الجرار المزود بأحدث الأسلحة الروسية". ويسجل الكيلاني كيف أخذ أهل المدن يكدسون المؤن مخافة أن تشتعل الحرب، وتشح الأقوات.[٤]

---

[1]- النداء الخالد، ص ١٦٩.

[2]- رجال وذئاب، ص ٢٤٤.

[3]- المصدر نفسه، ص ٢٤٥ وما بعدها.

[4]- أهل الحميدية، ص ٢٠٥.

ولكن ما هي نتيجة هذه الحرب؟ أيضاً تبين هذه الرواية النتيجة فقد "صمتت دقات الطبول، وخرست ألسنة الخطباء، وانتهت الأسطورة في أيام قليلة، وامتلأت صحراء سيناء بالحفاة العراة، وبالقتلى والجرحى وأطنان الأسلحة المستوردة، وتورمت أقدام الهاربين من ساحة الجحيم،[1] وهامت النسوة في الطرقات يبحثن عن أولادهن وأزواجهن وإخوتهن، ولا يجدن من يجيب على تساؤلاتهن، أو يرشدهن إلى ماذا يفعلن.[2]

ونفس هذه الحرب تتناولها رواية "ليالي السهاد" فـ"عبد القادر" المهندس الذي شارك في هذه الحرب يصور الوضع بشكل مفصل فيقول :"إنني أعيش في كابوس رهيب .. إن طائرات العدو تحصد فينا، وقواته تقترب منا، وتقوم بعمليات التفاف جريئة، وتحاول تجنب الصدام معنا، لكنها تكسب أرضاً .. لقد أصبحت خلفنا وأمامنا .. أخذنا نتراجع في فوضى، العدو يصب النار من فوقنا، ويوجهها إلينا أنّى اتجهنا .. نحن ننسحب. أغرب انسحاب سمعت عنه، بعضنا ينسحب للأمام والآخر للخلف .. الجرحى يئنون .. والموتى يرقدون في سكون .. والأحياء كالسكارى .. الكل يفكر في النجاة .. أكداس السلاح متناثرة هنا وهناك .. الرمال تمتد بلا حدود .. وزمر المنسحبين تترامى في إعياء وأسى .. وصوت يصرخ "الموت للخونة" .. وآخر يقول :"خدعونا".[3]

ووقع الهزيمة على الناس كان شديد المرارة، ليس على المقاتلين أنفسهم فقط، فقد "إنطلقت الألسن التي خدعها الزيف، أو عقلها الخوف تتحدث بصراحة

---

[1]- أهل الحميدية، ص ٢٠٧.

[2]- المصدر نفسه، ص ٢٠٩.

[3]- ليالي السهاد، ص ٢٠٣- ٢٠٤.

جارحة، وكلما تقابل اثنان تحدثا عن آخر نكتة، وأصبحت النكتة في الشارع المصري أصدق تعبيراً من مقالات الصحف، وخطب الزعماء، وتصريحات القادة، كان ما جرى جرحاً غائراً في قلب مصر، وتحدث الناس عن خداع روسيا، وتواطؤ أمريكا، وسذاجة المسؤولين عندنا، وتغنت إسرائيل بنصرها العجيب، وصفق لها العالم.[1]

وهناك أمر آخر تتناوله رواية "أهل الحميدية" وهو الأسرى الذين أسروا في وقت المعركة، ثم بودلوا بمساعدة من منظمة الصليب الأحمر الدولي.[2] ومن هؤلاء "عبد المغيث" فـ"المعركة الطاحنة لم تزل عاصفة في رأسه، وصورتها لا تفارق خياله، الانسحاب الفوضوي الكبير، وجيوب للمقاومة صامدة في يأس، وتفضل الموت على الاستسلام، ذلك لأنهم آمنوا وصدقوا ووجدوا موقعاً يتشبثون به ولو لمدة قصيرة، ومات من مات، وجرح من جرح، وأسر من أسر، والسادة الكبار يتوسدون الحرير، ويستنشقون البخور، ويكرعون الكؤوس، ويدخنون الحشيش، ويلاعبون الراقصات والفنانات الداعرات، ويتحدثون عن رفض الهزيمة، والإعداد لجولة قادمة، وحرب الاستنزاف، وقرارات مجلس الأمن، وجنة الاشتراكية، وجحيم الرأسمالية والإمبريالية الباغية، ورجال الأمن يجدّون في البحث عن المعارضين والناقدين والشامتين والرجعيين والسلبيين، والذين يسخّرون الدين لبلوغ أطماعهم، وحفلات الرقص والغناء تقام على الشاطئ الشرقي للقناة، وعادت القاهرة لتسهر حتى الفجر، والمطربون والمطربات، والراقصون والراقصات يحيون

---

[1]- ليالي السهاد، ص ٢١١.

[2]- أهل الحميدية، ص ٢٢٣.

الليالي الغجرية في حانات شارع الهرم، ثم يقرءون الفاتحة على أرواح الشهداء، ويقفون دقيقة حداداً على الأرواح الشهيدة". [1]

الحرب في العراق :

"ملكة العنب": هذه الرواية من الروايات المتأخرة زمنياً نوعاً ما، فهي تذكر الحرب في العراق وكيف أنها كانت سبباً في قتل مصريين كثيرين كانوا يعملون هناك لسنوات، "وانشغل الناس بغزو العراق للكويت وتحريك أمريكا ودول أخرى قواتها إلى الأراضي العربية لتحقيق الشرعية الدولية كما يقولون، [2] ثم انشغل الناس بتحدثهم عن غارات محتملة بالغازات السامة وقذائف الميكروبات، وصواريخ "سكود"، وربما القنابل الذرية. ويزعمون أن "صدام" سيضرب السد العالي فتغرق مصر كلها لأن مصر أرسلت جزءاً من جيشها لتحرير الكويت المغتصبة". [3]

ثالثاً : المرأة :

المرأة نالت قسطاً كبيراً من اهتمام الكيلاني في رواياته، وسواء أكانت المرأة أماً أو أختاً أو زوجة أو بنتاً فكان لها ذلك القسط، وسنرى أصنافاً للمرأة ذكرها الكيلاني، فمن هذه الأصناف :

١. المرأة الصالحة والإيجابية :

ففي رواية " ليالي السهاد" نرى "هدى" زوجة "عبد القادر" التي صبرت على اعتقال زوجها، وبقيت وفية له مع الضغوط الكثيرة التي تعرضت لها،

---

[1]- أهل الحميدية، ص ٢٣٠.

[2]- ملكة العنب، ص ٣٨و١١٦و١٣٣.

[3]- المصدر نفسه، ص ١٤٩.

وطلب رجال الأمن منها أكثر من مرة أن تتقدم بطلب الطلاق[1]، إلا أنها بقيت ثابتة وتحملت الضغوط، مع ظهور إيمانها وصدق توكلها على الله، ومحاولتها مواساة زوجها والوقوف إلى جانبه بعد خروجه من المعتقل، وتثبيته عند ضعفه في بعض الأحيان[2]، ثم بعد ذلك كله سكوتها ومعاناتها النفسية بعد معرفتها بزواج زوجها من غيرها إلى أن يهاجرا في آخر الرواية خارج بلدهما فتنال جزاء صبرها راحة وطمأنينة[3].

وفي رواية "رجال وذئاب" كانت الطبيبة "فضيلة" مثالاً للمرأة المسلمة المحافظة على أخلاقها وحجابها، وقد اكتملت بإيجابيتها حيث ترددت كثيراً في اختيار زوج المستقبل، إلا أنها كانت في آخر المطاف واضحة تمام الوضوح، واثقة كل الثقة، فوضعت النقاط على الحروف، واختارت صاحب الدين والخلق "رشدي"، وآثرته على صاحب المال والجاه "عادل"[4].

ولعل الطبيبة "رحاب" في رواية "أهل الحميدية" شديدة الشبه بها.[5] إلا أن الأخيرة كانت منذ البداية قوية المواقف، لم تتردد، ويظهر ذلك في اعتقالها والتضييق عليها، إلا أنها ثبتت ولم تتزحزح عن معتقداتها وأفكارها، بل لعل ذلك زاد من تمسكها ذاك.

1- ليالي السهاد، ص ١٠ .

2- المصدر نفسه، ص ٥٣ .

3- المصدر نفسه، ص ٢١٨ .

4- رجال وذئاب، ص ٢٣٣ .

5- انظر : رواية أهل الحميدية .

وأما "نبيلة" في رواية "رحلة إلى الله" فكانت مثالاً للمرأة الإيجابية التي استطاعت بعد أن تَكَشَّف لها الدور الذي يقوم به خطيبها أن تهرب منه وهو الطاغية الكبير "عطوة الملواني" وأن تخطط لمغادرة البلد بروية وبدون أن يشعر بذلك، بل كانت تريه أنها تعد العدة للزفاف ليطمئن من ناحيتها[١]، لتنجح في خطتها وتغادر مصر إلى بلد عربي[٢]، لا تكتفي فيه بالعمل والوظيفة بل تبدأ بكتابة كتاب تتحدث فيه عن "عطوة" والسجون السياسية في مصر في ذلك الوقت، والتعذيب الذي يُمارس، ليسبّب هذا الكتاب أزمة بين حكومة مصر والكويت، وليثير ضجة كبيرة في العالم[٣].

أما "ملكة العنب" فهي مثال للمرأة القوية الشخصية، القادرة على القيام بأعمال يعجز عنها كثير من الرجال، فهي نراها لقبت بملكة العنب لتميزها في زراعة العنب وتسويقه مع كونها امرأة، والزراعة والتجارة من أعمال الرجال ولا ينجح فيها منهم إلا القليل[٤]، وهي أيضاً تجرأت وذهبت لتوكّل أشهر المحامين للدفاع عن شباب قريتها الذين اعتُقلوا، ولم تخَف مما قد يجلب عليها هذا التصرف من مشاكل كانت هي في غنىً عنها[٥]. ثم مراعاتها للأسر الفقيرة وإغداقها عليهم من مالها، وإنفاقها على طلاب الجامعة من المحتاجين من أبناء قريتها، وكان معظم هذه الأمور تقوم بها سراً فلم يكن لها هدف في إعلان هذه الأمور ولم يكن هدفها إلا كسب رضا

1- رحلة إلى الله، ص ٢٧٨ .

2- المصدر نفسه، ص ٢٩٢ .

3- المصدر نفسه، ص ٣٨٣ .

4- ملكة العنب، ص ١١ .

5- المصدر نفسه، ص ٤٥ .

الله ثم التخفيف عن المستضعفين وإرضاء ضميرها. ثم كان الختام في موقفها الأخير في تمسكها بحق اختيار زوجها الذي اختارته على أساس حسن دينه وخلقه، فلم تطلب جاهاً ولا مالاً[1]. وكان أن تميزت "ملكة العنب" عن الشخصيات النسائية في روايات نجيب الكيلاني بدورها القوي والإيجابي في محيط قريتها كلها، بل قد تعداها في بعض الأحيان، ولم ينحصر ذلك في بيتها أو عائلتها فقط كما كان الأمر مع باقي الشخصيات النسائية في روايات الكيلاني. وتستحق "ملكة العنب" وقفة طويلة أخرى لعلنا نستطيعها في معرض حديثنا عن الشخصيات في الباب القادم بإذن الله.

٢. المرأة الفاسدة واللعوب :

هذا الصنف من النساء لا يخلو منه مجتمع، ولذلك لم يكن في وسع الكيلاني تجاهله، أو إهماله، والدكتور الكيلاني يرد على من نعى عليه التوسع في موضوعات المرأة فيقول :"أقول لمن يتحرجون أو يتورعون عن التعرض لمشاعر المرأة وعواطفها، خاصة في حالة الزيغ والانحراف والانسياق وراء إغراءات الإثم ولواعج الشهوة، فأقول لهؤلاء جميعاً: إن الأثر العام أو الكلي لدى المتلقي هو ما نهدف إليه، دونما تزيّد أو مبالغة تشط بنا عن القصد، أو تهوي بمشاعرنا إلى الجوانب المهلكة".[2] فلذلك نرى المرأة الفاسدة واللعوب في روايات عديدة للكيلاني، ففي "رجال وذئاب" كانت الحكيمة "نادية عبد الباقي" تجسد هذا الدور، وفي "حكاية جاد الله" نرى "انتصار" التي كانت مستعدة لأن تعمل أي شيء في سبيل استمرار عملية

---

[1]- ملكة العنب، ص ١٥٨ .

[2]- الكيلاني، مجلة الأمة، مقالة بعنوان: القصة الإسلامية والأدب الإسلامي، العدد السادس والخمسون، السنة الخامسة، شعبان ١٤٠٥هـ/أبريل ١٩٨٥م، ص ١٧-١٩.

تزييف النقود وتسويقها لتدرَّ عليها الأموال، ومع أنها في نهاية الرواية استقرت ومالت إلى الهدوء والبعد عن كل ما كان في ماضيها من آثام وخطايا، وبدأت حياة الأمومة التي أشبعت عندها الحاجة إلى السكينة والاطمئنان.[١]

وهناك "عنايات هانم" في "ليل وقضبان" زوجة مدير السجن، التي رضيت بالخطيئة واستمرأتها وأصبحت بين ليلة وضحاها ذات وجهين: الأول : الزوجة المطيعة لزوجها المحبة له الحريصة على راحته وصحته. الثاني : الزوجة الخائنة التي لا يخالجها أدنى إحساس بالذنب لخيانتها بل تعتبره انتصاراً لها على زوجها، وثأراً منه وانتقاماً، إلى جانب محاولتها أن تقنع نفسها بأن ذلك هو جزء من حريتها وحقها الشخصي وليس لأحد التدخل فيه[٢]. و"عنايات هانم" تشبه في هذا الجانب زوجة الباشا في رواية "رأس الشيطان".[٣]

أما في "ليالي السهاد" فتبدو "صافي" الفنانة كرمز للفجور والفساد، وهي بذلك لا تمثل نفسها فقط، بل تمثل شريحة من المجتمع، هذه الشريحة التي أصبح لها من الاحترام بين كثير من الناس في المجتمعات العربية والإسلامية، وهي شريحة الفنانين والفنانات، فصورهم البراقة وأخبارهم يتساقط عليها الناس، إلا أنهم في حقيقتهم يعيشون عيشة اللهو والفساد والانحلال الأخلاقي.[٤]

---

[1]- حكاية جاد الله، ص ٢٣٨ .

[2]- ليل وقضبان، ص ٦٠ و٩٦ و ١٢١ .

[3]- رأس الشيطان، ص ١٨٦ .

[4]- ليالي السهاد، ص ١٥٨ و ١٨٨ .

٣. المرأة العاملة :

هذا الصنف من النساء أصبح واضحاً في المجتمعات العربية والإسلامية بحكم خروج المرأة في أحيان كثيرة للعمل لدواعٍ كثيرة، منها:

الحاجة المادية : فقد يكون راتب الزوج لا يكفي فتضطر المرأة للعمل لتساعد في حمل تكاليف الحياة مع زوجها. كما في "امرأة عبد المتجلي" فكانت الزوجة تاجرة لها علاقات تجارية واسعة النطاق كانت تفوق رجالاً كثيرين.[١] وكذلك في رواية "في الظلام" نرى "أم فريد" كانت تغسل للناس ملابسهم من أجل رعاية ابنها والإنفاق عليه.[٢]

أو قد يغيب العائل سواء أكان زوجاً أو أباً ... مثل الاعتقال أو الموت. فتضطر المرأة للخروج إلى العمل. كما فعلت "بدرية" في "ليالي السهاد"[٣] فقد حصلت على وظيفة تقوم فيها بأعمال مكتبية بسيطة في لقاء أجر زهيد في غيبة زوجها المعتقل.

أو لأن المرأة تريد أن تشارك في بناء المجتمع فنراها معلمة كما في "رحلة إلى الله" أو طبيبة كما في "رجال وذئاب" أو "أهل الحميدية"، أو تاجرة مثل "ملكة العنب" و"امرأة عبد المتجلي"، أو ممرضة كما في "الذين يحترقون" و"الربيع العاصف" و"عمالقة الشمال"، أو صحفية وهي "صفاء" في "رأس الشيطان".

---

[1]- امرأة عبد المتجلي، ص ٣٢.

[2]- في الظلام، ص ٩ .

[3]- ليالي السهاد، ص ٧ .

٤. المرأة الأم :

وهذه لها طعم خاص في روايات نجيب الكيلاني، فهي عادة الأم المصرية التي تفيض حناناً على أولادها، الحريصة على صحتهم، التي ليس لها هم في الدنيا إلا الاهتمام بهم ورعايتهم، فهناك : أم الحكيمة "منال" [1]، فقد مات زوجها وبقيت هي المسؤولة عن أولادها، وفي "رأس الشيطان" كانت أم "صفاء" تهتم بابنتها دائماً، وعندما رأتها ذات مرة تريد الخروج ليلاً بعد تبرجها وتزينها استنكرت عليها ذلك ولم ترضه لها، لما كان ذلك يخالف ما ربتها عليه من أخلاق حسنة وعفة وطهارة. فهي تهتف بابنتها في ذعر فتقول :

- "ما هذا يا بنتي؟ هل جننت؟

- بل في تمام عقلي ..

- يا للمصيبة !! لقد أصبحت مثل نجوم الشاشة، بل يؤسفني أن أقول إنك تبدين كراقصة محترفة ..

ومضت أمها إلى أبيها ثائرة، وقد ركبها هم الدنيا والآخرة، وقالت حانقة :

- هذه البنت لا أفهمها أبداً، إنها غريبة الشأن، إن وظيفتها كانت كارثة كبرى علينا وعليها، ليتها بقيت مثل بنات الناس في بيتها حتى خطبها ابن الحلال وأرحنا أنفسنا من هذا الغم كله .. لكن ماذا نفعل وقد كنا في حاجة ماسة إلى ما نتعيش منه؟ نحن نتعذب بين ذل الحاجة وعز النفس .." [2]

وفي رواية "رجال وذئاب" كان أهم شيء عند أم "عادل" التي كانت تموت أن ترى ابنها وتأخذه بين ذراعيها، فعندما ذهب "عادل" لرؤية أمه في

---

[1]- الربيع العاصف، ص ١١٤.

[2]- رأس الشيطان، ص ٢٠٦ و ما بعدها.

مرضها "جثا على ركبته فوق الحصير المهترئ، ومال برأسه على وجهها، فأخذت تمطره بقبلاتها المتلاحقة، وهي تطوقه بذراعها الواهنة، والدموع تغرق وجهها، وكاد يختنق فتخلص منها برقة .. قالت :"الآن شبعت وارتويت .. بل وشفيت .. رؤيتك أعظم دواء .."[1] وعندما أعطاها بعض المال لتنفق على نفسها لم تأخذه إلا بعد إلحاح منه، وقالت له :"قد تحتاجها أنت .. إنها هنا مستورة والحمد لله .."[2]وهو يقول عنها:"أراقت ماء شبابها .. عاشت تكدح .. لم تر يوماً باسماً في حياتها .. وكم أراقت ماء وجهها أيضاً .. كانت الحاجة تكبلها دائماً بقيود بخسة .. لقد أنهكها الفقر والصبر .. و ها هي تموت في نهاية المطاف .. تموت وتُطوى صفحتها ولا يبقى لها في الدنيا شيء ذو قيمة."[3]

رابعاً : الفساد

من الأمور التي تناولها الكيلاني في رواياته بشكل تفصيلي الفساد بأشكاله المختلفة، من الرشوة، والديون الربوية التي كانت ظاهرة كثيراً في الروايات التي تناولت حياة القرية والفلاحين، والفساد في المجال الطبي قد يكون في بعض الأحيان أكثر شناعة لأنه يتعلق بحياة الناس نفسها.

ففي رواية "الطريق الطويل" يقول "مرسي" المرابي المعروف مجاملة في دعاء الفلاحين على الإنجليز بخراب بيوتهم، لأنهم كانوا السبب في خراب بيوتهم فيأمّن على دعائهم، "وهو يفعل ذلك على سبيل المجاملة والمجاراة لا

---

[1]- رجال وذئاب، ص ١٦٢.

[2]- المصدر نفسه، ص ١٦٥.

[3]- المصدر نفسه، ص ١٧١.

على سبيل العقيدة والإيمان بها فهو يعلم أن الحرب كانت خيراً وبركة عليه، فقد هيأت له السوق السوداء، وعلمته أفضل وسائل الاحتكار، وعرفته كيف يصل إلى ذوي السلطان ممن يشرفون على توزيع التموين في البلاد، فيرشيهم ويهاديهم ويبني ثروة على الخداع والسحت، وعلى أشلاء الضحايا. فليس من المعقول أن يتمنى "مرسي" – صادقاً – خراب بيوت الإنجليز، لأن في ذلك خراباً لبيته، وانقطاعاً لمكاسبه وموارده."[1]

أما في "ليالي السهاد" فـ"عبد القادر" يستخدمه مديره في توصيل رشوة بدون علمه، فتثور ثائرته عندما يعلم، وهو يعبر عن الوضع الذي وصلت إليه البلاد، فيقول :"جلست ساهماً حزيناً، لكأن الحزن قدري، إن العالم يضيق ويضيق، لقد عم الفساد، وطفحت القذارة الأخلاقية، كما تطفح أنابيب المجاري المهترئة التي تنوء بأحمالها النتنة، والكارثة أنهم يعتبرون ما يحدث من فساد أمراً طبيعياً، والصحف والإذاعات تتحدث عن الطهر الثوري، والنقاء الثوري، وحقوق الكادحين، والقضاء على الاستغلال والرشوة والفساد .. ما أكثر الأشياء التي أقف أمامها حائراً، وأتلفت يميناً ويساراً، باحثاً عن ثغرة تقودني إلى الاستقرار فلا أجد .. أيمكن أن تستمر الحياة على هذا النحو من السوء والتناقض؟؟[2]

ومديره الحاج "علي محمود" يتنهد في ألم عندما يعاتبه ويقول :"زواج المكره باطل .. فليسامحنا الله .. فلتبحث معي عن حل .. هم الذين يريدون ذلك .. الفساد سياسة .. والرشوة فرض على رجل الأعمال .. بل ورجل الشارع

1- الطريق الطويل، ص ٦٢ .

2- ليالي السهاد، ص ٥٢ .

أيضاً .. اذهب وابن لنفسك بيتاً من دور واحد .. لن تحصل على الرخصة إلا بالرشوة .. ولن يدخلوا لك الماء والكهرباء إلا بالرشوة .. حتى عمالي الذين يأخذون مني مرتباً محدداً لا يتقنون العمل إلا إذا أخذوا "البقشيش"[1] من صاحب البناية .. بقشيش إجباري .. إنه كالرشوة تماماً .. اسمع يا بني .. أنت جوهر نقي .. عش كما أنت .. جريمة أن أدفعك إلى فعل خاطئ .. عهد علي ألا أكلفك بشيء تأنف منه .. لو لم تكن متزوجاً لزوجتك ابنتي. أنا أحسدك على صلابتك .. ولابد أن يوجد أمثالك .. لابد .. وإلا تحولت الحياة إلى غابة .."[٢]

وأما السجان "جاد الله" في "حكاية جاد الله" فهو يقوم بتهريب الحشيش والأفيون للسجناء في داخل السجن، وعندما تستغرب زوجته فعله خوفاً عليه وعلى مستقبل أولادها يكون جوابه لها "يا جاهلة، إن توصيلها إلى داخل السجن يعني عشرة جنيهات .. أتفهمين؟ عشرة جنيهات .. إنها تقل قليلاً عن مرتب شهر .. ثم إن هذه ليست أول مرة .."[٣]ونظرة "جاد الله" وفهمه للحياة يبين الكيلاني لنا من خلالها نظرة شريحة كبيرة من الناس فهو يرى أن "إدخاله للممنوعات يجعل المسجونين يغدقون عليه، والذين يدفعون له يجدون كل حماية ورعاية، والذين لا يدفعون ينالون أقسى أنواع القهر والعقاب .. لكل شيء ثمنه، و"جاد الله" يعتقد من قديم أن الرحمة والحب والتعاون كلمات جوفاء لا معنى لها في السجن، كما أنه لا يؤمن بالشعار المكتوب على واجهة السجن "السجن تأديب وتهذيب وإصلاح" الطيبون الذين يسجنون سرعان ما يسيطر عليهم الفساد والضلال، والفاسدون يزدادون فساداً، وقاموس المسجونين كلمات

1- أي : الإكرامية .

2- ليالي السهاد، ص ٥٦ .

3- حكاية جاد الله، ص ٧ .

مختارة من الفحش والبذاءة والفجر، ذلك المكان مستنقع كبير، يطفح بالقذارة والفتن والعفونة وهذا يجعل من المسجونين - حسبما يعتقد "جاد الله" - مجموعة من الحيوانات والبهائم أو الوحوش الضارية، لهذا فهو يستبيح كل شيء، ولا يعترف بالقيود القانونية، أو المواضعات الأخلاقية .. لقد رأى الناس في السجن الحربي يُعذبون ويسلخون ويُقتلون، وشارك بنفسه في ذلك تنفيذاً للأوامر، ورأى الناس هنا في "الليمان"[1] يعاملون كحيوانات، وحتى في الخارج .. في الشارع .. والدواوين .. والمؤسسات، القوي يلتهم الضعيف، والكذب والنفاق والتدليس يملأ الأروقة، إنها لغة العصر، يبتسمون ويعظمون الرئيس وينحنون له، وعندما يخلون إلى أنفسهم يبصقون عليه، لينفسوا عن مشاعرهم المكبوتة .. إنهم كالمسجونين تماماً .. الترقيات الهامة للمحاسيب ولمن يرفعون عقيرتهم بالهتاف، والمكافآت للجواسيس والمنافقين .. والتقدير والاحترام للجميلات والمومسات .. لا أحد منهم يفكر في الغد .. الذي يفكر في الغد يخاف .. والخائف لن يحقق أملاً .. وحتى لو أتت لحظة الحساب، وانكشف الغطاء، وتعرى المستور، فهناك ألف وسيلة ووسيلة للإفلات .. نحن مجتمع عريق في التحايل والإفلات يا "جاد الله"، كل شيء مباح حتى القتل .. نعم حتى القتل .. ألم أترك طالب الطب المسكين حتى لفظ أنفاسه .. رقد ساكناً كحمامة بريئة .. ماذا جرى ؟؟ نلت التقدير .. وحصلت على لقب عظيم .. لم يعاقبني أحد، ولم يفكر قائد السجن في محاكمتي، كان هذا في السجن الحربي .. أين الرحمة إذن؟ وأين العدالة والوطنية والأخلاق .. إن من يتدهور من فوق قمة الجبل لا يستطيع التراجع أو العودة إلى القمة لسبب بسيط لأن السقوط سهل، والصعود شاق، شاق جداً، وأنا لا أريد أن تُدمى قدماي وتتقصف أظافري ..

---

[1]- اسم سجن في مصر.

والقمة ليس فيها شيء ذو قيمة .. برودة ووحدة وهدوء .. أنا أحب السقوط إلى الأرض حيث الحركة، والزحام، وكل ما تشتهيه النفس .."[١]
ولذلك رضي "جاد الله" أن يشارك المسجون "منصور" في عمليات تزييف العملة حتى انكشف في نهاية الأمر.[٢]

وفي "ليل وقضبان" نرى مدير السجن بنفسه "عبد الهادي" يخاطب زوجته بعد أن اتهمته أنه يتقاضى الرشاوى من السجناء فيقول :"أنت حالمة .. أنا لا أسرق قوت المسجونين، ولا أتقاضى الرشاوى .. أيتها الغبية إنها امتيازات أزلية. تستطيعين أن تسميها حقوقاً مفروضة. فأنا أبيع للمحتاجين خدماتي .. أتظنين أن مرتبي يكفي!؟ كان من قبلي يفعلون ذلك .. ماذا خسرت الدولة بنقل سجين من الجبل والعمل الشاق إلى مستشفى السجن مقابل بضعة جنيهات لي؟ أهذه جريمة؟

إنك لا تفرقين بين القانون كمواد جافة وكواقع حي متحرك. دعي هذه الأمور يا عزيزتي ولا تفكري فيها. فزوجك أكثر خبرة وأكبر سناً منك، لماذا تثقلين رأسك الجميل بمثل هذه الخزعبلات التي لن تجني منها غير عذاب الضمير و .. وإغضاب زوجك الذي يحبك؟"[٣]

---

[1]- حكاية جاد الله، ص ١٠ .

[2]- المصدر نفسه، ص ١٣ و ٢٣٨ .

[3]- ليل وقضبان، ص ١٣٣ .

وفي رواية "رأس الشيطان" يصور لنا الكيلاني حياةً مزيجاً من الإثم والضلال والفساد الأخلاقي[١]، والظلم من الإقطاعيين للفلاحين[٢]، والفساد والنفاق السياسي[٣].

وفي "رجال وذئاب" هناك "نادية" الحكيمة التي على علاقة آثمة برئيس القسم ثم بـــ"عادل"، وافتضاح أمرها أمام الناس ووصول قضيتها إلى المحاكم، كل ذلك لم يردعها، بل تطور الأمر إلى الوصول إلى فساد آخر وهو محاولة تسريب أسئلة الامتحان من الأستاذ لتعطيه لتلميذه ليضمن النجاح والترقي في منصبه الوظيفي.[٤]

و"عبد المغيث" في رواية "أهل الحميدية" الطالب في كلية الطب الذي رسب في امتحانه ظلماً وجوراً ثم بعد محاولات كثيرة صدر قرار بالتحقيق في الأمر لتسكت الألسن المحتجة ثم نجح، يقول له "الحاج متولي" :"عرفت بنجاحك قبل أن تعلن الكلية ذلك .. كل شيء يأتي من فوق .. القوة هي التي تصحح الأخطاء، لا تتكلم عن اللوائح والقوانين وإجراءات التحقيق، إنها مملة طويلة، ولا فائدة منها .."[٥]

ثم بعد تخرج "عبد المغيث" يقول لـــ"الحاج متولي":

– " بعد أن تخرجت طبيباً، لم يعد لدي الحماسة القديمة للمشاركة في العمل السياسي .."

---

[1]– رأس الشيطان، ص ١٧٠و١٨٦و٢٣٣و٢٥١و٢٥٨.

[2]– المصدر نفسه، ص ٥٠و٩١.

[3]– المصدر نفسه، ص ٢٥و ٢٩ و٤١.

[4]– انظر : رجال وذئاب، ص ٢١ و٣٢ و٦٦و٢٧٢ .

[5]– أهل الحميدية، ص ٥١ .

- "صدقت يا بني، من اقترب من النار لحق الخطر، وليس لنا من الأمر شيء، البلد بلدهم، وليفعلوا ما يشاءون .."

هز "عبد المغيث" رأسه وقال :

- "انعدمت الثقة بين الجميع، الزملاء خائفون، ويعبرون بكلمات وأفكار أبعد ما تكون عما في داخلهم، وعن الحقيقة، هذا زمن الخوف والكذب .. لقد ضاع الحلم الذي حلمنا به طويلاً قبل الثورة يا عمي .."

وأخذ "الحاج متولي" يشرح له كيف أنه يعرف ذلك وأكثر منه كمسؤول، وأنه لم يعد يرضى بما يجري على الساحة، لكنه مضطر اضطراراً أن يسير في الركب، ويماشي الجو، حتى "يعيش"، وحتى يظل محتفظاً "بمكانته" كشيخ للبلد، وإذا لم يفعل ذلك فسيخسر كل شيء، ويفقد هيبته، وتدوسه الأقدام، وهناك ألف رجل غيره على استعداد تام لكي يؤدوا الدور الذي يطلب منهم، دون وازع من خلق أو ضمير، وشرح "عبد المغيث" كيف أن الكثيرين من الناس قد هجروا المساجد، وأقاموا الصلاة في بيوتهم حتى لا تلحق بهم شبهة التدين، أو الانتماء للجماعات الإسلامية، كما بادر البعض بإحراق بعض الكتب التي تعالج قضايا إسلامية ذات صلة بمنهج الدين في الفكر والأخلاق والسياسة والاقتصاد وهو أمر لم يحدث على هذا النحو من قبل، حتى في أيام الاستعمار الإنجليزي."[1]

وفي "ملكة العنب" يعدد العمدة أسباب فساد القرية التي كانت آمنة فيقول :"التليفزيون .. والسفر للعمل بالخارج .. وفساد الإدارة .. والبضائع

---

[1] - أهل الحميدية، ص ٩٧و٩٨ .

المستوردة .. وانهيار التعليم .. والبعد عن شرع الله .. والرشوة .. تلك هي الأوبئة السبعة."[1]

و"ملكة العنب" "براعم" نفسها تقول عن ضابط الشرطة الذي تقدم لخطبتها فرفضته فعاتبتها أمها على رفضها له فقالت لها :"إنه يأخذ الرشوة من تجار المخدرات ليتستر عليهم، وله حق معلوم عند التجار وأصحاب الحاجات .. وفي سبيل ذلك لا تسلم تصرفاته من الظلم والفساد .. هذا الجسد الفارغ المفتول العضلات مآله النار."[2]

وعندما حاول "عبد السميع الطناحي" النائب في مجلس الشعب أن يتحدث في المسجد أمام الناس عن الأمن الاجتماعي، والحوار الديمقراطي، واحترام كرامة المواطن، وضرورة الانحياز إلى الشرعية، وحق كل إنسان في أن يرفع شكواه إلى القضاء العادل، وإلى ممثليه في مجلس الشعب، ضُرب من قبل أفراد الشرطة حتى أنه أخذ يتشبث بعمود المسجد ويقول :"إنني أتمتع بالحصانة وليس لأحد الحق في القبض عليّ .." ولم يتوقف أفراد الشرطة عن كيل الصفعات والركلات له. وفي اليوم التالي سجلت إحدى صحف المعارضة واقعة الاعتداء على نائب الدائرة لكن مصدراً مسؤولاً من وزارة الداخلية نفى ذلك بشدة، وأكد أن الوزارة تتصرف في إطار القانون، واحترام القانون وحرية الرأي، وأن قانون الطوارئ يطبَّق في أضيق نطاق، وأنه لا يستخدم إلا ضد المتطرفين وتجار المخدرات، ومحترفي الإجرام، وأن هدف الوزارة الأساسي هو الحفاظ على الأمن، وعدم إعطاء فرصة

---

[1]- ملكة العنب، ص ١٧.

[2]- المصدر نفسه، ص ٢٠.

لأعدائنا في الخارج، كي يفرّقوا صفوفنا، ويبذروا بيننا بذور الفتنة .. ومن المعروف أن خروجنا من المأزق الاقتصادي لا يتم إلا بتوفير الأمن والجو المشجع للاستثمارات ورأس المال العربي والأجنبي.

لكن النائب "عبد السميع الطناحي" وقف أمام أعضاء المجلس، واستفاض في وصف ما تعرّض له من إهانات على مرأى ومسمع من أهل "الربايعة"[1] الذين هم على أتم استعداد للإدلاء بشهادتهم. لكن نواب الحكومة قابلوه بالصياح والاستنكار، وطالبوا رئيس المجلس بمنعه من مواصلة الحديث، واعتبروا ما يقوله "الطناحي" مكيدة مدبّرة يقف وراءها رجال أحزاب المعارضة الحاقدين، والمتطرفون وأذناب الإرهاب، وخاصة المتاجرون بالدين. وتحت ضغط الأغلبية، وتعليقات وزير الداخلية اللاذعة، أمر رئيس الجلسة بالانتقال إلى مناقشة قضية "القروض الخارجية" المتفاقمة .."[2]

وفساد من نوع آخر وهو أمر قد انتشر في مصر في السنوات الأخيرة وهو انهيار المباني فقد "انهارت مستشفى الوحدة المجمعة القديمة بالقرية، فحزن الناس لهذا الحدث المفاجئ، إذ أن ذلك سيعطل نشاط الخدمات الصحية، ويلجئهم إلى الذهاب إلى المراكز والقرى المجاورة لعلاج مرضاهم، ومن عجيب الأمر أن الحكومة أهملت المستشفى لسنوات طويلة، واهتمت ببناء مسرح فخم، وغرف عديدة إلى جواره للرياضيين، ولم يحدث قط أن قُدمت مسرحية على هذا المسرح، كما لم تقم فيه محاضرة ثقافية واحدة، أو أي نوع من الاحتفالات الشعبية في المناسبات الوطنية أو الدينية.

---

[1]- اسم قرية مصرية تدور أحداث هذه الرواية فيها.

[2]- ملكة العنب، ص ٥٠-٥٢.

ودعا "أحمد علام" رئيس المجلس المحلي إلى جمع التبرعات لبناء المستشفى بالجهود الذاتية، وسخر الناس من هذه الدعوة لأنهم يعلمون جيداً أن أي مبلغ يُجمع سوف يُسرق نصفه على الأقل، ولن يعاد بناء المستشفى في النهاية، بينما قال آخرون : إن الحكومة ملزمة بالبناء، لأنها سبق وأرسلت لجنة من المهندسين فقرروا عدم صلاحية البناء، والبدء في إخلائه فوراً وتأجير بيت بصفة مؤقتة ليمارس فيها الطبيب ومعاونوه عملهم ولو على نطاق ضيق .. وهكذا أصبحت القرية بلا مستشفى، لكن عزاءها أن بها مسرحاً جديداً للفلاحين .."[1]

هذه هي أهم الموضوعات التي تناولها الكيلاني في رواياته لكن هناك موضوعات أخرى كثيرة مثل :

١. الأمراض التي استشرت في الريف المصري وذلك بسبب الجهل والفقر. وذلك في رواية "الربيع العاصف" و"الطريق الطويل" و"رأس الشيطان" و"النداء الخالد".
٢. المحيط الطبي من أطباء وممرضين وممرضات ومرضى. والروايات التي تناولت هذا الأمر: "الذين يحترقون" و"رجال وذئاب" و"عمالقة الشمال" و"أميرة الجبل" و"الربيع العاصف".
٣. الحالة السياسية في الشارع المصري. وهذا الأمر تكاد لا تخلو منه رواية من روايات الكيلاني، فمن ذلك :"الطريق الطويل" و"رأس الشيطان" و"النداء الخالد" و"ليالي السهاد" و"رجال وذئاب" و"ملكة العنب" و"اعترافات عبد المتجلي" و"امرأة عبد المتجلي" و"حكاية جاد الله" و"رحلة إلى الله" .

---

[1]- ملكة العنب، ص ١٢٠و١٢١.

٤. الدعاة إلى الله وما يلاقونه من عنت وتضييق، طرقهم وأساليبهم في الدعوة، توظيف الكيلاني لهم في إظهاره للفكر الإسلامي وتوضيحه، سواء بسلوكهم وأفعالهم أو بأقوالهم وتعليماتهم لتلاميذهم، وأهم من هذا كله تأكيد أهمية دور الداعية الإسلامي في الرقي بالمجتمع والأخذ بيده نحو الإسلام. ومن الروايات التي تناولت هذا الموضوع : "رجال وذئاب" و"ملكة العنب" و"عمالقة الشمال" و"ليالي تركستان" و"النداء الخالد" و"الطريق الطويل" و"حكاية جاد الله" و"الرجل الذي آمن" و"نور الله".

٥. هجرة العقول الذكية والفاعلة بسبب القهر السياسي بسبب اختلافات عقدية أو صعوبة الحصول على مستوى شريف مناسب من المعيشة بسبب انتشار الفساد بكل أنواعه، وما يتبعه من خسارة البلد لهذه العقول. ومن ذلك ما ذكره الكيلاني في رواية "ليالي السهاد" و"رحلة إلى الله" و"أميرة الجبل".

٦. اليهود : وذلك قد ظهر كثيراً في روايات نجيب الكيلاني التاريخية مثل "عمر يظهر في القدس" و"حارة اليهود" و"قاتل حمزة" و"عمالقة الشمال" و"نور الله".

٧. التنصير : ودوره في إفساد عقول المسلمين وتشكيكهم في عقائدهم، وكشف الحقد الذي يعتمل في قلوب من يباشرون هذا العمل، وأساليبهم في استغلال حاجة الناس وفقرهم وجهلهم، ومن الروايات التي فضحتهم وكشفتهم : "عمالقة الشمال" و"ليالي تركستان" و"الظل الأسود" و"عذراء جاكرتا" و"الرجل الذي آمن".

٨. التاريخ الإسلامي والحضارة العظيمة التي ازدهرت في الماضي، والكيلاني بذلك لا يطلب العودة للتاريخ الإسلامي لمجرد تذكره والفخر بأمجاده، بل قد يكون من أهدافه في بعض الأحيان التوثيق لحوادث

تناولها كتاب آخرون – مثل "جرجي زيدان" – من وجهة نظرهم التي لم يوافق عليها الكيلاني، ورأى أن في ذلك نوع من التزييف لحقائق التاريخ الإسلامي، فهو نوع من الإحساس بالواجب تجاه التاريخ الإسلامي وحقه على أبناءه في الدفاع عنه أمام الحاقدين والمزيفين ورغبة في إثبات طهارة التاريخ الإسلامي ورفعته وعظمته. ومن تلك الروايات "نور الله" و"قاتل حمزة" و"مواكب الأحرار" و"الرايات السوداء".

٩. فلسطين : وهي قضية العرب والمسلمين الأولى، ففي حوار مع الأستاذ فتحي الإبياري يقول :"الأديب الذي لم يقدم أي عمل عن فلسطين مطعون في ذمته الأدبية".[١] وقد تناول الكيلاني قضية فلسطين في روايات كثيرة مثل :"أرض الأنبياء" و"عمر يظهر في القدس" وقد ترجمت إلى الإنجليزية وعدد من اللغات الشرقية و"دم لفطير صهيون" و"الطريق الطويل" و"رمضان حبيبي" ومجموعة القصص القصيرة "عند الرحيل".[٢]

١٠. النفس البشرية ، بقوتها وضعفها، بيأسها وأملها، وبكل ما فيها من مجالات وآفاق، فمن ذلك رواية "رحلة إلى الله" و"رجال وذئاب" و"ليالي السهاد" و"ليل وقضبان" و"النداء الخالد" و"رأس الشيطان" و"عمالقة الشمال" و"أميرة الجبل".

١١. الشعوب الإسلامية غير العربية وما عانته في سبيل حريتها ومقاومتها للاستعمار، وفي سبيل تمسكها بهويتها الإسلامية، مثل "عمالقة الشمال" في نيجيريا و"ليالي تركستان" في تركستان الشرقية و"عذراء جاكرتا" في أندونيسيا و"الظل الأسود" في أثيوبيا. ولعل الكيلاني برواياته هذه قد أكد

---

[1]- حوار مع فتحي الإبياري ، حاوره : محمود خليل، مجلة المجتمع، الكويت، العدد ١٦٣٢، السنة ٣٥، ١٣-١٩ ذي القعدة ١٤٢٥هـ/٣١ديسمبر ٢٠٠٤م، ص ٥٠-٥١ .

[2]- لمحات من حياتي ، ج٤، ص ٩٠. وانظر الروايات المذكورة جميعاً.

وحدة الأمة الإسلامية وإن اختلفت اللغات والبلاد فما يجمعها دائم وثابت وهو الإسلام.

ود. الكيلاني يذكر أنه أراد من خلال هذه الروايات أن يقتحم وجدان القارئ العادي، ليفهم القضايا الإسلامية، حيث يجد أمامه قصة عادية فيها كل المشوقات التي يريدها، ولكنها تحمل قضية وتكون دعاية لها"[1].

وبعد .. فيبقى لي كلمة أود قولها هنا وهي أن الكيلاني ذكر الجميل وحسّنه وجمّله في عيون قرّاءه، وذكر القبيح وقبّحه وكرّهه في عيون قراءه ليساعد في تثبيت الهدف من رواياته وهو إصلاح المجتمع الذي يعيش فيه، وذلك بذكر ما في هذا المجتمع من أمراض وعلل ليتنبه إليها الغافل وليبادر إلى إصلاحها العاقل، وما في هذا المجتمع من حسنات وميزات ليتمسك بها الناس ويرعوها.

---

[1]- العريني، مقالة بعنوان : نجيب الكيلاني في رحلته الروائية، مجلة الأدب الإسلامي، العدد ٩-١٠، ص٣٠.

تعريف الرواية :

الرواية لغة : أحدوثة شائعة مروية أو مكتوبة يقصد بها الإقناع أو الإفادة، وهكذا فإنها تروي حدثاً بلغة أدبية راقية عن طريق الرواية أو الكتابة ويقصد بها الإفادة أو خلق متعة ما في نفس القارئ عن طريق أسلوبها، وتضافر أحداثها وأجوائها التخييلية والواقعية.[1]

ود. يوسف نجم يعرّفها بقوله هي : "مجموعة من الأحداث يرويها الكاتب، وهي تتناول حادثة واحدة أو حوادث عدة تتعلق بشخصيات إنسانية مختلفة، تتباين أساليب عيشها وتصرفها في الحياة على غرار ما تتباين حياة الناس على وجه الأرض، ويكون نصيبها في القصة متفاوتاً من حيث التأثر والتأثير."[2]

ود. محمد غنيمي هلال يرى أنها "من أهم خصائص العصر الحديث وهي أوسع ميادين الأدب العالمي وأخطرها وأعمقها أثراً في الوعي الإنساني والقومي."[3]

---

[1]- شريبط، شريبط أحمد، تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة ٤٧-١٩٨٥م، (من منشورات اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٨م) د.ط، ص ٢٠.

[2]- يوسف نجم، د. محمد، فن القصة، (دار الثقافة : بيروت) د.ط، د.ت، ص ٩ .

[3]- غنيمي هلال، د. محمد، النقد الأدبي الحديث، (دار العودة : بيروت، ١٩٧٣م) د.ط، د.ت ، ص ٤٦٤.

وهي: مرآة متعددة السطوح وكل قارئ يلقي بناظريه على السطح الذي يعكس صورته بأمانة ودقة، أو لعلها كالبناء الضخم ذي الكوى العديدة، ولكل قارئ أن يطل من الكوة التي يختارها له ذوقه ومزاجه وطبيعته.[1]

والرواية في أوسع تعاريفها انطباع مباشر مشخص عن الحياة، تستمد منه قيمتها التي تقل أو تكثر تبعاً لقوة هذا الانطباع، ولن تكون له قوة وبالتالي قيمة إلا إذا توفرت حرية الشعور والقول.[2]

وهي القصة الطويلة المكتوبة نثراً، وتُعرف بأنها سرد قصصي نثري طويل يصور شخصيات فردية من خلال سلسلة من الأحداث والأفعال والمشاهد.[3]

أو: هي قالب من قوالب التعبير، يعتمد فيه الكاتب على سرد أحداث معينة، تجري بين شخصية وأخرى أو شخصيات متعددة، يستند في قصها وسردها على عنصر التشويق حتى يصل بالقارئ إلى نقطة معينة، تتأزم فيها الأحداث ويتطلع المرء معها إلى الحل، حتى يأتي في النهاية. وهي أوسع من القصة في أحداثها وشخصياتها عدا أنها تشغل حيزاً أكبر، وزمناً أطول.[4] وبالإمكان التجاوز في التسمية، فقد يطلق على الرواية قصة، أو على القصة الطويلة رواية.

---

[1]- نجم، فن القصة، ص ٣٠.

[2]- شورر ومايلز وماكنزي، أسس النقد الأدبي الحديث، ج١ ، ص١١٨.

[3]- التونجي، المعجم المفصل في الأدب، ج١، ص ٤٩١.

[4]- مريدن، د. عزيزة، القصة والرواية، (دار الفكر : دمشق، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م) ، ط ١، ص١٣و١٤.

قيمة الرواية ومكانتها كفن أدبي:

هي من أروع أنواع الأدب .. إنها فن، له قيمه الفنية الرفيعة، سواء من حيث رسم الشخوص أو من حيث التكوين العام للأحداث والمواقف، وهو فن يستقي من الحياة اليومية الجارية حقاً، ولكنه يحيل ما يستقيه إلى أشياء ثابتة، أشياء فيها روح الشمول التي لا تزول، ومن هنا تأتي صعوبتها فهي ليست سرداً قصصياً كما قد يبدو، وإنما هي خَلْق وضبط وإحكام ودأب في أن يبث القصاص في قصته ما يجعلها خليقة بالبقاء، وهو لا يستطيع ذلك إلا إذا توفر جاهداً على عمله، محاولاً أن يسبر من خلال مجتمعه أغوار الحياة الإنسانية ويكشف عن جواهرها الدفينة، ناقلاً عالم حياتنا العادية الزائلة إلى عالم باق، ونحن نقرؤه فنحس أن الأحداث والشخوص ليست غريبة عنا ولا بمعزل عنا، ومع ذلك فيها من العناصر الشاملة ما يجعل الناس يحسون أنها منهم، وليست منفصلة عنهم ولا عن حياتهم.

والقصة سبقت الأجناس الأدبية الأخرى في أداء رسالة الأدب الإنسانية .. وحلت مكانة اجتماعية وفنية لا يفضلها فيها جنس أدبي آخر.[1]

وإذن فليس بصحيح أن الرواية تنقل إلينا الحياة كما هي، هي تحاول نقلها ولكن إلى أفق واسع، وباتساعه تأخذ قيمتها، ويأخذ القصاص صفاته القصصية البارعة، بحيث تصبح له طوابعه المستقلة التي يتميز بها كما يتميز كل منا بملامحه وقسمات وجهه المستقلة.[2]

---

[1]- غنيمي هلال، الأدب المقارن، (دار العودة : بيروت، ١٩٨٣م) ط٣، ص ٢٠١.

[2]- ضيف ، في النقد الأدبي ، ص ٢٢٨-٢٢٩.

يقول تشارلتن : "الرواية ضرب من الخيال النثري له مهمة خاصة به، وهي أن تقص أعمال الرجل العادي في حياته العادية بعد أن تضعها في شبكة من الحوادث كاملة الخطوط متتبعة كل فعل إلى أدق أجزائه وتفصيلاته، وسوابقه ولواحقه موغلة في دخيلة النفس حيناً لتبسط مكنوناتها أثناء وقوع الفعل مستعرضة الآثار الخارجية للفعل حيناً آخر، لا تترك من جوانبه وملحقاته شاردة ولا واردة إلا سجلتها في أمانة وصدق كما تحدث في الحياة الواقعية التي يخوضها الناس ويمارسونها"[1].

ومما لا شك فيه أن الرواية أقرب أنواع الأدب إلى واقعنا الاجتماعي، وإنما نقول أقرب ولا نقول إنها نفس واقعنا، لأن أي نوع في الأدب والفنون عامة مهما قرب من تصوير الواقع لا ينقله نقل آلات التصوير، وإنما ينقله من خلال صاحبه، وكما تراءى في مخيلته، فالقصاص مهما كان واقعياً لا ينقل الواقع طبق الأصل، وإنما يحذف ويضيف فيه حسب إرادته الفنية، ولذلك كانت القصص تختلف من قصاص إلى قصاص، لأن كل قصاص يضيف قدرته ويُضفي على من يصفهم غير قليل من ومضات شعوره وتفكيره.[2]

وفي باب "من تجاربهم" في مجلة "الفيصل" يقول الأستاذ عبد اللطيف الأرناؤوط :"على مرّ الزمان أدركتُ أن عظمة القصة لا تكمن في غرابة أحداثها أو مفاجآتها وإنما تكمن في عناصر متشعبة منها : العرض، وبراعة

---

[1]- انظر : د. عبد الفتاح محمد عثمان، في مقالة بعنوان : الرواية الإسلامية وبناؤها الموضوعي والفني، مجلة الأدب الإسلامي، المجلد العاشر، العدد ٣٨، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ص ٤-٩.

[2]- ضيف، في النقد الأدبي، ص ٢٢٨.

التركيب والقدرة على التحليل وإثارة القارئ، وحفزه إلى التمسك بالقيم الإيجابية، والأخلاق الفاضلة، مما يجعل هذا الفن مدرسة عظيمة للتهذيب ..

ما الذي يشدنا ونحن نستمع إلى القصص أو نقرؤها ..؟؟

إن القصة تغذي نفوسنا بألوان من المشاعر والرغبات، وتفتح عيوننا على عوالم من السلوك والمغامرات التي تجدد حياتنا، وتطهر نفوسنا، وترقى بقيمنا إلى الأعلى."[1]

كيف نفضل رواية على أخرى؟

تفضيل رواية على أخرى ليس لما تصوره من حياة أكثر نبلاً ولا بما تقدمه من الشخصيات التي تنتزع من التقدير والإعجاب أكثر مما ينتزعه غيرها، بل بما يظهره الكاتب من تعمق وتوغل في صحيح التجربة التي يحاول أن يصورها.[2]

أو قد يكون في بعض الأحيان للإثارة التي حركها فينا الكاتب من خلال ترتيبه لأحداث روايته بحيث يستمر القارئ حابساً أنفاسه، متتبعاً الشخصيات، وكله شوق لمعرفة ما سيؤول إليه حالهم وما سيَجِدُ معهم، وهذا كله مرتبط بتفاعل القارئ وارتباطه واهتمامه بموضوع القصة وأحداثها، أو ببراعة الكاتب

---

[1]- عبد اللطيف الأرناؤوط، باب : من تجاربهم، بعنوان: الأدوات الفنية في القصة القصيرة، مجلة الفيصل ، العدد٢٣٧، ربيع الأول ١٤١٧هـ/ يوليو- أغسطس ١٩٩٦م، ص ٧٨-٧٩.

[2]- نجم ، فن القصة ، ص ٦٠ .

الذي استطاع أن يحرك في القارئ هذا التفاعل ويوقظه، ففي بعض الأحيان يتناول الكاتب موضوعاً بعيداً كل البعد عن تفكير القارئ واهتمامه، فينبّهه إليه ويجعله يبدأ الاهتمام به، وهذا كله يجب أن يكون بطريقة سلسة مرنة، وليس بطريقة مباشرة فجة.

وفيما يخص روايات نجيب الكيلاني فإن رواياته الإسلامية : "عمالقة الشمال" و"ليالي تركستان" و"عذراء جاكرتا" و"الظل الأسود" قد تكون مناسبة لمثل هذه النقطة، فقد تناول فيها الكيلاني بلاداً إسلامية بعيدة، بل مَنْسِيَّة عند القارئ العربي، ولا تلفت انتباهه، ولا يدري كثير من القراء مكان هذه البلاد على الخارطة، فجاءت روايات الكيلاني لتوقظ فيهم الحس الإسلامي، والشعور بالوحدة الإسلامية بين البلاد مهما بعدت، وأن العالم الإسلامي جسد واحد، ولعل هذا كان هدف الكيلاني عندما كتب هذه الروايات وقد نجح في ذلك نجاحاً كبيراً. وهذا كله قد تحقق بطريقة سلسة جميلة ولم يقل الكيلاني بطريقة مباشرة هذه بلاد إسلامية فعليكم الاهتمام بها والإحساس بما عاناه أهلها في سبيل تمسكهم بدينهم.

إن أعلى أنواع الرواية هو ذلك النوع الذي يصور معاني العظمة، ويكشف عن أسرار النفس البشرية، وما فيها من غرائز ونوازع روحية وجسدية، مما يؤدي إلى رفعة الحياة ورقيها، ولهذا الأمر نفسه اتفق الباحثون في شؤون القصة على أن الفن القصصي الصحيح هو هذا الذي يعرض المثل العليا في صورة الواقع الممكن ويحقق للناس حياة أرغد عيشاً وأنبل قصداً وأرقى عقلاً وأحسن خلقاً.[1]

---

[1]- العبيدي،رشيد،دراسات في النقد الأدبي،(مطبعة المعارف:بغداد،١٩٦٩م)ط١،ص٤٠.

وفي رواية "رجال وذئاب" تناول الكيلاني ذلك بتسليطه الضوء على "عادل" فهو يؤمن أن الأدب أوهام وشعارات ومخدرات، والسياسة أكاذيب ووحشية، والمسرح والسينما تجارة، والأخلاق من نصيب المستضعفين والفقراء، والعدالة هي القوة والبطش في أيدي المحظوظين من ذوي النفوذ.[1]

وهناك كتب كثيرة تتناول موضوعات فكرية مهمة وعلى الناس معرفتها ولكن الكتاب الفكري – وإن كان إسلامياً – فإن قراءه محدودو العدد، وهم أقرب إلى خاصة المثقفين، أما الشعر والقصة والمسرحية والتمثيلية والمسلسلة المسموعتان أو المرئيتان فلا يكاد جمهورها يحد، وهو جمهور متنوع من مختلف الطبقات والأعمار.[2] فمن هنا برزت أهمية الرواية ودورها الحيوي في رقي المجتمعات وقيمها.

مجال الرواية أمام الكاتب الروائي :

مجال الروائي هو عناصر التجربة الإنسانية التي عرفها أو خبرها، ولهذا يستطيع أن يتمثلها تمثلاً فنياً صحيحاً.
وليس من الضروري أن تكون التجربة المباشرة المصدر الوحيد لمعرفة الحياة والخبرة بها، ففي الكتب أنواع مختلفة من الخبرة التي يحتاج إليها الكاتب مهما

---

[1]- رجال وذئاب، ص ٨.

[2]- د. عبد القدوس أبو صالح، في مقالة بعنوان : دور الأدب الإسلامي المعاصر في الوحدة الإسلامية، مجلة الأدب الإسلامي، المجلد الأول، العدد الأول، رجب ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، ص ٧٢.

اتسع أفقه، كما أن الاتصال بالناس والتحدث إليهم، ألوان من الخبرة التي قد نعجز عن الحصول عليها بالتجربة المباشرة.[1]

ويذكر هنري جيمس في مقالة بعنوان : "فن الرواية" أن "كاتبة قصة إنجليزية – وهي امرأة نابغة – وقد أخبرتني أنها مُدحت كثيراً بسبب الانطباع الذي استطاعت أن تعطيه في قصة من قصصها عن طبيعة حياة الشاب الفرنسي البروتستانتي وأسلوبها، وسُئلت أين تعلمت كل ذلك عن هذا المخلوق الغامض، وهُنِّئَتْ على الفرص الغريبة التي أتيحت لها، أما هذه الفرص فهي تنحصر في أنها في إحدى زياراتها لباريس وبينما كانت تصعد درجاً مرت بباب مفتوح فرأت في داخل بيت أحد رجال الكنيسة بعضاً من هؤلاء الشباب البروتستانت وهم يجلسون حول المائدة وقد فرغوا من تناول وجبتهم.

إن نظرة واحدة رسمت في عقلها صورة، ولم تدم هذه النظرة أكثر من لحظة، إلا أن هذه اللحظة كانت تجربة. لقد كونت انطباعها الشخصي المباشر، ثم أبرزت ما ارتسم في نفسها إلى الوجود في كتابتها، كانت تعرف ما هو الشباب وما هي البروتستانتية، وقد سنحت لها فرصة التعرف على طبيعة الفرنسيين ولذا فقد حولت كل هذه الأفكار إلى صور مجسدة وأنتجت حقيقة واقعة، وفوق كل شيء فقد منحها الله المقدرة على استيعاب الكثير واستنتاجه من القليل .. إن القدرة على استجلاء الأمور غير المرئية من المرئية ثم تتبع ما تتضمنه الأشياء، والحكم على القطعة بأكملها من النموذج، ومعرفة الحياة

---

[1]– نجم، فن القصة ، ص ٦٧و ٦٩ .

العامة معرفةً جيدة إلى حد يجعلنا قادرين على معرفة دقائقها وتفاصيلها، هذه المجموعة من المواهب يمكننا أن نقول – هي التي تكوّن التجربة."[١]

والمواد الخام للكاتب هي الحقائق الإنسانية العامة يتناولها الكاتب بالتنسيق والتحويل والتشذيب، والخصائص التي تمتاز بها رواية ما عن غيرها تكون عادة نتيجة لتعمق الكاتب إلى قرار تجربته، ولمقدرته على استغلال جميع أدوات الصناعة لتصوير تجربته هذه كاملة نابضة بالحياة. والروايات الجيدة ليست وليدة الصدفة والاتفاق، ولكنها عصارة عقلية جبارة استطاعت أن تعي خلاصة التجارب الإنسانية في حقول الإبداع الفني."[٢]

والتجارب الشعورية لدى الفنانين الحقيقيين لا يمكن أن تتماثل وتتطابق بتّةً إذا كانت صادقة، وإن مثلها مثل "بصمات" الأصابع، تتشابه ولا تتطابق عند فردين اثنين من بني الإنسان-منذ بدء الخليقة وإلى آخر الزمان.[3]

أما الرواية الإسلامية فالمجال أمامها واسع، فإطارها إطار الإنسانية، وحدودها حدود هذا الدين الشامل الواسع وبين الإنسانية، ومجالاتها مجالات الخلق أجمعين، وعالمها عالم الحياة الرحب في أرجاء الأرض كلها.[4]

---

[1]- شورر ومايلز وماكنزي، أسس النقد الأدبي الحديث، ج ١، ص ١٢١-١٢٢.

[2]- نجم، فن القصة، ص ٦٠ .

[3]- قطب، سيد، النقد الأدبي أصوله ومناهجه، (دار الشروق : بيروت والقاهرة، ١٤٠٠ هـ/١٩٨٠م) ط٣، ص٢٠.

[4]- بريغش، دراسات في القصة الإسلامية المعاصرة، ص ١٨.

ونجيب الكيلاني استفاد كثيراً من تجاربه في حياته الشخصية، فنرى أن القرية لها حضور قوي وهذا الحضور قد ساعد الكيلاني في رواياته، فهو تناولها في روايات كثيرة، وهناك جانب آخر وهو دراسته في الجامعة فهذه أيضاً لها دور في التنوع في تجاربه، ثم في حياته كطبيب ونحن نرى هذا الجانب وجانب السجن من أكثر الأمور التي أغنت روايات الكيلاني وأثرتها. ومن تلك الروايات "ليل وقضبان" و"رجال وذئاب" و"رحلة إلى الله".

علاقة الرواية بالخيال والواقع :

الرواية : حوادث يخترعها الخيال، وهي بهذا لا تعرض لنا الواقع، كما تعرضه كتب التاريخ والسير، وإنما تبسط أمامنا صورة مموهة منه، ولا يُفترض في الكاتب الذي يتجه اتجاهاً واقعياً في روايته أن يعرض علينا من الحوادث ما سبق وقوعه فعلاً، أو ما ثبتت صحته بالوثائق والمستندات، ولا من الشخصيات ما له ذكر في سجل المواليد والوفيات، ولكن عليه أن يقنعنا بإمكان حدوث مثل هذه الحوادث، ووجود مثل هذه الشخصيات في الحياة التي نحياها ونعرفها.[1]

ولا يهمنا ونحن نقرأ الرواية ما إذا كانت هذه الشخصية أو تلك قد كان لها واقع في زمن ما، أو أن هذه الحادثة قد وقعت فعلاً أم لم تقع، بل كل ما يجعل متعة القارئ تكتمل هو الاقتناع بأن هذه القصة تتناول جانباً من جوانب الحياة التي تتعلق به أو بأحد ممن له علاقة به. فهي تختار ما له ارتباط بحياة الإنسان القارئ، وطبيعي أن الكاتب عندما سيكتب هذه القصة يكون على علم

---

[1]- نجم، فن القصة، ص ١٠.

ودراية بطبيعة القارئ الذي سيقرأ قصصه، والقارئ هو الهدف الذي يهدف إلى إرضائه كل كاتب، ولا أقصد هنا إرضاء القارئ بأي ثمن أو بأي طريقة، ولكن القصد أن ما كان من تجربة إنسانية مر بها الكاتب وأراد نقلها للقارئ، فهو ينقل للقارئ ما يكون سبباً لاستمتاعه وإرضاءه بتناول الكاتب لقضاياه ومشاكله وهمومه، فالقارئ العربي أو الإسلامي قضاياه ومشاكله وهمومه هي نفسها سواء أكان يعيش في المشرق أم في المغرب.

والرواية الفنية هي تلك التي لا تقتصر على الجانب الواعي من حياتنا اليومية واللون البادي من مجتمعنا الظاهر بل تتغلغل فيما وراء الوعي وتنفذ إلى باطن الحياة والمجتمع، حتى تتجلى له تلك الطوايا التي إليها مرجع الحفز والتوجيه.[1]

والكاتب الروائي يرى حوادث لا تعد عبر حياته اليومية، ويقابل أناساً كثيرين، وهو مثل أي شخص يعيش بيننا، إلا أن الروائي يختلف عنا في أنه يستفيد من هذه الحوادث وهؤلاء الناس فهو يختار لمحة من هنا وحركة من هناك، فيجعلها في قالب أدبي قصصي ويضيف إليها من خياله الكثير الكثير لتتكون في نهاية المطاف الرواية التي نقرأها نحن، فالخيال إذن له أكبر دور في تكوين الرواية، مع عدم إغفالنا لأهمية الواقع الحي الذي يستقي منه الكاتب روايته، واعتماده عليه.

ولي عودة إلى هذا الأمر في معرض حديثي عن الشخصيات التي استقاها الكيلاني من أولئك الأناس الذين التقى بهم في حياته اليومية ثم أضاف

---

[1]- العبيدي، دراسات في النقد الأدبي، ص ٤١.

عليهم من خياله ما رأيناه ولمسناه في رواياته من شخصيات حية شدت القارئ وجعلته يتفاعل معها ويحس بها وبما تعانيه أو تأمله.

صعوبات وقيود في فن الرواية:

هناك بلا شك صعوبات في فن الرواية، فهو ليس كما يُظن فناً حراً تام الحرية، بل هو فن يطوي في داخله غير قليل من القيود، قيود في البناء والتصميم، وقيود في رسم الشخوص والأحداث، وقيود في الظروف والملابسات التي تضطرب فيها تلك الأحداث والشخوص، بحيث يُحتفظ لها بمجال طبيعي واجتماعي واضح، ثم قيود في الخصائص اللفظية والوسائل التعبيرية.[١]

ومهمة الروائي تنحصر في نقل القارئ إلى حياة الرواية، بحيث يتيح له الاندماج التام في حوادثها، ويحمله على الاعتراف بصدق التفاعل الذي يحدث بين الشخصيات والحوادث، وهذا أمر يتيسر له إذا استطاع أن يصوّر الشخصيات في حياتها الطبيعية الخاصة.[٢]

عناصر الرواية :

يقول هنري جيمس في مقالته "فن الرواية" :"إني لا أتصور إنشاءً يتركب من سلسلة من الكتل الجامدة، ولا أتصور في أي رواية جديرة بالبحث أن هناك نصاً وصفياً ليس يُقصد منه السرد الروائي، أو نصاً حوارياً لا يُقصد منه

---

[1]- ضيف، في النقد الأدبي، ص ٢٣٠.

[2]- نجم، فن القصة، ص ١٠.

الوصف أو لمسة من الحق مهما كان نوعها لا تشارك الحدث في طبيعته، أو حدثاً لا يشتق أهميته من أي مصدر غير المصدر الواحد العام لنجاح العمل الفني- ألا وهو الإيضاح التصويري. إن الرواية شيء حي واحد مستمر كغيرها من الكائنات، واستمرار حياتها هذه يعتمد على مدى وجود كل جزء من الرواية في أجزائها الأخرى".[1]

تعتمد الرواية على الحكاية والسرد وتحريك الشخصيات وتطورها الزمني من خلال تسلسل الأحداث التي تصور ما في الحياة من تجارب إنسانية وعواطف وغرائز وأخلاقيات وطبائع بشرية، كما تقوم على معالجة موضوع كامل وترتكز على التفصيل والإطالة التي من خلالها يتاح للروائي التعريف بشخصيات روايته ومتابعة تطوير الحياة في روايته إلى أن تتضح الشخصيات والأفكار والحوادث أمام القارئ وضوحاً تاماً.[2]

إن امتلاك ناصية الحبكة والأسلوب والحوار ورسم البيئة وما إلى ذلك من عناصر كتابة الرواية لا يخلق بنفسه رواية عظيمة، وفي الوقت نفسه لا يستطيع الكاتب مهما كان موهوباً أن يكتب رواية عظيمة إلا إذا فهم جميع هذه العناصر وعرف سر اصطناعها وتسخيرها.[3]

إذن فمن أهم عناصر الرواية :
الفكرة، والزمان والمكان، والأسلوب، والأحداث، والشخصيات.

---

[1]- شورر ومايلز وماكنزي، أسس النقد الأدبي الحديث، ج١، ص ١٢٤.

[2]- البغدادي، المدخل في دراسة الأدب، ص ٥٨.

[3]- نجم، فن القصة، ص ٦٠.

وسأحاول في بحثي هذا دراسة كل عنصر من هذه العناصر في روايات نجيب الكيلاني وسأخصص للعنصر الأخير "الشخصيات" الباب التالي لأنه لب موضوع هذا البحث.

العنصر الأول : الفكرة

الأدب اليوم كما يقول الأستاذ محمد قطب[1] سلاح يستعمله أعداء الإسلام في إفساد الأجيال وإشاعة الانحلال، وما من مذهب فكري أو سياسي إلا استعمل الأدب لنشر آرائه وحشد الأتباع حوله، حتى كان من قول سماحة الشيخ أبي الحسن الندوي[2] :"إن العالم اليوم يحكمه القلم، وتحكمه الكلمة"[3].

إن الفكر الإسلامي – وكذلك الأدب – ليس انعزالياً بفطرته، وهؤلاء الذين يجسدون تلك العزلة، إنما يقعون في خطأ كبير، مهما كانت الدوافع، ومهما حسنت النوايا، وبديهي أن الأدب الحي لا بد أن يتفاعل مع أحداث العصر، ومنجزات العلم، ومع المتغيرات الاجتماعية والبيئية، ويرصدها بوعي، ويقف معها في مواجهتها، أي يحدد موقفه منها على ضوء المعطيات الحضارية الإسلامية، لأن الموقف الانعزالي موت، والذوبان في خضم الغزو

---

[1]- في الكلمة التي ألقاها في المؤتمر الثاني للهيئة العامة لرابطة الأدب الإسلامي العالمية في استانبول، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

[2]- في الكلمة التي ألقاها في ندوة الأدب العربي الحديث في جامعة ممباد في جنوب الهند، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

[3]- انظر : د. عبد القدوس أبو صالح، في مقالة بعنوان : دور الأدب الإسلامي المعاصر في الوحدة الإسلامية، مجلة الأدب الإسلامي، المجلد الأول، العدد الأول، رجب ١٤١٤هـ/ديسمبر ١٩٩٣م، ص ٧١-٨٢.

الثقافي فناء، واللامبالاة بما يجري ضياع وإهدار لفعالية العقيدة، ذلك الضوء الكاشف الذي يمدنا بالقدرة على الرؤية الصحيحة، والتحليل الناجح، والذي يمدنا بالروافد الضرورية لتحديد الموقف.

وإذا كانت الحضارة فكراً وممارسة، أو عقيدة وعملاً والتزاماً، فإن مسؤولية الأديب المسلم أخطر بكثير مما يتصور البعض، وإذا كنا قد قررنا في البداية أن الفصل بين الفن والأيديولوجية خطأ جسيم وخروج عن منطق الممارسة والعلم، فإننا نقول أيضاً إن الأدب الإسلامي الصحيح جزء لا يتجزأ عن الواقع وحركة الحياة والعمل الدائب.[1]

ود. نجيب الكيلاني يرى أن "الشكل الفني أو الإطار وعاء، والفكرة أو الموضوع أو المضمون، هي الشيء الذي يحتويه هذا الوعاء، إن أحداث القصة **تمضي وتتفاعل، والشخصيات تتحرك وتتكلم وكأنهم يمارسون حياة حقيقية،** لكن الحدث لا ينطلق عشوائياً، والشخصيات لا تتصرف ارتجالاً أو اعتباطاً، إن وراء كل حركة وسكنة في القصة هدفاً أو تعبيراً عن معنى .. عن فكرة عن موضوع، والتوازن الفني بين الشكل والموضوع "الفكرة" هو المعادلة الدقيقة الحساسة لكاتب القصة.

إن الفكرة هي الأساس الذي يقوم عليه البناء الفني للقصة، كما أن الفكرة تشكل مصدراً من مصادر الإعجاب ونحن نقرأ القصة، ولا تستطيع أية قصة أن تتحدد ملامحها وكيانها المميز المؤثر إلا باستكمال عنصر الفكرة.

---

[1]- انظر : د. نجيب الكيلاني، في مقالة بعنوان : الوجه الحضاري للأدب الإسلامي، مجلة الأدب الإسلامي، المجلد الحادي عشر، العدد الواحد والأربعون، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ص ٦٨-٧٦، نقلاً عن مجلة الأمة القطرية، جمادى الآخرة، ١٤٠٢هـ.

والأدب الإسلامي عامة يحفل بالمضمون أو الفكرة دونما غمط أو تجاهل للشكل الفني، نثراً وشعراً، فالأساس لدى الأديب الإسلامي هو إيصال معانٍ وقيم معينة إلى المتلقي بالوسيلة الفنية البارعة، ويمكننا القول أن الشكل وسيلة والفكرة رسالة، والغاية إيجاد الفرد المسلم.

والفكرة تضم في ثناياها الأسباب والنتائج والمعنى العام أو الخاص .. وقد يرى البعض أن الكاتب ليس ملزماً بتقديم الحل لأية مشكلة، إذ يكفيه أن يصور تلك المشكلة تصويراً صادقاً ملفتاً للنظر، ومن ثم يحرك في نفس القارئ أفكاراً وخيالات وقدرات، فيفكر في ابتكار الحل الأنسب. ومعروف أن الناس لا يقرؤون العمل الفني لجماله فحسب، كما يزعم دعاة "الفن للفن" ولكنهم يستمتعون بفكرته أيضاً، باعتبارها جزء من جمالية القصة."[1]

ولو أن الكاتب قدّم المشكلة فقط ولم يقدّم لنا الحل، فعمله هذا أيضاً فيه فائدة كبيرة، فالمجتمع مكون من أفراد، فإذا قام كل فرد بما يتقنه من المهام والمسؤوليات، فيصبح المجتمع مجتمعاً عاملاً صالحاً منتجاً، فإذا كان الكاتب يستطيع أن يقدّم المشكلة لنا وليس من قدراته أو إمكانياته تقديم الحل، فليفعل ثم ليأتِ غيره ليقدّم لنا حلاً لها .. وهكذا تتعاون جميع فئات المجتمع في إنهاء هذه المشكلة أو القضاء عليها.

ود. محمد غنيمي هلال عندما يقدّم تعريفاً للرواية يتعرض فيه لكل الجوانب المتصلة بالرواية مضموناً وشكلاً، وفيه بيان لطبيعتها ووحدتها

---

[1]- انظر : الكيلاني، أدب الأطفال، ص ٧١-٧٣. وانظر أيضاً : مجلة الأدب الإسلامي، السنة الثالثة، العددان التاسع والعاشر، رجب/ ذو الحجة ١٤١٦هـ، حوار رائع ومثير مع الروائي الكبير نجيب الكيلاني، أجراه: محمد عبد الشافي القوصي، ص ١٧٠-١٧٣.

وموضوعها وغايتها فيقول :"الرواية كالحياة معقدة متعددة الجوانب، ممتدة حيّة المعالم، وقَصْد المؤلف فيها إلى حكاية الفشل أو النجاح أقل من قصده إلى عرض مناظر وتحليل شخصيات ترمي إلى هدف واحد يتصل بحال الإنسان في موقف خاص، وما يحيط به من بؤس، وما يتوعده من أخطار، وما يمكن أن يواجه به هذه الأخطار بما لديه من وسائل، وبما منح من إرادة، ويتكشف هذا كله عن فكرة كبيرة، وهي بيان موقف إنساني يكون فيه جهد الإنسان ذا معنى"[1].

إن الرواية الإسلامية هي التي تصدر عن رؤية عميقة واعية لقضايا الكون والوجود، وتتوغل داخل أعماق النفس البشرية لتحليلها وتقديم العلاج الناجح لها.[2]

والناقد المعروف الأستاذ محمد النويهي الذي ألف كتاباً سماه "الأدب الهادف" كان من قوله فيه :"الرسالة الملقاة على عاتق الفنان – أياً كان – هي رسالة إنسانية تقتضي منه الإحساس بالحياة التي يحياها، والتعمق في المجتمع الذي يعيش فيه وتزكية ما يلتمع في ذلك المجتمع وفي تلك الحياة من مثل كريمة، تدعو إلى حرية وحق وخير وسلام"[3].

---

[1]- انظر : د. عبد الفتاح محمد عثمان، الرواية الإسلامية وبناؤها الموضوعي والفني، مجلة الأدب الإسلامي، العدد ٣٨، ص ٤-٩.

[2]- المصدر نفسه.

[3]- د. عبد القدوس أبو صالح، الأدب بين الالتزام والإلزام، مجلة الأدب الإسلامي، العدد ٥٠، ص ٦-١٢.

وبإمكاننا تقسيم روايات الكيلاني في أربعة أُطُرٍ :

الإطار الأول :

ويمثل الرواية الواقعية الرومانسية، وقد عبّر الكيلاني من خلالها عن هموم الناس والعلل الاجتماعية المتفسية بينهم، مثل الفقر والجهل والأمراض المتوطنة والسلبية والتخلف، ومزج ذلك بالعواطف المشبوبة والخيالات الحالمة والآمال المجنحة، ومن هذه الروايات : "الطريق الطويل" و"الربيع العاصف" و"الذين يحترقون" و"حمامة سلام" و"طلائع الفجر".

الإطار الثاني :

يمثل الرواية التاريخية، التي تستلهم السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي بصفة عامة، وقد استدعى التاريخ واستلهمه ليقدّم النماذج الإنسانية المشرقة من حضارتنا، ويرصد جهاد الآباء في شتّى جوانب الحياة، دفاعاً عن الدين وسعياً لتأسيس مجد غير مسبوق، وفي بعض الأحيان كان يستدعي التاريخ ليعالج من خلاله قضايا راهنة أصابت الأمة بالإحباط واليأس، ويوقظ به الأمل في نفوس الأجيال الجديدة عن طريق إحياء الهمة وبعث العزيمة وخلق الإصرار، وفي كل الأحوال، فإن استلهام التاريخ في الرواية عند نجيب الكيلاني كان إبرازاً لمعطيات الإسلام العظيمة، وإمكاناته الهائلة في تحويل الإنسان المسلم إلى صانع حضارة، وباني مجد، وجندي ظافر في معاركه ضد الشر والتوحش، ومن روايات الكيلاني التاريخية : "نور الله" و"قاتل حمزة" و"أرض الأنبياء" و"دم لفطير صهيون" و"مواكب الأحرار" و"النداء الخالد" و"رأس الشيطان" و"عمر يظهر في القدس" و"الرايات السوداء".

الإطار الثالث :

يمثل الرواية التي يمكن تسميتها بالرواية الاستشرافية التي عبّر فيها عن هموم المسلمين خارج حدود العالم العربي "دول آسيا الوسطى التي كانت تحت الستار الحديدي الشيوعي من الاتحاد السوفياتي والصين وأثيوبيا وأندونيسيا ونيجيريا" واستطاع أن يكشف للعالم مأساة دامية أصابت ملايين المسلمين المنسيين الذين لا يتحدث عنهم أحد إلا نادراً، ولا يعرف عنهم المسلمون في العالم العربي إلا القليل، ومن تلك الروايات : "عمالقة الشمال" و"ليالي تركستان" و"الظل الأسود" و"عذراء جاكرتا".

الإطار الرابع :

والروايات التي في هذا الإطار يطلق عليها الواقعية الإسلامية، ويعبر فيها عن القضايا الاجتماعية التي تهم جموع المستضعفين في الوطن، ويبرز فيها ما يلقاه الناس من ظلم وقهر واضطهاد، ويتخذ من تفاصيل الحياة اليومية والاجتماعية عناصر أساسية يرتكز عليها في بناء هذه الروايات. ومن تلك الروايات : "اعترافات عبد المتجلي" و"امرأة عبد المتجلي" و"قضية أبو الفتوح الشرقاوي" و"ملكة العنب"[1].

ويقرر د. حلمي القاعود أن "الموضوع الروائي في روايات نجيب الكيلاني، حافل بالوقائع الجزئية والظواهر الجديدة التي طرأت على المجتمع، ولكنه يربطها بمهارة واقتدار بقضيته الأساس، وهي الحرية المفقودة، أو وجهها

---

[1]- انظر : القاعود، د. حلمي محمد، الواقعية الإسلامية في روايات نجيب الكيلاني، (دار البشير : الأردن، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م) ط١، ص ١٣-١٤.

الآخر وهو الفساد العام، وكلاهما جعل الإنسان / الفرد، أو المجتمع / الشعب، كياناً هزيلاً لا قيمة له، ولا كرامة، سواء في داخل البلاد أو خارجها، وهو ما حوّله إلى عبد للمادة "المال / المتعة" تحكمه أو تستعبده، فضاعت القيم، وعمَّ الفساد، وهذا هو سر التخلف الشنيع الذي تعانيه الأمة في كافة المجالات، فالعبيد لا يستطيعون بناء الأوطان، ولايقدرون على منافسة الشعوب الحرة ..

ويلاحظ أن الموضوع الروائي لدى نجيب الكيلاني أخذ مساراً واضحاً ومحدداً بصفة عامة، دون أن يحدث له التواء أو غموض أو قصور، لأن الرؤية كانت واضحة ومحددة، وهي الرؤية الإسلامية في بساطتها وعفويتها، ودقتها أيضاً .. فقد كان يرصد الظاهرة، ثم يتعمق أسبابها الحقيقية في صدق موضوعي وفني، يدخله في دائرة المبادرة الشجاعة، التي يفتقدها الكثيرون ممن يلجأون إلى اللف والدوران والغمغمة دون أن يبين قصدهم أو تتضح غايتهم أو يظهر هدفهم.

إنه يواجه بالفن – في كل الأحوال – قضايا مجتمعه، مواجهة صريحة، قد لا يستريح إليها بعض الناس، ولكنها تُشرّح هذه القضايا، مهما كانت عملية التشريح قاسية، لنأخذ منها دليلاً يقودنا إلى عملية الإصلاح والبناء، وفي الوقت ذاته يمتعنا بشخوص حية وأحداث متميزة تظل في ذاكرتنا إلى أمد بعيد"[1].

ونختم هذه الفقرة بأهم الأفكار في روايات نجيب الكيلاني التي ذكرها في كتابه "رحلتي مع الأدب الإسلامي" تحت عنوان "المضمون الفكري" لرواياته، وهي :

---

[1]- القاعود، الواقعية الإسلامية في روايات نجيب الكيلاني، ص ٥١-٥٢.

١. الاهتمام بالقيم العليا الإنسانية.

٢. إبراز أثر الدين على السلوك والعادات والحوار وحركة الأحداث.

٣. الإلحاح على المشاكل والمظالم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي يتعرض لها الناس.

٤. إعلاء قيمة الحرية بصورة دائمة، واعتبارها أساساً للحياة السوية، والتقدم إلى الأمام، وحل مشاكل المجتمع بأسلوب سليم.

٥. الصبر والصمود والكفاح والأمل، باعتبارها نسيجاً عضوياً متماسكاً يفضي إلى حياة أفضل.

٦. الرفض لأشكال القهر قاطبة.

٧. النظر إلى العلاقات الخاصة والعامة، في إطار المفاهيم السائدة، المتأثرة بالفكر الوافد، والثقافات المعاصرة، والإفرازات الفنية في وسائل الإعلام المختلفة.

٨. تناول القضايا السياسية بصورة موسعة لحد ما، انطلاقاً من أن السياسة تلعب أخطر الأدوار وأكبرها في التأثير على نمط الحياة والفكر والسلوك.

٩. عدم تجاهل عواطف الإنسان، وتناول قضاياه العاطفية وما تفرزه من انحرافات وسلوكيات متناقضة، أو تقديم نماذج نظيفة حية.

١٠. دور المرأة في الحياة العامة والخاصة.

١١. الصراع الأبدي بين الخير والشر، والعدل والظلم ..[1]

وهكذا فالأديب المسلم يُنشئ فنه، ويكتب أدبه، وله هدف واضح مقصود ومحسوب، وغاية مُرَادَةٌ مرصودة، هي : تغيير الحياة وتطويرها وترقيتها إلى المستوى الأصلح والأجمل عن طريق بذر العقيدة وترسيخها في الصدور، وغرس مبادئ الخير والجمال في النفوس، والتباعد عن الرذيلة والقبح والشين.[2]

ونكتفي بهذا، وما ذكرناه في الفصل السابق وما تناولناه فيه من موضوعات نالت اهتمام الكيلاني وقد توسعنا في ذلك هناك.

العنصر الثاني : الزمان والمكان

إن تحديد الزمان والمكان في الرواية – كقاعدة عامة – يعتبر ضرورة فنية ونفسية، وهي نوع من استكمال الصورة العامة أو الخلفية، وبدون ذلك قد يحدث نوع من التشتت والغموض.[3]

---

[1]- رحلتي مع الأدب الإسلامي، ص ٢٦-٢٧.

[2]- آدم بيلو، د. صالح، من قضايا الأدب الإسلامي، (دار المنارة : جدة، ١٤٠٣هـ) د.ط، ص ٧٢.

[3]- الكيلاني، أدب الأطفال، ص ٦٨.

وكلما تعددت الأحداث داخل العمل الروائي تعقدت كذلك مشكلة الزمن، ويخضع توالي الأحداث في الرواية لنموذجين هما التسلسل والاعتراض؛ ويتمثل الأول في تركيب حكايات مختلفة تبدأ الثانية عندما تنتهي الأولى وهكذا، وضمان وحدة الرواية في هذه الحالة يعتمد على نوع من التشابه في بناء الحكاية، أما الاعتراض فهو إدخال حكاية ضمن الأخرى[1].

ويشكل الزمن بالنسبة للروائي ميزة كبرى، فالنمو التاريخي للشخصية أو للحوادث كما نراه في الحياة يكون قالباً جوهرياً، لأن إطاره الذي يرجع إليه عام يتناول حياة إنسانية برمتها، وعلاقاتها الجدلية المتشابكة.

ويحصل قارئ الرواية على متعته من معايشة أحداث الرواية الممتدة وتعاطفه مع شخصياتها وانغماسه شيئاً فشيئاً مع حركتهم الدائبة؛ فالرواية تمثل عصراً وبيئة[2].

أما فيما يخص المكان والبيئة فالبيئة هي : مجموعة القوى والعوامل الثابتة والطارئة التي تحيط بالفرد وتؤثر في تصرفاته في الحياة وتوجهها وجهة معينة، فالإنسان حلقة من سلسلة طويلة، وعضو في أسرة كبيرة، وآلة تديرها يد ضخمة.

---

[1]- فضل، د. صلاح، نظرية البنائية في النقد الأدبي، (المطبعة الفنية الحديثة، مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٨٠م) ط٢، ص ٤٢٣.

[2]- د. عبد الفتاح عثمان، القصة القصيرة الإسلامية، وبناؤها الموضوعي والفني، مجلة الأدب الإسلامي، العدد ٣٠، ص ٤.

ولا بد للكاتب أن يعي البيئة وعياً تاماً وأن يتبين تفاعلها مع الشخصيات مؤثرة كانت أم متأثرة. ونجد بعض القصص التي تتوفر فيها الحيوية المطلوبة بسبب براعة كاتبها في رسم البيئة التي يتحرك فيها العمل القصصي وهذه البيئة إما أن تكون جديدة على القارئ كل الجدة، أو أن تكون مألوفة لديه ولكنه لم يرها من قبل – على طول معرفته لها – على هذه الصورة الشاملة المتميزة التي يعرضها الكاتب.

ويستعين الكاتب في رسم بيئة قصته بالملاحظة والمشاهدة، أو من قراءاته الخاصة أو ينسجها بخياله نسجاً مسلطاً عليها قوة الاختراع والإبداع معتمداً على ما يلتقطه أثناء تجاربه في الحياة[1].

ولعل رواية "ليالي تركستان" و"عمالقة الشمال" و"عذراء جاكرتا" و"الظل الأسود" لنجيب الكيلاني تكون ضمن هذه النقطة، فالكيلاني ذكر أنه لم يسبق له أن زار هذه البلاد التي كتب عنها رواياته، بل كانت قراءاته الخاصة وحرصه على لقاء بعض أهلها، والتحدث معهم والإلحاح في سؤالهم عن أحوال بلدهم مما ساعده وكان له أكبر الأثر في قدرته على تكوين صورة للبيئة المكانية في تلك الروايات، ويذكر الكيلاني أنه التقى بأحد المهندسين النيجيريين في خلال موسم الحج، وحين دار الحديث بينهما قال له النيجيري :"إنكم لا تعرفون عن نيجيريا إلا أقل من القليل، ولم يلفت نظري إلا كاتب روائي استطاع أن يصور الحياة عندنا تصويراً دقيقاً هو مؤلف رواية "عمالقة الشمال" .. وأبدى دهشته حينما علم أن الكيلاني لم يزر نيجيريا مرة واحدة في حياته[2].

---

[1]– نجم ، فن القصة، ص ٥٨و١١٠.

[2] – رحلتي مع الأدب الإسلامي، ص ٩١.

ورواية "ليالي تركستان" يذكر لنا الكيلاني المعاناة والجهد الحثيث الذي بذله في كتابتها فيقول :"كان عليّ وأنا أكتب رواية "ليالي تركستان" أن أقرأ تاريخ تلك البلاد القديم والحديث، وأن أدرس معركتها الشرسة مع الصين الشيوعية وروسيا، بل كان لا بد أن أدرس جغرافية تلك البلاد لأعرف جبالها وأنهارها ووديانها ومصادر الثروة النباتية والحيوانية والمعدنية فيها، وكان من الضروري أيضاً أن أعرف أسماء الأعلام والقادة لديهم ولدى عدوهم، وأن ألمّ بفكرة عامة عن الأوضاع العالمية السائدة آنذاك، وأشهر أسماء الرجال والنساء، والعادات والتقاليد، كان الأمر بالغ الصعوبة، لكن كل عقبة تهون أمام الغاية النبيلة التي أسعى إليها، ولم يقف الأمر عند هذا الحد، إذ لا بد أن أبحث عن حدث مثير طويل، بجزئياته المتنوعة المعبرة، وتسلسله المنطقي المقنع، وأن أبث بين ثنايا القصة قيم الإسلام وحضارته، وتعرضهما للصعود والهبوط، والعوامل المؤثرة في ذلك كله، حتى يمكنني القول بأن مثل هذه البلاد وأمجادها قد صنعها الإسلام، وأن تجاهل المبادئ الإسلامية هو الذي أدى إلى تدهورها، وأن نهوضها من كبوتها لن يكون إلا بالعودة إلى الدين الحنيف[1].

وفي رواية "دم لفطير صهيون" يقول الكيلاني :"عرض عليّ مدير دار النفائس في بيروت أن أكتب رواية عن قضية شهيرة أبطالها يهود من دمشق في عام ١٨٤٠م، وقدم لي الوثائق والمستندات المتعلقة بالتحقيق الرسمي الذي أجراه القضاء في تلك الفترة، وشهادة الشهود، ومنهم بعض قناصل الدول، وكانت تتعلق بقتل قسيس وخادمه، وذبحهما للاستفادة من دمهم في إعداد فطير عيد الفصح حسب التقاليد اليهودية القديمة، واتهم في هذه القضية حاخامان من اليهود، وعدد من أسرة "هراري" اليهودية المشهورة آنذاك، ولم يكن الأمر

---

[1]- رحلتي مع الأدب الإسلامي، ص ٩٠.

بالسهولة المتصورة لمجرد وجود مستندات ووثائق التحقيق، كان لا بد أن أقرأ التلمود وبعض نصوص التوراة الموجودة، وأقرأ عن القضايا التاريخية المشابهة لهذه القضية في دول أخرى، خاصة في أوروبا، وأبحث في الأصول العقائدية لدى اليهود، ثم هناك الحدث الحي المؤثر المقنع الذي يضم هذا كله، بحيث تبدو الرواية في ثوبها اللائق، وتتابعها المنطقي، وحوارها المعبر عن المواقف والشخصيات .. وهكذا كانت البداية عند كتابة رواية "دم لفطير صهيون"[1].

وهناك رأي لـــ "د. محمد حسن بريغش" في هذه الروايات فهو يثني عليها ويشيد بها فيقول :" ... وهذا لا يعني أن هذه القصص عبارة عن بحث فكري يدرس أساليب الصهيونية والاستعمار وجميع أعداء الإسلام، بل ظل الكاتب فيها فناناً أصيلاً، وقصاصاً ناجحاً، فكانت الموضوعات مأخوذة من أحداث واقعية معاصرة، ولكنه لم يلجأ لسردها كما يسرد التاريخ ولم يحشر فيها من الوعظ ما يفسد فنيتها، وإنما وضعها في إطار من القصص، وربطها بخيط من العاطفة المحببة، وحرص على وجود الترابط والتسلسل بين أحداثها، وشدها بعنصر التشويق إلى آخر صفحة فيها، لقد نجح الكاتب في إثارة وجدان القارئ، وفتح عيونه وبصيرته على حقائق مهمة في الحياة.

إن هذه القصص، بأسلوبها الواضح السهل، وتسلسلها المحكم، وواقعيتها المؤثرة، وروحها العذبة خطوة رائعة في طريق الأدب الإسلامي.

---

[1]- رحلتي مع الأدب الإسلامي، ص ٩٢.

وهذه القصص تضع الكاتب على درجات رفيعة من المكانة الأدبية وتجعله في طليعة الأدباء الإسلاميين الذين ترجموا الواقع من خلال أدبهم إلى صور رائعة وموضوعات ذات دلالة. وكل قصة من هذه القصص تصلح أن تكون رواية ضخمة – لو أراد كاتبها – توازي وتقف إلى جانب الشوامخ من القصص العالمية"[1].

القرية :

نجيب الكيلاني تناول القرية وجعلها مكاناً ومسرحاً لكثير من رواياته، فمن رواياته التي جعل فيها القرية البيئة الأساسية فيها إحدى عشرة رواية، وهي : "الطريق الطويل" و"في الظلام" و"الذين يحترقون" و"النداء الخالد" و"أهل الحميدية" و"ملكة العنب" و"امرأة عبد المتجلي" و"مملكة البلعوطي" و"حمامة سلام" و"قضية أبو الفتوح الشرقاوي" و"الربيع العاصف".

ولو حاولنا الدخول في تفاصيل ذلك المكان ففي القرية تكون صورة المكان فيها واقعية، متمثلة في الحارات الضيقة المتعرجة، وأصوات الحيوانات المختلفة، ففي "ملكة العنب" أم الشيخ "محمد حسب الله" تجلس في فناء بيتها وهي تحلب بقرتها وتتحدث معها كأنها تعي كلامها. وكذلك المسجد في القرية وبيت العمدة والترعة التي تعتبر كأنها معلم من معالم ريف مصر[2].

---

[1]– بريغش ، في الأدب الإسلامي المعاصر، (مكتبة المنار : الزرقاء، الأردن، ١٩٨٥م) ط٢، ص ٢١٩.

[2]– ملكة العنب، ص ٧.

المدينة :

وخاصة تلك المدينة التي بدأت بالتنبه والاستيقاظ بعد حصولها على استقلالها وخروج المحتل منها لتبدأ المشاريع الكبيرة وبناء المستشفيات والحركة الدائبة فيها، ومن تلك الروايات : "رجال وذئاب" و"ليالي السهاد" و"اعترافات عبد المتجلي".

وهناك بعض الروايات التي جمعت بين البيئتين : القرية والمدينة، مثل "في الظلام" و"رأس الشيطان".

السجن :

بيئة السجن كانت من أبرز البيئات التي اهتم بها الكيلاني وقد وظّف الكيلاني المكان في رواية "ليل وقضبان" للمساعدة في رسم الصورة الحسية والمعنوية عندما وصف ساحة السجن، ثم الجبل الذي يتوجه إليه المسجونون كل يوم لتكسي الحجارة فيه تحت حرارة الشمس الحارقة[1]. ثم "رحلة إلى الله" و"رجال وذئاب".

بيئة الجامعة :

أما الجامعة فهي مكان متكرر الذكر في روايات الكيلاني إلا أنه لم يتوقف عندها لوصفها كمكان بالتفصيل كما حدث في وصفه للسجن مثلاً أو القرية، بل كان يذكرها بشكل سريع وغير متأنٍ، فلم تأخذ الجامعة حيزاً كبيراً في هذا المجال.

---

[1]- انظر : ليل وقضبان ، ص ٧ و ٦٥.

الزمان :

اعتمد الكيلاني في رواياته الزمن الماضي لبعض الروايات مثل "الطريق الطويل" و"مواكب الأحرار" لأنها تتناول فترة زمنية محددة من التاريخ القريب، فـ "مواكب الأحرار" تدور أحداثها في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي، و"اليوم الموعود" في وقت الملك الصالح نجم الدين أيوب. أما الروايات التي تعالج أموراً اجتماعية فقد اعتمدت الزمن المعاصر لكتابة الرواية مثل "ملكة العنب" و"اعترافات عبد المتجلي" و"امرأة عبد المتجلي" و"مملكة البلعوطي" و"حمامة سلام" و"الرجل الذي آمن" و"أميرة الجبل".

ومعاصرة الزمن الروائي سلاح ذو حدين، يستطيع الكاتب الموهوب أن يستخدمه استخداماً جيداً ليعالج قضايا مجتمعه الراهنة من جهة، وفي الوقت ذاته يبث الحياة في شخوصه أو أبطاله ليكونوا نماذج إنسانية حية تعيش طويلاً من جهة أخرى، وهذا ما نجح فيه نجيب الكيلاني إلى حد كبير[1].

أما الروايات التاريخية فهي تختار الزمن الماضي البعيد، ففي "نور الله" تناولت زمن البعثة والهجرة للرسول محمد صلى الله عليه وسلم، ورواية "قاتل حمزة" في نفس الزمن تقريباً، أما "الرايات السوداء" فقد كانت في زمن بدء الدولة العباسية.

ولعل العصر الذي كان فيه "عبد الناصر" على رأس الحكم في مصر قد أخذ حصة كبيرة في الزمن في روايات نجيب الكيلاني، ففي جميع الروايات التالية كان الزمن هو فترة حكم "عبد الناصر" أي في الخمسينيات والستينيات

---

[1]- القاعود، الواقعية الإسلامية في روايات نجيب الكيلاني، ص ٢٩.

من القرن العشرين :"رحلة إلى الله" و"رجال وذئاب" و"ليالي السهاد" و"اعترافات عبد المتجلي" و"حكاية جاد الله" و"أهل الحميدية" و"الربيع العاصف". وأما رواية "ملكة العنب" و"أميرة الجبل" و"مملكة البلعوطي" و"قضية أبو الفتوح الشرقاوي" فهي كلها جاءت بعد ذلك أي في التسعينيات.

وفي رواية "عمر يظهر في القدس" اختلط الزمن الماضي بالحاضر، والحقيقة بالخيال، والواقع بالحلم، فـ"عمر" شخصية تاريخية وهي تطل علينا في هذا الزمن الحاضر، ولكن تبقى هذه الرواية كما توقع لها الكيلاني تحوي أموراً وأحداثاً أرضت بعضاً من النقاد وأغضبت بعضاً آخر، وسأتناول ذلك في معرض الحديث عن الشخصية في هذه الرواية إن شاء الله.

ود. حلمي القاعود يقول :"إن اختيار الزمن المعاصر أو الفترة الراهنة مجالاً روائياً، كان له تأثيره على سياق الأحداث، بحيث صار الزمن الروائي زمناً تصاعدياً ومُطَّرِداً، يسير على نسق متتابع، ليتناغم مع تسلسل الأحداث المتلاحقة، ونادراً ما نجده يتقهقر إلى الماضي أو يعود إلى تاريخ الأشخاص عن طريق التذكر، أو ما يسمى بلغة السينما "الفلاش باك" .. ولكن الزمن الروائي يظل بصفة عامة، زمناً تصاعدياً مطرداً يؤكده ضمير الغائب الذي يسود الروايات في عملية السرد التي انتهجها الكاتب"[1].

<u>العنصر الثالث : الأسلوب</u>

الأسلوب : هو طريقة يستخدمها الكاتب ليبين رأيه أو يعبر عن موقفه بألفاظ مؤلفة على صورة تكون أقرب لنيل الغرض المقصود من الكلام، وأفعل

---

[1]- القاعود ، الواقعية الإسلامية في روايات نجيب الكيلاني، ص ٣٠.

في نفس قارئه أو سامعه. فتعرف شخصية صاحب هذا الأسلوب، وتتميز باختياره المفردات وانتقاء التراكيب لأداء أفكاره حق أدائها. والأسلوب إما سهل واضح، وإما مزخرف معقد وعر. أما الأسلوب المعتدل فهو الذي يجمع بينهما. وتتغير سمات الأسلوب تبعاً لكل عصر، تماماً كما تتغير من شخص إلى آخر. ومن هنا قالوا : الأسلوب هو طريقة الكاتب في التعبير عن موقف ما، والإبانة عن شخصيته الأدبية المتميزة عن سواها.

والأسلوب عنصر هام، غايته الأساس هي إبراز الموضوع المطروح والقضية المطروحة على نحو يساعد على بلوغ أهداف الأدب سواء الثابتة منها أو المرحلية .. فالأسلوب يجمع العناصر الفنية على نحو يبدو معه كل عنصر وكأنه يعمل منفرداً من ناحية، ويعمل مرتبطاً مع سائر العناصر من ناحية أخرى، حتى لا يفقد أي عنصر حقيقة دوره ولا جمال مشاركته[1].

والأسلوب أنواع، أهمها الأسلوب الأدبي : وأبرز صفاته الجمال، ومنشؤه جماله وخياله وحسن استعماله للتراكيب والمفردات. ويتميز بالتصوير الدقيق، وتلمسه لوجوه الشبه البعيدة بين الأشياء، وإلباس المعنوي ثوب المحسوس، وإظهار المحسوس في صورة المعنوي[2]. وهذا التعريف ينطبق بشكل أدق على الشعر أكثر منه على الرواية. أما الرواية فهي تتميز بأسلوبها الخاص، بأسلوبها

---

[1]- النحوي، د. عدنان علي رضا، الأدب الإسلامي إنسانيته وعالميته، (دار النحوي للنشر والتوزيع : الرياض، ١٤٠٨هـ) د.ط، ص١٢٨.

[2]- التونجي، المعجم المفصل في الأدب، ج١، ص٩٣.

الفني الخاص، والأسلوب الفني هنا لا يقتصر على التعبير والصياغة، وإنما يمتد إلى الترتيب والحركة، وتنسيق الزمن وربطه بالحادثة أو الحركة[1].

ولا بد للروائي أن يتمرن على الوسائل اللغوية حتى يبتدع لنفسه أسلوباً جديداً، يعشقه قراؤه ويصبون إليه، أسلوباً ليس فيه أي نتوء وإنما فيه الطواعية والمرونة والوضوح، أسلوباً لا يصل إليه إلا بعد جهد جهيد، ومع ذلك يقرؤه قارؤه فلا يحس أثراً لجهد، لأن الجهد مطوي فيه، وهو جهد لا تستطيع علوم النحو واللغة أن تهبه لدارسها، وإنما يوهب للأفذاذ من الكتّاب، عن طريق التمرين الواسع والسليقة التي يكتسبونها في لغاتهم[2]، ولا تتولد هذه السليقة إلا بضغط شديد من التدريب من جهة ومن إرادة الروائي من جهة أخرى، فإذا له موسيقاه اللغوية الخاصة، وإذا نحن نحس أنها من عمله ومن صنعه بالضبط، كما نحس أن ألحان الموسيقار في قطعة فذة ملك له، وأنها تعبر عن كل ما يجري على أمواج تفكيره وشعوره من حركات عقلية وذهنية[3].

أخذ أسلوب الكتابة يتطور منذ أواخر القرن التاسع عشر بتأثير الصحافة، والاتصال بالثقافة الغربية، وإن كان هذا التطور يسير ببطء شديد، وقد كان الإحساس بالفردية وبالمصرية وبالتغير الاجتماعي عوامل هامة في الإنتاج القصصي المصري الحديث.

---

[1]- النحوي، الأدب الإسلامي إنسانيته وعالميته، ص ١٤٠.

[2]- انظر : المصدر نفسه، ص ١٣٦.

[3]- ضيف، في النقد الأدبي، ص ٢٣٢.

وقد كان الإحساس بالفردية وبالمصرية صدى لتطور أو تغير اجتماعي واقتصادي وثقافي، وليس مجرد إحساس يستشعره بعض الأفراد ممن تؤهلهم ثقافتهم للتعبير عنه[1].

والأسلوب : هو الطريقة التي يستطيع بها الكاتب أن يصطنع الوسائل التي بين يديه، لتحقيق أهدافه الفنية، والوسائل التي يمتلكها الكاتب هي : الشخصيات والحوادث والبيئة، وتأتي بعد ذلك الخطوة الأخيرة وهي جمع هذه الوسائل في عمل فني كامل. ولكل كاتب طريقته في اختيار الكلمات وترتيب الجمل وتنسيق الحوادث[2].

وهو : اللغة، وهو القالب الذي يكشف لنا الفكرة الكلية للموقف العام أو الأفكار الجزئية التي يتطلبها موقف الشخصيات[3].

واللغة هي : القالب الذي يصبّ فيه الروائي أفكاره، ويجسد رؤيته في صورة مادية محسوسة، وينقل من خلاله رؤيته للناس والأشياء من حوله، فباللغة تنطق الشخصيات وتتكشف الأحداث، وتتضح البيئة، ويتعرف القارئ على طبيعة التجربة التي يعبر عنها الكاتب[4].

---

[1]- القط، د. عبد الحميد، بناء الرواية في الأدب المصري الحديث، وهي رسالة ماجستير من كلية الآداب جامعة أسيوط بالمنيا بمصر، (دار المعارف:مصر،١٩٧٥م) ط١، ص١٠.

[2]- نجم، فن القصة، ص ١١٣.

[3]- غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، ص ٦١٢.

[4]- د. عثمان، الرواية الإسلامية وبناؤها الموضوعي والفني، مجلة الأدب الإسلامي، العدد ٣٨. ص ٤-٩.

والموضوع ليس هو المهم في الرواية فالموضوعات مطروحة لكل من يريد إنما المهم هو طريقة الكاتب في علاج موضوعه وتجليته[1].

ود. حلمي القاعود يرى أن "اللغة لعبت دوراً أساسياً في تقديم العمل الفني، فاللغة ليست مجرد أداة توصيل فحسب، بل إنها عنصر بنائي أساس يقدم الفكرة في إطار يهيئ لقبولها والتفاعل معها، والعمل الفني الناضج هو الذي لا تنفصل لغته عن مضمونه، والفنان الحقيقي هو الذي يجعل من اللغة والمضمون جسماً واحداً ولا نستطيع الفصل بين عنصريه إلا فَرَضاً وذلك لتسهيل عملية الفهم والتحليل"[2].

وأمام المؤلف للرواية سعة وحرية في خلق الجمل، وهذه السعة لا تنحصر وسائلها الفنية في الحوار بل يتدخل فيها المؤلف أحياناً بالوصف أو الحديث النفسي من غير حوار، كما أن الحوار في القصة صِيْغَ ليُقرأ، لا ليقال كما في المسرحية[3].

طرق عرض الرواية :

المفارقة التصويرية هي طريقة في الأداء الفني تقوم على إبراز التناقض بين طرفين كان من المفروض أن يكونا متفقين والتناقض في المفارقة التصويرية فكرة تقوم على استنكار الاختلاف والتفاوت بين أوضاع كان من شأنها أن تتفق وتتماثل.

---

[1]- نجم ، فن القصة ، ص ٥٦.

[2]- الباحث عن الحقيقة، أنموذج تطبيقي، مجلة الأمة، العدد ٥٩، السنة الخامسة، ذو القعدة ١٤٠٥هـ/يونيو ١٩٨٥م، ص ١٧-٢١.

[3]- غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، ص ٦١٢.

والأديب المعاصر يستغل هذه العملية في تصوير بعض المواقف والقضايا التي يبرز فيها هذا التناقض ليلفت نظرنا إلى شيء يريد إبرازه أو فكرة يريد توضيحها[1].

وتناول الأديب للجوانب المعتمة والمظلمة في الحياة، ليس أمراً ممنوعاً أو محظوراً .. ولكن المهم في المسألة هو أسلوب التناول وطريقة العرض والبسط، والعبرة بالغرض من وراء ذلك : هل تناول الأديب "الشر" بأسلوب المُنَفِّر منه، المُقَبِّح له، أم عرضه بطريقة تحببه للنفوس وتغري به، وتدفع إلى مقارفته، فتعلِّمَ الغافلين وتُنَبِّهَهم وتطلعهم على المسالك والدروب الخفية عليهم لمداناته ومقاربته ؟!.

إذا كان التناول والعرض والغرض على الأسلوب الأول، كان الأمر مقبولاً، لأنه عمل يهدم الرذيلة والشر .. وذلك ما نسميه "بعملية الهدم الفني للرذائل والشرور" .. وإن كانت الأخرى؛ فهي مرذولة مرفوضة !..[2]

وهناك ثلاث حالات متعلقة بالراوي وهو من يقص علينا القصة، فقد يكون الراوي شخصاً غير شخوص القصة وقد يكون واحداً منهم، وهو قد يقدم لنا معلومات كلية أو جزئية.

---

[1]– د. حسين علي محمد، القصة القصيرة جداً : قراءة في التشكيل والرواية، ورقة ألقيت في قسم الأدب بكلية اللغة العربية بالرياض، في يوم السبت ٢٠٠٣/٤/٢٦م، ونشرت في منتدى القصة العربية على الانترنت. www.arabicstory.net

[2]– بيلو، من قضايا الأدب الإسلامي، ص ١٢٢.

وهو يُقسَّم لثلاث حالات [1]:

الأولى : الراوي العالم بكل شيء الذي يملك حرية التنقل من شخصية لأخرى ومن حدث لآخر، وهو يملك كل المعلومات حول كل ما في قصته، وهذا الأسلوب إجباري بحت. وعلى المؤلف أن لا يقع في خطأ التدخل بنفسه في قصته ليشرح غاياتها التربوية والخلقية أو ليثير عطفاً على حياة البطل. فإن هذا يعتبر عيباً من عيوب القصة.

الثانية : الروائي الانتقائي أو الاصطفائي وهو الذي ينتقي من الأحداث والمعلومات التي تناسبه فيقدمها لنا من زاويته الخاصة، ولا يصلح هذا النوع لتقديم كافة المعلومات، وعلى القارئ أن يكون حذراً أمام هذا الراوي فقد يكون غير صادق أو دقيق، لأنه يقدم تحليلاً للأحداث من ثقافته. ومن عيوب هذه الطريقة أن المؤلف قد يقطع السياق بتقديم معلومات أشبه ما تكون بمقالات أو أبحاث مستقلة، أو قد يستطرد استطرادات مُخلَّة بتسلسل الأحداث وتمركزها حول غاية واحدة وذلك كله بسبب انتقاءاته [2].

الثالثة : السرد باستخدام صيغة المتكلم : فالراوي يروي الأحداث من زاوية خاصة تحتمل الصواب والخطأ، ومن عيوب هذه الطريقة أن الراوي لا يستطيع تصوير مشاعر وانفعالات الشخصيات الأخرى لأنها بعيدة عن التأثير

---

[1]- انظر : د. عبد القادر أبو شريفة وحسين لافي قزق، مدخل إلى تحليل النص الأدبي، (دار الفكر للنشر والتوزيع : عمان، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م) ط١، ص ١٢٦-١٢٧.

[2]- السعافين، د. إبراهيم، تطور الرواية العربية الحديثة في بلاد الشام من ١٨٧٠-١٩٦٧، (من منشورات وزارة الثقافة والإعلام ، ودار الرشيد للنشر : العراق، ١٩٨٠م) د.ط، ص ١٧٧.

في شخصية الراوي، أو لأن الراوي الأنا لا يمكنه التدخل في الشخصيات الأخرى حتى لا تلتبس شخصيته بشخصية المؤلف.

ومن روايات الكيلاني التي اعتمدت على هذه الطريقة :

١. "ليالي السهاد" فقد كان الراوي فيها هو بطل الرواية نفسه وهو المهندس المعماري "عبد القادر".
٢. "عمالقة الشمال" والراوي أيضاً هو بطل القصة "عثمان أمينو" تاجر الأغنام والداعية الإسلامي.
٣. رواية "الطريق الطويل" كان الراوي هو "سليمان" بطل القصة.
٤. "أميرة الجبل" فالطبيب العراقي المهاجر من بلده بسبب التضييق السياسي في بلده كان هو الراوي أيضاً.

وهناك طريقة الاعتماد على الرسائل المتبادلة بين الشخصيات، أو المذكرات التي تكتبها بعض الشخصيات، وهذه تكون إلى جانب السرد نفسه أو الحوار الخارجي أو الداخلي. وللرسائل والمذكرات فائدة عظيمة، تتجلى في إتاحتها للكاتب التعبير عن الأحاسيس والعواطف التي تعتمل في نفوس مختلف الشخصيات بحرية وانطلاق، كما أنها تساعد على الإرهاص والتنبؤ بالمصائب قبل وقوعها، وبالنتائج قبل تكشفها. إلا أنها إذا وقعت بين يدي كاتب محدود الموهبة، انقلبت إلى صورة مضطربة قبيحة، تنضح بالتكلف والافتعال[1].

---

[1]- انظر : نجم، فن القصة ، ص ٨٣.

ومن الروايات التي استعان الكيلاني بالرسائل رواية "رأس الشيطان" فقد أرسلت "صفاء" لـ"ضياء الدين"[1] رسالة وطلبت منه الرد عليها، وقد كان من أثر الرسالة في هذه الرواية أن "ضياء" نسي الرسالة في جيبه لأيام ولم يقرأها ثم قرأها بعد ذلك وأرسل ردّه لـ"صفاء"، وكان في ذلك نوع من التشويق والترقب الذي أصاب القارئ لمعرفة ما سيأتي من أحداث.

أما في "عمالقة الشمال" فالرسالة التي أرسلتها "سعيدة" لـ"عثمان"[2] في سجنه لها فائدتان :

الأولى أن الكاتب غيَّر من نمط روايته التي بدأها بالسرد المباشر بصيغة الأنا، إلى أسلوب الرسائل فخفَّف قليلاً من الملل.

والفائدة الثانية : أنه أطلعنا على ما جدَّ من أمور وأحداث لن يتسنى لنا معرفتها إلا بهذه الطريقة، وهذا يحدث بشكل أوضح حيث تكون الرواية يرويها لنا أحد الشخصيات في الرواية فمن الطبيعي أن يخفى عليه بعض الأحداث والمستجدات، فتأتي الرسائل هنا لتتدارك ما فُقِد من ترابط أو اطلاع على معلومات.

أما في رواية "في الظلام" فقد استخدم الكيلاني أسلوب المذكرات الشخصية التي درجت عليها "نهيرة"[3].

---

[1]- رأس الشيطان، ص ١٠٤.

[2]- عمالقة الشمال، ص ١٣٠.

[3]- في الظلام، ص ١٧٠.

الأسلوب واختياره للزمن :

قد يبدأ المؤلف الرواية من أول أحداثها، فيصف نشأة أبطالها وميلاد علاقاتهم، ويتبع في ذلك منهجاً زمنياً في عرض الأحداث. وقد تبدأ القصة بنهايتها، ثم تعود للبداية. وقد يبدأ المؤلف من فترة خاصة من حياة الشخصية الرئيسة في منظر صامت، يعتمد على الوصف اعتماداً كبيراً ثم يقف ليرجع إلى الوراء سنين طويلة، يشرح بهذا الرجوع المنظر الذي قدمه أولاً[1].

وهناك وسائل في قصص تيار الوعي تستلزم حركة التنقل إلى الخلف وإلى الأمام، ومزج الماضي والحاضر والمستقبل المتخيل، وهناك طريقتان لتقديم هذا المونتاج في القصص :

الأولى تلك التي يمكن للشخص فيها أن يظل ثابتاً في المكان على حين يتحرك وعيه في الزمان ونتيجة ذلك هي المونتاج الزمني أي وضع صور أو أفكار من زمن معين على صور أو أفكار من زمن آخر.

والطريقة الأخرى : أن يبقى الزمن ثابتاً ويتغير العنصر المكاني، الأمر الذي ينتج عنه المونتاج المكاني، أي إمكانية اجتماع مجموعة من صور في نقطة زمنية واحدة، وقد اغتنم ذلك كتّاب "تيار الوعي" لتقديم العنصر المزدوج في الحياة الإنسانية أي الحياة الداخلية مع الحياة الخارجية في وقت واحد[2].

---

[1]- غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، ص ٥١٤.

[2]- فهمي، د. ماهر حسن، قضايا في الأدب والنقد، (دار الثقافة : قطر، ١٩٨٦م) د.ط، ص ٣٥٧.

وترتبط التقنية الفنية ببناء الرواية ارتباطاً وثيقاً لأنها الطريقة التي يجتازها الكاتب لبناء روايته من ناحية تشكيل الأحداث، وترتيبها على نحو ما، وتحديد علاقتها بالزمان والمكان والشخصية، بغية تحقيق هدفه الفني الذي يهدف إليه وهو الوصول بها إلى أقصى غاياتها الجمالية والموضوعية.

وحين ننظر في القصص الإسلامية نجد أنها تنوعت من حيث التقنية الفنية فبعضها يبدأ وينمو طولياً تصاعدياً حيث تبدأ الأحداث من البداية وتستمر في نموها مراعية الحس التاريخي حتى تصل إلى العقدة والحل، وبعضها يبدأ من النهاية ثم يعود إلى البداية عن طريق الاسترجاع، كما أن بعض الروايات الإسلامية خاصة عند نجيب الكيلاني توظّف التقنيات الفنية الحديثة من ناحية استخدام المونولوج الداخلي[1] والحلم وتيار الوعي الذي يعبر عن مستويات ما قبل الشعور للإفصاح عن العالم النفسي المضطرب للشخصية وسلوكها غير المنطقي وغير الخاضع لسلطان العقل، أما حديث النفس أو المونولوج الداخلي فيقصد الكاتب الإفصاح عن العالم النفسي الداخلي للشخصية دون تدخل الكاتب بالوصف ويكون ذلك عند الشخصيات التي تعاني الاضطراب النفسي والقلق الداخلي والكبت والحرمان[2]. ومن ذلك

---

[1]- شكل من الكتابة المصورة لأفكار الممثل الشخصية، يعلن فيها عن انفعالاته الداخلية، وتكون نابعة من أعماق نفسه بشكل لا تُفصح عن نفسها بالكلمات. انظر : التونجي، المعجم المفصل في الأدب، ج٢، ص ٨٤٢.

[2]- د. عثمان، الرواية الإسلامية وبناؤها الموضوعي والفني، مجلة الأدب الإسلامي، العدد ٣٨، ص ٤-٩.

رواية "في الظلام" استخدم الكيلاني المونولوج أو الحوار الداخلي كثيراً، فبدأ بـــ"عبد المجيد"[1] ثم انتقل إلى "فريد"[2] و"عبد الرحمن"[3].

السرد والحوار في الرواية :

لغة الرواية تجمع بين الوصف السردي والمونولوج الخارجي والمونولوج الداخلي[4].

السرد هو : بسط الحدث في أي عمل أدبي بسطاً عادياً من غير حوار، وهو أسلوب إن طال ملّه القارئ[5].

والحوار هو : جزء هام من الأسلوب التعبيري، وهو من أهم الوسائل التي يعتمد عليها الكاتب في رسم الشخصيات[6].

أما المونولوج الداخلي فهو : ذلك التكنيك المستخدم في القصص بغية تقديم المحتوى النفسي للشخصية[7].

---

[1]– في الظلام، ص ٧٠.

[2]– المصدر نفسه، ص ٧٣و١٠١و١٠٣.

[3]– المصدر نفسه، ص ٨٧.

[4]– د. عثمان، الرواية الإسلامية وبناؤها الموضوعي والفني، مجلة الأدب الإسلامي، العدد ٣٨، ص ٤–٩.

[5]– التونجي، المعجم المفصل في الأدب، ج٢، ص ٥٢٣.

[6]– نجم، فن القصة، ص ١١٧.

[7]– فهمي، قضايا في الأدب والنقد، ص ٣٥٧.

مهمة السرد والحوار :

من مهمة السرد والحوار في الرواية الكشف عن مستوى الشخصية وتحديد طبيعتها. وقد يأتي السرد بالأسلوب الملحمي الذي يقص الروائي به أحداث الرواية بضمير الغائب ويصبح بذلك راوية يسرد تلك الأحداث[1].

والحوار يشكل عنصراً هاماً في الكشف عن طبيعة الشخصيات وتحديد مستواها، والمفروض أن يظهر اختلاف بين السرد "لغة الكاتب" وبين الحوار "لسان الشخصيات" بحيث لا يظهر أن المؤلف والشخصية شخص واحد، ومن طرف آخر أن يظهر الفرق بين كل شخصية على حدة ويتناسب معها.

وجزء من وظيفة الحوار الإسهام في تطوير الأحداث واستحضار الحلقات المفقودة منها[2].

وكثيراً ما يكون الحوار مصدراً من أهم مصادر المتعة في القصة، وبواسطته تتصل شخصيات القصة بعضها ببعض آخر اتصالاً صريحاً مباشراً.

والحوار سبب من أسباب حيوية السرد وتدفقه، ويستعمل الحوار أحياناً في تطوير الشخصيات واستحضار الحلقات المفقودة عنها.

---

[1]- السعافين، تطور الرواية العربية الحديثة في بلاد الشام، ص ١٥٩.

[2]- المصدر نفسه، ص ١٦١.

إن عمل الحوار الحقيقي : هو رفع الحجب عن عواطف الشخصية وأحاسيسها المختلفة وشعورها الباطني تجاه الحوادث أو الشخصيات الأخرى، وهو ما يسمى عادة بالبوح أو الاعتراف، على أن يكون بطريقة تلقائية، تخلو من التعمد والصنعة والافتعال[1].

وفي كتابه "القصة في الأدب العربي الحديث" يقول د. "يوسف نجم": "الأسلوب يقرره عادة منهج المؤلف في التفكير والعمل، وهو مفتاح شخصيته.

والحوار :

١. من أهم الوسائل التي يعتمد عليها الكاتب القصصي في بث الحياة والصدق في شخصياته.
٢. يضفي على المواقف التي يدخلها أهمية وتركيزاً.
٣. يقطع السياق الممل.
٤. يزيد إحساس القارئ بواقعية القصة"[2].

وسيلة استخدام الحوار لترك الشخصيات تمثل حوادث القصة بحرية وانطلاق أمام ناظري القارئ وعدم إقحام المؤلف نفسه بتعليق أو تعقيب، وترك الشخصية تتكلم وتبث عواطفها وأحاسيسها، هذه الوسيلة هي أوثق صلة بالحياة وأصدق تعبيراً عن النفس الإنسانية.

وقد أقحم الكيلاني نفسه بشكل فج في بعض رواياته ومن أظهرها:

---

[1]- نجم، فن القصة، ص ١١٨.

[2]- نجم، القصة في الأدب العربي الحديث ١٨٧٠-١٩١٤م، (دار الثقافة : بيروت، ١٩٦٦م) ط٢، ص ٥٢.

"نور الله" فعلى لسان "أبي عبد الله" الصحابي الذي ينوي الهجرة للحبشة مع زوجه فيقول لها :"ما أتعس أن يتحول الحاكمون إلى حملة للسياط .. فالحاكم ليس له في ذهني سوى صورة الأب الحنون الكبير القلب الذي ينحاز للحق .. قد تظنين أنني حالم أتجافى عن طبيعة الكون والوجود .. لكن إيماني بذلك لا يتزعزع .. سأظل أؤمن بأن الحاكم مربٍ ومرشد وأب، أما أن يتحول إلى جلاد فهذا ما أرفضه .."[1].

فمن أين لهذا الرجل الذي يعيش في مكة في ذلك الوقت هذه الفكرة الحديثة عن الحاكم وكيف يجب أن يكون، فهذه العبارة تجعل القارئ يحس بالكيلاني نفسه وتبعده عن الجو التاريخي الذي كان فيه.

أما "في الظلام" فتَدَخُّل الكيلاني جاء سافراً بتوسعه وشرحه لشخصية "عبد الرحمن" والتعليق على تصرفاته وسلوكه، فهو يقول :"إن "عبد الرحمن" رغم تصرفاته الحمقاء – شأنه شأن أي إنسان في هذا الوجود – لا بد وأنه يحمل في أحد جوانب نفسه عنصراً من عناصر الخير مهما خفي هذا العنصر، ومهما طال احتجابه، فإذا ما جدَّت أحداث، وتعقدت مشاكل وانطلقت شرارات الاحتكاك بدت على ضوئها هذه العناصر – عناصر الخير – وهكذا لا يوجد شر محض ولا خير محض في طبائع الناس، وإنما هي مزيج من الاثنين، رغم تفاوت النسب .."[2].

والحوار يكسب الشخصيات والحوادث حرارة وتدفقاً وصدقاً.[3]

---

[1]- نور الله، ج١، ص ٢١-٢٢.

[2]- في الظلام، ص ٨٣.

[3]- نجم، فن القصة، ص١١٨.

وهناك عيب في الحوار والسرد وهو التكرار : فهو يدل بوضوح على قصر نفس الكاتب، وضيق مجاله القصصي، وضعف قوة الخلق والإبداع عنده[1]. فعلى الكاتب أن ينتبه لهذا الأمر حتى لا يسبب ضعفاً في مستوى الرواية الفني.

وهناك عيب آخر في الحوار على لسان الشخصيات قد غاب عن الكيلاني وتكرر في روايات متعددة له وهو : عدم مناسبة الكلام الصادر عن شخصية ما لمستواها الفكري أو الثقافي أو احتواء الحوار على كلمات أو مصطلحات ليست مناسبة للعصر الذي قيلت فيه، وهذه قد تكررت في الروايات التاريخية بشكل كثير.

فمن النوع الأول : "حكاية جاد الله" يقول "جاد الله" :".. أتعاطى كل يوم طناً من المخدرات .. أجل .. مخدرات اسمها الصبر .. القناعة .. الطاعة .. النظام .. الشرف .. الكرامة .. "[2]

ومن النوع الثاني : هناك "قاتل حمزة" فيقول "وحشي" :"أصبحت الأمّة البلهاء فيلسوفة .."[3] وفي مكان آخر يقول :"الحق والباطل قضية ذاتيـــة إذن .."[4] ويقول صديقه :"العقل شابته أحزان كثيرة .. وعقل الإنسان يا "وحشي" محدود .. ولولا ذلك لعرف الحق وقصده على التو .. وتاريخ

---

[1]- نجم، القصة في الأدب العربي الحديث، ص ٦٦.

[2]- حكاية جاد الله، ص ٢٦.

[3]- قاتل حمزة، ص ٥٧.

[4]- المصدر نفسه، ص ٦٥.

الإنسان مليء بالانحرافات العقلية .."[1] فكلمة "فيلسوفة" و"قضية ذاتية" و"انحرافات عقلية" كلمات حديثة لغوياً ولم تكن متداولة في ذلك العصر.

وفي رواية "الرايات السوداء" هذه بعض الجمل التي وردت فيها عبارات غير ملائمة للعصر أو الزمن الذي قيلت فيه :

"ضريبة المبادئ .. ضريبة الحياة الحرة .. من يدفعها ؟"

".. ما زلت أكرر وأقول أن هذا الوجه القبيح، وتلك البلاهة المفرطة، سوف تنجب أطفالاً يصلحون للمتاحف."

و".. لأنها تتنافى تماماً مع الأسس الدستورية للدولة الجديدة .. لكنها في الحقيقة صراع بين وجهتي نظر .."

و"يا ولدي إن ما تشهده في هذه الأيام، هو إضرار صريح بمصالح العباد، ومناقضة واضحة لتعاليم الدين، ورجوع بالبشرية إلى الوراء برغم مظاهر التفوق المادي والحضاري .."

و"الدنيا لم تزل بخير والفضيلة هي الحامي الأول لكيان السعادة البشرية والأمن الاجتماعي .."[2]

وفي رواية "نور الله" :

".. سيعرف القاصي والداني الكثير عن قضيتنا العادلة .."

و".. محمد يهدد نظام أمن البلاد .."

---

[1]- قاتل حمزة، ص ٦٧.

[2]- الرايات السوداء، ص ٤٣و٦٥و٧١و٧٣و١١٣.

و".. أي حفصة يا ابنتي الغالية .. إن أباك قد جرب الكثير من أحداث الدنيا، وسافرتُ كثيراً وقابلت عديداً من رجال الحكم والفكر والدين والمال، ومحمد يحدثنا عن الأديان القديمة وكأنه عاشها : تاريخها .. تطوراتها .."[1]

وقد تكررت كلمة "فلسفة" أربع مرات في نفس الرواية.[2]

و"حيي بن أخطب" يقول :"كيف نقرر صلاحية الفكرة أو خطئها ؟؟ وكيف نتحقق من صدق المبدأ أو نفعه ؟؟ هذه قضية لا يمكن الفصل فيها بسهولة من الناحية العقلية المجردة .."[3]

الفصحى والعامية في الحوار :

كان بعض الكتاب في بدايات انتشار القصة العربية قد رأوا أن تُكتب القصة بالفصحى ويكون الحوار بالعامية ليكون أكثر قرباً للواقع ومن هؤلاء "هيكل" فهو كان يرى "أن اللغة العامية أصدق في التعبير عندما تستخدم في الحوار، ولا مبرر لاستخدامها في السرد"،[4] إلا أن نجاح الروايات التي كان الحوار فيها والقصة نفسها بالفصحى أكبر رد عملي على عدم الحاجة للعامية في الرواية بأي حال، والكيلاني اعتمد اللغة العربية الفصحى هي الأساس في رواياته، وهذه اللغة كانت تتراوح بين الفصاحة والبلاغة في بعض الأحيان

1- نور الله، ج١، ص ٢٠و٢٧و٥١.

2- انظر : المصدر نفسه، ج١، ص ٧١و٦٤و١١٠و١٤١.

3- المصدر نفسه، ج١، ص ١٦٠.

4- القط، بناء الرواية في الأدب المصري الحديث، ص ١٢.

بحسب الشخصية التي تتحدث، وبين البساطة والعبارات الواضحة حين تكون الشخصية تتطلب ذلك.

وهو يؤكد على أهمية استخدام الفصحى في الأدب وفي الرواية تحديداً فيقول :"إن استخدام اللهجات العامية أمر في غاية الخطورة، ويجب منعه، أو التصدي للمروجين له، فالفصحى هي لغة العلم والكتابة، لا مراء في ذلك ولا جدال، وسوف يستطيع انتشار العلم والثقافة ووسائل المعرفة المتنوعة القضاء على دعوى الكتابة بالعامية نهائياً، مع مرور الزمن"[1].

ويشترط د. جابر قميحة أن تكون اللغة العربية الفصحى ولا تُقبل العامية كلغة أداء لأسباب متعددة منها : أن العامية ليست واحدة، فعامية مصر غير عامية الشام، وغير المغرب، بل في مصر وحدها ما لا يقل عن ٢٢ عامية مختلفة[2].

وكتّاب الرواية الإسلامية يكتبون باللغة العربية الفصحى التي تستمد مفرداتها وتراكيبها من التراث، ومن ثم فلغتها مبينة واضحة مشرقة لا التواء فيها ولا غموض، كما أنها بعيدة عن السوقية والابتذال[3].

---

[1]- رحلتي مع الأدب الإسلامي، ص ٦٨.

[2]- الرواية الإسلامية – الزمان والرؤية والحضور والغياب، تحقيق : صابرين شمردل، مجلة الأدب الإسلامي، العدد ٤١، ص ٥٤-٥٧.

[3]- د. عثمان، الرواية الإسلامية وبناؤها الموضوعي والفني، مجلة الأدب الإسلامي، العدد ٣٨، ص ٤-٩.

ود. شوقي ضيف يقول :"الحق أن التشبث في القصة بفكرة الواقع إلى حد أن نفسد لغتها بإدخال الكلمات والصيغ العامية تشبث من شأنه أن يفقدها روعتها الأدبية .. والواقعية الحقيقية ليست في الألفاظ وإنما هي في المضمون أو في القضايا والأوضاع الاجتماعية التي ينبغي أن يحسن أداءها القصاص والتي لا يستطيع الناس أن يعبروا عنها على نحو ما يعبر عنها في قصته"[1].

ومع ذلك فهناك أمر واضح في روايات نجيب الكيلاني فيما يتعلق بالحوار واللغة المستخدمة فيه وهو : أن الحوار في روايات الكيلاني المتقدمة زمنياً كان يحتوي على كثير من الكلمات بالعامية، وبشكل واضح، وليس معنى ذلك أن الحوار كان بالعامية ولكن نستطيع في الرواية الواحدة أن نجد كلمات عديدة قد وردت هنا وهناك بالعامية، لم يهتم الكاتب باستبدالها بالفصحى، وقد يكون الكيلاني في ذلك الوقت لم يعتقد أن الأمر له هذه الأهمية التي رآها بعد ذلك وألزم نفسه بها، أو قد يكون رأى أن ذلك سيقرب الرواية من الواقعية والصدق الذي أراد للقارئ أن يشعره حين يقرأ رواياته. أما رواياته المتأخرة نسبياً فلم تكن هذه الظاهرة موجودة بذلك الكم السابق.

ونأخذ بعض الأمثلة على ذلك :

رواية "في الظلام" :

في هذه الرواية وهي الرواية الثانية للكيلاني نرى عدة كلمات بالعامية مثل[2] :

"التريقة"[3]

---

[1]– ضيف، في النقد الأدبي، ص ٢٣٣.

[2]– انظر : في الظلام، ص ٢٠و٣٩و٥٦و٦٣و٨٩و١١٥.

[3]– أي : السخرية والاستهزاء بالعامية المصرية.

و"مهكع ومسلوع"[1] و"بلاد بره"[2] و"جلدة"[3] و"بطل الرغي"[4] و"مفاجيع"[5].

وفي رواية "رحلة إلى الله"[6] :

"أبلة"[7] و"ولا ديالو"[8] و"هزُلت"[9] و"اطفح"[10] و"البروجي"[11] و"البرشام"[12] و"عفـــارم"[13] و"شخط"[14].

ويرى د. حلمي القاعود أنه "إذا كان نجيب الكيلاني يتكئ على المصطلحات العامية أحياناً في وصفه أو تصويره للشخوص والحوادث، فإنه يتوسع أحياناً في ذلك، ليعتمد على الخيال الشعبي وحكاياته ليصف موقفاً روائياً ذا دلالة، أو يفسر حادثاً من الحوادث لا تستبين حقيقته، ويستخدم في ذلك

---

[1]– أي : شديد النحافة.

[2]– أي : البلاد الخارجية أو الغربية مثل أوروبا وأمريكا.

[3]– أي : شديد البخل.

[4]– أي : توقفْ عن الكلام الذي لا فائدة فيه.

[5]– مفاجيع ومفردها مفجوع : وهو الشخص الذي ينكب على الطعام فيلتهمه كأنه لم يذق طعاماً من قبل في حياته.

[6]– انظر : رحلة إلى الله، ص ١٠١و١٠٣و١١١و١٤٥و١٩٩و٢٩٧و٢٩٢و٤٣١.

[7]– أي : معلمة.

[8]– أي : و لا شيء .

[9]– أي : يا للسخافة.

[10]– أي : اشربْ.

[11]– أي : البوق.

[12]– هو ما يكتبه الطلاب من أوراق صغيرة لتساعدهم في الغش في الامتحانات.

[13]– كلمة تقال للتشجيع والإعجاب.

[14]– أي صرخ.

مهارته الأسلوبية التي تخدم هذا النوع من الخيال، مثل الجمل القصيرة، والتقليل من أدوات الربط، والاستفادة بالآيات القرآنية، والأمثال الشعبية .."[1].

ود. حلمي القاعود يرى أن "أسلوب الكيلاني يحمل انتماءً تراثياً إسلامياً في لفظه وصياغته وتراكيبه اللغوية، وقد ساعده ذلك في إثراء معجمه اللغوي وقدراته التعبيرية والتصويرية فقدّم شخوصه وأحداثه في صورة فنية موحية، أضف إلى ذلك تنويعه الملحوظ في أسلوبه، من تركيز في الوصف واختزال في التعبير تارة، إلى التغيير في سياق السرد الوصفي بالاعتماد على الخيال الشعبي أو الأسطورة الشعبية والسخرية اللاذعة تارات أخر.

أسلوب الكيلاني يمثل السهولة والبساطة، ولكنها السهولة الممتنعة والبساطة المتميزة، وفي كل الأحوال فإنه يوصل أفكاره ورؤاه بطريقة فنية محكمة، فيها أصالة الفنان، وحكمة المفكر، وشجاعة المجاهد."[2]

وأسلوب الكيلاني تتردد فيه الألفاظ الإسلامية بوصفها وعاءً عاماً يحمل معانيه وأفكاره، ففي روايات الكيلاني تستطيع أن ترى معجماً حافلاً بالمفردات الإسلامية مثل : النور والإشراق والفرح والرحمة والرضا والتكبير والتهليل والبركة والتسبيح ... والصلاة والزكاة والشريعة والحقيقة .... والتسامح والمنبر والمسجد والطاعة والصبر والقضاء والقدر والإنصاف والعدل...الخ، مع مشتقات هذه الألفاظ وما يقابلها في الدلالة إسلامياً.

---

[1]- القاعود، الواقعية الإسلامية في روايات نجيب الكيلاني، ص١٠٨.

[2]- المصدر نفسه، ص ١٠٥و١٢٧.

وفي الوقت ذاته فإن الكيلاني يعطي لمعجمه مذاقاً خاصاً حين يستخدم المصطلحات الطبية بوصفها أثراً لثقافته الطبية وتخصصه العلمي في مجال الطب، فترى مسميات : الرجيم، والكولسترول، وضغط الدم، والذبحة، والأنيميا، وفقر الدم، والبلهارسيا، والإدمان، وجرعات الدواء ...

وثمة مفردات أخرى علمية دخلت إلى معجم الروايات مثل : الأوزون، وصواريخ الفضاء، والتكنولوجيا، وغيرها .. ويمكن القول إن المعجم لدى نجيب الكيلاني معجم إسلامي يستفيد من المصطلحات الحديثة أياً كان نوعها، مما يجعل معجمه غنياً بالمفردات والمشتقات والتراكيب المتميزة.[1]

العنصر الرابع : الأحداث

الحدث هو : جزء متميز من الفعل في القصة، وهو سرد قصير يتناول موقفاً أو جانباً من موقف. فإذا تجمعت الأحداث وتلاحمت أصبحت سلسلة أحداث في الحبكة[2].

والحادثة هي : أكثر العناصر وضوحاً وشيوعاً في القصص[3].
والحدث مجموعة الأفعال والوقائع مرتبة ترتيباً سببياً، تدور حول موضوع عام، وتصور الشخصية وتكشف عن أبعادها وهي تعمل عملاً له معنى، كما تكشف عن صراعها مع الشخصيات الأخرى، وهي المحور الأساسي الذي

---

[1]- القاعود، الواقعية الإسلامية في روايات نجيب الكيلاني، ص ١١٥.

[2]- التونجي، المعجم المفصل في الأدب، ج١، ص ٣٤٩.

[3]- نجم، فن القصة، ص ١٧.

ترتبط به باقي عناصر القصة ارتباطاً وثيقاً كارتباط الخيوط معاً في نسيج يشكل قطعة قماش[1].

والحوادث أهم عنصر لأنه يحرك الشخصيات، وبتطوير الحوادث نصل إلى النتيجة المقنعة، والتطوير هو الدافع الملح للقارئ.

العقدة أو الحبكة :

في العادة تتشكل القصة من حدث رئيس وحدث فرعي أو أحداث فرعية، وتتداخل هذه الأحداث لتوضح الشخوص والفكرة وتؤثر في نفس المتلقي. هذا التداخل يسمى التعقد أو الحبك[2].

والحبكة هي : سلسلة من الأفعال تصمم بعناية، وتتشابك صلاتها، وتتقدم عبر صراع محكم بين الأضداد، بربط الأحداث ربطاً محكماً ينتهي إلى الذروة والانفراج، وتبرز الحبكة في القصة والرواية والمسرحية بما تتميز به هذه الأجناس الأدبية بتسلسل الأحداث، فرأوا أن الحبكة هي الهيكل العام للجنس، أو هي الصراع الوجداني بين الأبطال، أو هي خطة يتبعها الكاتب لتحقيق غرض معين، أهم صفاته شد المشاهد أو القارئ، ووضعه في جو من المؤثرات المتعمدة. والحبكة هي قلب التراجيديا كما وصفها "أرسطو" وهي النواة للعمل الأدبي[3].

ويتولد الصراع من تصادم متناقضات، وهناك عوامل عدة قد تزيد من حدة ذلك الصراع، أو تنزل به إلى أدنى مستوى، وفي كل من طرفي الصراع

---

[1]– أبو شريفة وقزق، مدخل إلى تحليل النص الأدبي، ص ١٢٤.

[2]– المصدر نفسه، ص ١٢٧.

[3]– التونجي، المعجم المفصل في الأدب، ج١، ص ٣٤٦.

قوة ذاتية وقوة خارجية، ويحسم الصراع دائماً في النهاية لصالح الأقوى، وتتفاوت ردود الفعل بتفاوت الحالات الصراعية وظروفها، وهذا الصراع أياً كان لونه موجود في نواحي الحياة .. وموجود أو منعكس أيضاً على النفس الإنسانية، وذلك مجال مثير، يكتنفه الغموض والعنف، في شتى الأشكال والألوان[1].

الفرق بين الحبكة والحدث :

يفرق النقاد بين الحبكة والحدث على أساس أن الحدث يرتكز على السرد والتتابع، أما الحبكة فهي تعتمد على منطقية تتابع الأحداث، وبمعنى آخر يكون السؤال في الحدث: ماذا بعد ذلك؟ أما في الحبكة فالسؤال : هو لمَ حدث ذلك؟[2].

فالحبكة تسرد الأحداث ولكن وفق مسببات. فإذا قلنا : مات الملك ثم ماتت الملكة. فهذه أحداث، وإذا قلنا : مات الملك فحزنت الملكة عليه حزناً شديداً أدى إلى موتها. فهذه حبكة.[3]

أنواع القصة من حيث تركيب الحبكة [4]:

١. القصة ذات الحبكة المفككة :

وتُبنى هذه القصة على سلسلة من الحوادث أو المواقف المنفصلة التي تكاد لا ترتبط برباط ما، ووحدة العمل القصصي فيها لا تعتمد على تسلسل

---

[1]- حول المسرح الإسلامي، ص ٤١.

[2]- أبو شريفة وقزق، مدخل إلى تحليل النص الأدبي، ص ١٢٨.

[3]- التونجي، المعجم المفصل في الأدب، ج١، ص ٣٤٦.

[4]- انظر : أبو شريفة وقزق، مدخل إلى تحليل النص الأدبي، ص ١٢٨. و انظر : نجم، فن القصة، ص ٧٣و٧٤.

الحوادث، ولكن على البيئة التي تتحرك فيها القصة، أو على الشخصية الأولى فيها، أو على النتيجة العامة التي تنتظم الحوادث والشخصيات جميعاً. مثل رواية "ليالي السهاد" لنجيب الكيلاني.

٢. القصة ذات الحبكة المتماسكة :

تقوم هذه القصة على حوادث مترابطة، يأخذ بعضها برقاب بعض، وتسير في خط مستقيم حتى تبلغ مستقرها.

ومما يؤخذ على هذا النوع أنها قد تنقلب أحياناً إلى عمل آلي، وأنها قد تؤدي إلى الافتعال والصدفة المفتعلة، والأحداث التي تأتي صدفة واتفاقاً، وذلك لكي تؤدي العمل الذي يفرضه عليها الكاتب، وهو أن تكون حلقة متممة لتلك السلسلة المحكمة التي أراد أن يقيم عليها بناء القصة. مثل "الربيع العاصف" و"رحلة إلى الله".

أنواع الحكبة [1]:

١. الحبكة المتوازنة : وهي التي تبدأ بالعرض ثم تأخذ الأحداث تتصاعد لتصل إلى درجة الأوج "الذروة أو الأزمة أو النقطة الوسطى عند أرسطو" ثم تبدأ القصة بالنزول نحو النهاية. وهذه الأجزاء تكون كما يلي:

- العرض : يتعرض الكاتب إلى شخوص القصة ومكانها وزمانها وبداية الأزمة، وتبدأ الحوادث دون أن توحي بالنتيجة، ولكنها تكون بين الغموض والوضوح، تتضح بمقدار ما تبين لك الخيوط الأساسية التي ستتألف منها العقدة، وتكون غامضة بحيث تدعك متلهفاً متشوقاً

[1]- انظر : أبو شريفة وقزق، مدخل إلى تحليل النص الأدبي، ص ١٢٩-١٣٠.

إلى متابعة الحوادث ومعرفة النهاية. ومن عيوب بناء الرواية "الإيحاء بما سيكون من أحداث مقبلة بواسطة النبوءات"[1]، فهذا مما يضعف من قيمة الرواية فنياً، لأن الأحداث تعتمد على السببية والمنطقية في تسلسلها وحدوثها.

- الحدث الصاعد : هو الانتقال من العرض إلى أسباب الخلاف أو الأزمة، وفي الحدث الصاعد يبدأ المؤلف بتطوير العقدة بتركيز وبطء شديدين. وعندما ينجح الكاتب في اجتذاب القارئ تبدأ عملية التشويق والمماطلة، فيخوض القارئ في حالة من القلق الدائم والتحفز المستمر مترقباً بشغف ما ستتجلي عنه الحوادث.
- الأزمة أو العقدة : هي اللحظة التي تصل فيها الأحداث إلى أقصى درجات التكثيف والانفعال، وهي نقطة التحول في القصة وتعتبر بداية تمهد للحل. وهي الذروة أو القمة التي تبلغها أحداث القصة في تعقدها، ويبلغ انفعال القارئ عندها حده الأقصى فتزداد متعته ويتضاعف شوقه لمعرفة الحل، فهي نقطة فاصلة في القصة، تتدرج الحوادث قبلها صعداً حتى تصل إلى ذلك التوتر ثم تبدأ بعده بالتصفية والكشف، إلى أن تبلغ النتيجة أو الخاتمة، والعمل القصصي أشبه بالإعصار الذي يتجمع ثم يثور بقوة وعنف، ثم يزول إلى ذبول وانحلال[2].

ومن عيوب بناء الرواية "التوسل بالعقدة الغرامية[3]، فقد لا يكون هناك أي فائدة منها إلا أن الكاتب يعتقد أن ذلك سوف يجذب القراء إلى

---

[1]- السعافين، تطور الرواية العربية الحديثة في بلاد الشام، ص ١٧٧.

[2]- انظر : نجم، فن القصة، ص ٤٣.

[3]- السعافين، تطور الرواية العربية الحديثة في بلاد الشام، ص ١٧٧.

قصصه، وهذا يشبه ما فعله جورجي زيدان في رواياته عن التاريخ الإسلامي.

- الحدث النازل : "حل العقدة أو فك الحبكة"، ويسجل حصيلة الصراع الفكري أو العاطفي أو الديني، وحالة الإدراك أو الوعي الذي تصل إليه الشخصية بغض النظر عن عمق الإدراك أو مدى دوامه أو استمراره. غير أنه يشترط في الحل أن يكون منطقياً، وألا يخالف ما سبق وتقدم من أحداث، وقد تكون القصة بلا حل، ويقصد من وراء ذلك ترك المجال أمام القارئ للمشاركة في التفكير بحل لهذه القصة.

٢. الحبكة النازلة : وهي التي تبدأ باندحار البطل وفشله ثم تستمر في النزول به إلى الحضيض.

٣. الحبكة الصاعدة : وهي عكس السابقة، ففيها ينتقل البطل من نجاح إلى نجاح.

٤. الحبكة الناجحة في النهاية : وفيها يواجه البطل إخفاقات عديدة ولكنه ينتصر في النهاية. وهي أكثر أنواع الحبكات شيوعاً وأظهرها صراعاً وتشويقاً.

٥. الحبكة المقلوبة : وفيها يحرز البطل انتصارات مزيفة، فيبدو عليه النجاح وعلامات السعادة، ولكنه في الحقيقة يكون قد بنى مكاسبه على الغش والظلم، فحين يصل إلى القمة يهوي إلى الحضيض.

وإذا أردنا أن نفهم الحبكة فيجب أن نضيف الذكاء والذاكرة، وقارئ الرواية الذكي يلتقط الحقائق الجديدة ذهنياً، ويراها من وجهتين : وجهة منفردة مستقلة، ثم وجهة متصلة بالحقائق الأخرى التي قرأها في الصفحات السابقة.

أما عنصر الدهشة أو الغموض ويطلق عليه بسخف في بعض الأحيان العنصر البوليسي فله قيمة عظيمة في حبكة الرواية .. فمَن أجل أن يتذوق الإنسان الغموض يجب أن يخلّف جزءاً من عقله وراءه متأملاً، بينما يتقدم الجزء الآخر إلى الأمام.

إن الذاكرة والذكاء متصلان اتصالاً وثيقاً، فلن نفهم إذا لم نتذكر .. ومؤلف الحبكة يتوقع منا أن نذكر، ونحن نتوقع منه أن لا يترك الأمور دون ارتباط [1].

وعملية التشويق والمماطلة قد تكون آلية سطحية أو تكون سامية عميقة، وقد يخفي الكاتب سر المهنة حتى لتكاد تخفى على القارئ الفطن، ولكنه لا بد أن يقيم للقارئ منارة تسهل ما صعّب عليه، وقد يلجأ الكاتب إلى خديعة القارئ بحجب سر عنه طوال القصة ثم يكشفه له في آخر الرواية ليفسر له ما حدث وسببه، وهذه طريقة رخيصة لأن فيها شيء من تحقير للقارئ وعدم الثقة بفطنته وقدرته على الربط بين الأحداث وأسبابها، وهي نوع من استغفال القارئ غير مقبول.

---

[1]- شورر ومايلز وماكنزي، أسس النقد الأدبي الحديث، ج٢، ص ١٣١.

القدر والصدفة :

القدر : عامل معترف به يخضع لقوانين ملزمة كما تخضع الشخصيات الأخرى في القصة، ويلجأ الكاتب إليه ليقنع القارئ بأن تطور الأحداث معقول.

أما الصدفة : فهي عامل عفوي دخيل لا يتقيد بقيود المعقولية، والذي كثيراً ما يتكئ عليه الكاتب لينتشله من هوة تردى فيها أو لينقذه من ورطة وقع فيها[1].

يرى الناقدان ادوارد خراط ومحمود أمين العالم أن المصادفة تمثل عنصراً من عناصر البناء الروائي[2].

إن من علامات الرواية الركيكة أن "الصدفة تلعب فيها دوراً هاماً"[3] وليس المقصود هو استبعاد الصدفة تماماً في بناء القصة، ولكن المقصود هو أن الصدفة موجودة في حياتنا الواقعية، وهي تؤثر في مجريات الأحداث في بعض الأحيان، وهذا كله مقبول، أما أن تكون الصدفة هي المحرك وهي المسبب لأهم الأحداث في القصة، وإليها تُنسب التطورات الهامة، فهذا غير مقبول، أو أن الصدفة تتكرر كثيراً في القصة فهذا يضعفها فنياً. لأن من أهم المبادئ الفنية هو مبدأ السببية لأن أول ما يطلبه القارئ الذواقة أن يكون تطور القصة طبيعياً لا يخرج عن نطاق المعقول والاحتمال[4].

---

[1]- نجم، فن القصة، ص ٤٩.

[2]- القط، بناء الرواية في الأدب المصري الحديث، ص ٤٣.

[3]- السعافين، تطور الرواية العربية الحديثة في بلاد الشام، ص ٨٥.

[4]- نجم، فن القصة، ص ٤٨.

وتُعد وحدة الحبكة معياراً أساساً من معايير الحكم على نجاح القصة أو إخفاقها في بناء الحبكة، ويقصد بوحدة الحبكة تماسك الأحداث وتتابعها تتابعاً منطقياً أو نفسياً. ويمكن الحكم على تماسك الحبكة ووحدتها باللجوء إلى معيار "أرسطو" في المحاكاة، وهو مدى مطابقة النتاج الأدبي للواقع. ويقصد بذلك ما يمكن أن يحدث لا ما هو حادث فعلاً. ومن عيوب الحبكة اللجوء إلى الصدفة لحل الحكبة[1].

وفي بعض القصص يلجأ الكاتب إلى عنصر "القدر". ويأتي بهذه القوة الخارجية، ليقنع القارئ بأن تطور الحوادث عنده، لا يخرج عن نطاق المعقولية والاحتمال. وهنالك فرق كبير بين استخدام "القدر"، واللجوء إلى عامل الصدفة .. فالقصة تكون معقولة، ومحتملة الوقوع، عندما تتصرف شخصياتها، كما تتصرف شبيهاتها في الحياة إذا وضعت تحت تأثير ظروف مماثلة. وكذلك عندما لا يخبط "القدر" خبط عشواء، بل يتصرف تصرفاً لا يجافي طبيعة الحوادث والشخصيات. ولنذكر دائماً أن الحوادث العفوية المفاجئة التي تعترض سبيل الحياة في القصة، وكأنها حلقات غريبة من سلاسل مجهولة، لا بد من أن تفسد هذه الحياة المتوهمة، وتنأى بها عن طبيعة الحياة العادية التي نشاهدها على وجه الأرض[2].

---

[1]- أبو شريفة وقزق، مدخل إلى تحليل النص الأدبي، ص ١٣٢.

[2]- نجم، فن القصة، ص ٤٩-٥٠.

التوقيت والإيقاع :

الإيقاع هو : حركة الأحداث من حيث السرعة والبطء[1]، فالقارئ يلاحظ أن القصص التي يقرؤها، تختلف من حيث سرعة تكشف الحوادث .. ولا بد من التنبيه إلى أن تطور العمل القصصي، يعتمد في المقام الأول على الغاية التي يستهدفها الكاتب. إذ أن عنصر التوقيت لا يأتي عفو الخاطر، وإنما يعتمد كل الاعتماد على فهم الكاتب للحياة، وطريقته في التعبير عن هذا الفهم.

ويرتبط التوقيت ارتباطاً وثيقاً بتراخي العمل وتوتره في القصة. فإن طبيعة العمل القصصي، الذي يراوح بين القوة والضعف، والتراخي والنشاط، والاستجماع والوثوب، تفرض على الكاتب أن يسير بسرعة ملائمة لكل ذلك. فالقصة تبدأ بمقدمة هادئة مسترخية إلى أن تبلغ بداية تجمُّع العاصفة، ويتلو ذلك اشتداد وطأتها وتأزمها حتى تبلغ الذروة. ثم تنحدر قاطعة الطريق في سرعة متناقصة، حتى تصل إلى مستقرها. وكل حالة من هذه الحالات لها سرعتها الخاصة التي تلائمها، وتتفق مع نشاط العمل القصصي فيها. والعمل القصصي ميدان للأزمات والعقد والمشكلات، ولذلك كان من الطبيعي أن تختلف سرعة السير باختلاف المواقف. وباختلاف السرعة يترجح اهتمام القارئ بين التأجج والخمود، والازدهار والذبول.

وليس غريباً أن يحدث هذا في القصة، وهي صورة من الحياة الإنسانية، فنحن لا ندرك معنى الخير إلا إذا قسناه بالشر، ولا ننتشي بحلاوة النصر، إلا بعد أن نتجرع مرارة الهزيمة، ولا نقدر السكينة حق قدرها، إلا بعد أن نُبتَلى بالصخب والضجيج.

---

[1]- أبو شريفة وقزق، مدخل إلى تحليل النص الأدبي، ص ١٢٥.

وهذا الترجيح في المواقف هو الذي يجنب الكاتب الرتابة، ويعترض سبيل الملل فلا يتطرق إلى نفس القارئ[1].

وإذا رجع الكاتب إلى الوراء في الزمن ليوضح لنا الموقف، فعليه أن يكون سريعاً حتى لا يبرد الحدث أو يقف طويلاً. وتظهر سرعة الأحداث كذلك بعد التأزم في طريقها إلى النهاية. في حين تكون سرعة الأحداث أقل قبل تشكل الأزمة، وكذلك الحال حين يصور الشخصيات فإنه يحتاج إلى وقت أطول، لأن توضيح الصورة بأفعال يحتاج إلى تركيز، وبطء نسبي.

وسرعة الأحداث وبطؤها يقتضيان تنويعاً في الأسلوب واللغة، فسرعة الأحداث يناسبها جمل فعلية قصيرة كي تنقل الحركة وتغير الأحداث .. في حين تطول الجمل وتكثر الجمل الاسمية في الأحداث البطيئة[2].

ومَرَدُّ الأمر في هذا كله إلى عبقرية القاص وقدرته على الإفادة من تجاربه الأدبية، ليصل إلى تصوير ما يريد، وليست لهذا الجانب قواعد محددة، وهو أمر يمس الصياغة الفنية للمضمون، ثم الأسلوب في وقت معاً[3].

وكل كاتب يدرك بطريقة شعورية أو لا شعورية، أهمية التنويع والتفاوت في القصة. والذي يتأمل بناء إحدى القصص يلاحظ أن هذا التفاوت ليس عملاً عفوياً اعتباطياً، وإنما هو عنصر هام من عناصر التصميم القصصي. والكاتب يقدمه لنا على هيئة أمواج تتحرك بنظام خاص لتؤدي إلى تأثير معين، يشعر

---

[1]- نجم، فن القصة، ص ٨٧.

[2]- أبو شريفة وقزق، مدخل إلى تحليل النص الأدبي، ص ١٢٥-١٢٦.

[3]- غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، ص ٥٢٣.

القارئ معه بأن القصة تسير وفق قانون مرسوم، هو الذي يكسبها هذا الشكل الخاص الذي تجلت فيه.

وهذا التغير التموُّجي في القصة هو الذي يسمى بالإيقاع. وقد يبدو في بعض الأحيان خافتاً غامضاً، وفي بعض آخر متحفزاً متسارعاً. ولكنه في أحسن حالاته يجمع بين صفات مختلفة في آن واحد، فيكون حراً أو منضبطاً، متعسراً أو منساباً، هادراً متوثباً أو خافتاً متعثراً، في آن واحد[1].

ود. حلمي القاعود يرى أن "تمو الحوادث في روايات نجيب الكيلاني يتسق مع التتابع الزمني، فقليلة هي الحوادث التي تبدو معقدة، أو تتكشف من خلال سياق متقاطع .. إنها أي الحوادث تسير في اتجاه أفقي بصفة عامة، وهو ما يجعلها بصورة ما أقرب إلى الحوادث البسيطة، ويعد هذا ميزة من ميزات العمل الروائي، الذي يلجأ إلى الحوادث المعقدة أو الغريبة أو المثيرة .. ولكنه يقدم واقعاً يومياً أو اجتماعياً مألوفاً يعيشه الناس، ويمرون به، ويتفاعلون معه سلباً أو إيجاباً، وتكمن براعة الكاتب في تقديمه بصورة مشوقة تحفز على المتابعة والتأمل والتفكير وتكوين موقف معين تجاه الواقع وحوادثه، أو على حد تعبير بعض النقاد "إن الروائي يحتاج إلى استغراق مشاعرنا الذاتية معه قبل أن يكون في مقدوره تحقيق أفضل نتائجه الدرامية والخيالية"[2].

وهناك مزلق قد ينزل إليه الكاتب وهو التشابه والتكرار في الأحداث وهذا يحدث عندما يكون للكاتب أكثر من رواية.

---

[1]- نجم، فن القصة، ص ٨٧-٨٨.

[2]- القاعود، الواقعية الإسلامية في روايات نجيب الكيلاني، ص ٨٣.

ففي "رجال وذئاب" تكون "فضيلة" خطيبة "عادل" ثم تكون النتيجة أنها تتزوج من صديقه "رشدي". وكذلك في "أهل الحميدية" فـ"رحاب" كانت خطيبة "عبد المغيث" ثم تزوجت "راضي" صديقه. فهذا يدل على ضعف طرأ على أسلوب الكاتب وقلة في استحداثه واختراعه للأحداث.

وهناك أيضاً تكرار في رواية "نور الله" و"قاتل حمزة" فقد استطرد الكيلاني في وصفه لمقتل "حمزة" رضي الله عنه، وهذا الأمر مقبول في الرواية التي خصصها لهذا الأمر وهي "قاتل حمزة" وأعتقد أن ذلك فيه تكرار قد لا يكون مفيداً أو ضرورياً.

ود. حلمي القاعود يرى أن "الكيلاني يبني رواياته بطريقة فنية جذابة، لأنه يعتمد التتابع الإيقاعي في تنظيم الحوادث، والأسلوب الإيقاعي في تنظيم العبارات. وهكذا يبدو البناء الروائي للحوادث متماسكاً في رواياته، كل حادثة تؤدي إلى الأخرى بانتظام منطقي، مما حقق شرائط الحيوية للروايات وشخوصها وحوادثها. وفي الوقت ذاته جعل القارئ يتابع متلهفاً مصائر الشخوص ونهايات الحوادث، بعد استغراق مشاعره الذاتية .. وقد أفاد نجيب الكيلاني من قدرته الفنية العالية؛ نتيجة خبرته الطويلة في الكتابة القصصية، لتلافي الناحية السلبية، إذ إن طبيعة الحوادث التي اختارها وعملية ترتيبها، مع تلوينها بالمفارقات والطرائف الاجتماعية، قد حققت له تماسك البناء الروائي، وأعطته إمكانات كبيرة للإثارة الفنية، كما يسرت له قدراته اللغوية والأسلوبية انسياباً متدفقاً، أسهم مع العناصر الأخرى في تقديم بناء قصصي متكامل وجميل، يجمع إلى تفوق الحرفة سلامة التصور"[1].

---

[1]- القاعود، الواقعية الإسلامية في روايات نجيب الكيلاني، ص ٩٩.

الباب الثاني : الشخصية الروائية في روايات الكيلاني.

الفصل الأول : الشخصية الروائية.

الفصل الثاني : شخصيات رئيسة في روايات د.الكيلاني.

الفصل الثالث : شخصيات ثانوية في روايات د.الكيلاني.

الفصل الرابع : شخصيات مميزة في روايات د.الكيلاني.

الفصل الأول : الشخصية الروائية

أهمية الشخصية ودورها في بناء الرواية فنياً :

الشخصية هي مصدر من مصادر المتعة والتشويق في القصة، وتعد الشخصية الروائية أحد أبرز العناصر الفنية في الرواية، فهي مدار المعاني الإنسانية ومحور الأفكار والآراء العامة، [1]إذ تقع في صميم الوجود الروائي، وتقود الأحداث، وتنظم الأفعال وتعطي القصة بعدها الحكائي .. وفوق ذلك تعتبر العنصر الوحيد الذي تتقاطع عنده كافة العناصر الشكلية الأخرى، بما فيها الإحداثيات الزمنية والمكانية الضرورية لنمو الخطاب الروائي واطّراده.[2]

إن أهمية الشخصية في الرواية لا تقاس أو تحدد بالمساحة التي تحتلها، وإنما بالدور الذي تقوم به، وما يرمز إليه هذا الدور، وأيضاً مدى الأثر الذي تتركه في ضمير القارئ، مما يدفعه للتساؤل والمقارنة، تمهيداً لتصويب موقفه، في الواقع، وبالفعل، تجاه هذا الموضوع الأساسي الذي تثيره الرواية.[3]

---

[1]- غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، ص ٥٦٢.

[2]- بحراوي، حسن، بنية الشكل الروائي، (المركز الثقافي العربي : بيروت،١٩٩٠ م)، ط١، ص ٢٠.

[3]- عبد الرحمن منيف "المرأة .. سؤال فيه بعض التحدي الجميل والخطر" مجلة النهج، دمشق، العدد ٤١ خريف ١٩٩٥م، ص ٢٠٢.

وأكثر القراء يبحثون عن القصة التي تقدم له شخصيات حية، فهم يسعون إلى التعرف على شخصيات جديدة، وإلى مراقبة مشكلات الحياة وهي تتفاعل مع شخصيات إنسانية يسهل عليهم فهمها وإدراكها، ولا شك في أن عناصر القصة الأخرى تتضاءل أمام الشخصيات الحية المتحركة، والشمول والحرارة والتنوع والنشاط في الشخصية القصصية صفات تملك على القارئ لبه وتستأثر بأكبر نصيب من إعجابه وتقديره.[1]

وقد تدور القصة حول شخصية واحدة من أولها إلى آخرها، وقد تتعدد الشخصيات فيها، وقد تتمثل في الشخصية الواحدة حادثة نفسية أو دور اجتماعي أو بطولي أو سياسي أو علمي أو عاطفي.[2]

فمن روايات نجيب الكيلاني التي دارت حول شخصية واحدة من أولها إلى آخرها كانت رواية "قاتل حمزة" و"اعترافات عبد المتجلي" و"الرجل الذي آمن" فالأولى كانت تدور حول "وحشي" العبد الذي قتل "حمزة بن عبد المطلب" رضي الله عنه، وكيف انتقل من العبودية إلى الحرية التي لم يحس لها طعماً لذيذاً كما كان يتوقع، فهو يقول :"حمزة بن عبد المطلب.. إنني أراه .. في يقظتي وفي نومي .. إنه ينظر إلي الآن ... يبتسم .. أكاد أجن .. إنني لا أدري معنى لابتسامته الغامضة .. إنني أتعذب يا سهيل .. أنقذني .. خذ بيدي .. لشد ما أنا خائف."[3] ثم إسلامه واستمرار عدم قبول

---

[1]- نجم، فن القصة، ص ٥٨ .

[2]- مريدن، القصة والرواية، ص ٢٧.

[3]- قاتل حمزة، ص ٢٥٦ .

الرسول عليه السلام له، ثم مشاركته في قتل مسيلمة الكذاب، فـ"إبان احتدام المعركة في أرض اليمامة، أخذ وحشي يبعث بنظراته هنا وهناك، حتى وجد رجلاً أشعث الشعر، يقف على ثلمة جدار، ويناضل في استماتة، وصرخ وحشي : " إنه هو .. مسيلمة الكذاب.." ثم يسدد وحشي حربته نفس الحربة التي رمى بها حمزة ذات يوم مشئوم.. ثم أطلقها فاستقرت بين ثديي مسيلمة، وخرجت من بين كتفيه فتهاوى الكذاب على الأرض، وانقض عليه أحد المسلمين بسيفه فأجهز عليه .. وانتهت المعركة بانتصار الحق .. وجلس وحشي يهز حربته، ويقول:" بحربتي هذه قتلت خير الناس بعد رسول الله حمزة بن عبد المطلب، وشر الناس مسيلمة الكذاب.."[1] فكانت الرواية كلها تدور حوله فقط.

وكذلك "اعترافات عبد المتجلي" الذي غادر قريته واتجه إلى المدينة ليبحث عن مَنْ سرق الونش، وإلحاحه وانشغاله الكامل بهذا الأمر ثم سجنه وعودته لقريته خالي الوفاض من الونش لكن استقبال القرية كان له كأحد الفاتحين[2].

و"الرجل الذي آمن" تدور حول آريان الموسيقي الإيطالي الذي جاء في رحلة عمل إلى دبي ليبدأ رحلة البحث عن الحقيقة ليعتنق الإسلام بعد صراع وبحث وقلق، ليستقر هناك ويتزوج من امرأة عربية مسلمة.

---

[1]- قاتل حمزة، ص ٢٦٨ .

[2]- اعترافات عبد المتجلي، ص ٣٠ و ٨٩ و ١٥٩ .

وأما أن تدور الرواية حول حادثة ما ، فـ"أهل الحميدية" تدور حول حالة نفسية دخل بها "عبد المغيث" بعد حادثة رسوبه في الامتحان بسبب أخطاء وقعت، ومحاولته الانتحار، ثم نجاحه، وسجنه، وهناك تركيز على اضطراباته النفسية التي عانى منها الكثير.[1]

أو "بدرية" في "ليالي السهاد" في اضطراباتها النفسية حين علمت بشأن زواج زوجها من الفنانة "صافي" وعدم قدرته على التخلص منها، وإلا كان السجن البديل له، فوقعت بين نار الغيرة كزوجة، وبين أن تصارح زوجها بمعرفتها تلك لتدفعه لترك "صافي" مع ما سوف يجر عليها من وبال وسجن ذاقت فيه الأمرين سابقاً، فصبرت وسكتت ولكن سكوتها كان سبباً في دخولها حالة نفسية من الاكتئاب الشديد الذي بقي ملازماً لها حتى غادرت مصر وانقطعت علاقة زوجها بـ"صافي" بطلاقه لها.[2]

وإذا انتقلنا إلى دور اجتماعي فهناك "ملكة العنب" التي قامت بدور كبير في مساعدتها لشباب قريتها الفقراء، فكانت تدفع لهم نفقات دراستهم وتقوم بكفالة أسر فقيرة، وسارعت في وقت الأزمة التي حصلت في القرية ووكلت محامين للدفاع عن رجال القرية الذين اعتقلوا مع الخطورة التي تحيط بهذا الأمر.

---

[1]- أهل الحميدية، ص ٤٠ و ٥١ و١٤٨.

[2]- ليالي السهاد، ص ١٦٨ وما بعدها.

وفي "حمامة سلام" استطاعت "سكينة" بذكائها ومحبتها أن تقنع زوجها بالمصالحة مع الفلاحين وإنهاء مشاكل كادت أن تصبح مأساوية.[1]

والدور البطولي الذي قامت به "نبيلة" في رواية "رحلة إلى الله" في استمرارها في خطوبتها لـ"عطوة الملواني" ومداراتها له، حتى استطاعت أن تستخرج جواز السفر وجهزت كل ما يتعلق بالسفر، ثم انطلقت خارج مصر لتكتب كتاباً تفضح فيه أجهزة الأمن المصرية وما تقوم به من تعذيب وتنكيل بشباب الإخوان المسلمين، وهي المرأة العزلاء مع ما أصابها من اضطهاد.[2]

والدور العلمي الذي قام به المهندس المعماري "عبد القادر" من دراسته لأصول العمارة في أوروبا عندما زار فرنسا، ومحاولته الاستفادة من التقدم والتطور هناك.[3]

أما الدور العاطفي ففي رواية "أميرة الجبل" كان الطبيب المهاجر من بلده لأسباب سياسية يرتبط بفتاة من القبائل العربية التي تقطن أطراف دبي بعد صراع لم يستمر طويلاً.[4]

---

[1]- حمامة سلام، ص ١١٠ .

[2]- رحلة إلى الله، ص ٢٩١ و ٣٥٧ و ٣٨١ و ٤١٨.

[3]- ليالي السهاد، ص ١٨٧.

[4]- أميرة الجبل، ص ١٥٦ .

وتلعب الشخصية دوراً أساساً في بناء الرواية، إذ إنها مركز الأفكار، ومجال المعاني التي تدور حولها الأحداث، وبدونها تضحي الرواية ضرباً من الدعاية المباشرة، والوصف التقريري، والشعارات الجوفاء الخالية من المضمون الإنساني المؤثر في حركة الأحداث، فالأفكار تحيا في الشخصية، وتأخذ طريقها إلى المتلقي عبر أشخاص معينين لهم آراؤهم واتجاهاتهم وتقاليدهم في مجتمع معين وفي زمن معين. [1]

ارتباط الشخصية الروائية بعناصر الرواية الأخرى :

الشخصية والفكرة : الشخصية الروائية تمثل فكرة، ويستطيع الكاتب أن يستغل جميع الأحداث والوقائع ليجعلها تلقي ضوءاً باهراً على عقلية البطل، أو أن يقلبه في مختلف الظروف والأحوال ليكشف عن الفرق الجوهري الذي يميزه عن غيره، فهو بهذا يصطنع الحوادث والمشاهد ليُبرز شخصية ما. [2]

الشخصية والأحداث :

لا يكفي الحدث وحده في تأليف قصة ما، بل لا بد من وجود الشخصية التي تدور القصة معها أو حولها، بحيث تبث الحركة فيها وتمنحها الحياة، فالشخصية هي الكائن الإنساني الذي يتحرك في سياق الأحداث. [3] ولا

---

[1]- د. عثمان، "الرواية الإسلامية وبناؤها الموضوعي والفني ، مجلة الأدب الإسلامي، العدد ٣٨، ص ٨ .

[2]- نجم، فن القصة، ص ٢٠.

[3]- مريدن، القصة والرواية، ص ٢٦.

يمكن أن نتصور أحداثاً تقع دون أن يشارك في أحداثها شخص أو أشخاص، والشخص القصصي يتصف بمجموع صفات عقلية وخلقية يتصف بها الإنسان العادي وتميزه عن غيره من الشخصيات الأخرى. وهذه الصفات العقلية والقيم الاجتماعية والحيوية التي تتحرك فيها الشخصيات، لا بد لها من مجال تعيش فيه، وتتفاعل مع موجوداته كما هو الحال في الحياة العادية، لكن بتوجيه وتكثيف. من هنا تتبين العلاقة المتفاعلة بين الأحداث والشخوص.[1]

الشخصية على الورق ميتة والكاتب يستطيع ببراعته أن ينقل إليها الحياة، بحيث تخرج شخصية إنسانية نابضة بالحياة، وشخصية تتفاعل مع الحوادث تفاعلاً طبيعياً صادقاً وتجعل القارئ يقر بوجودها ويحس بها كأنها حقيقة واقعة أمامه، ليست من نسج خيال المؤلف.
والقصة معقولة حين تتصرف شخصياتها كما تتصرف مثيلاتها في الحياة إذا وُضعت تحت تأثير ظروف مماثلة.[2]

حوار الشخصيات:

إن الحوار في الرواية له أهمية كبيرة بشقيه : الحوار الداخلي "المونولوج" أو الخارجي بين الشخصيات الروائية الأخرى، فهو يظهر صفات الشخصية وخصائصها ومميزاتها وطريقة تفكيرها، واهتماماتها

---

[1]- أبو شريفة وقزق، مدخل إلى تحليل النص الأدبي، ص١٣٣.

[2]- نجم، فن القصة، ص٢٠.

وأخلاقها، ومستواها الفكري والثقافي، بل والزمن الذي تدور فيه تلك الرواية، والبيئة التي نشأت فيها هذه الشخصية أو تلك.

وقد يستفيد الكاتب من الحوار إلى جانب تصويره للشخصية أن يصور رأي بعض هذه الشخصيات في سلوك الآخرين، وصدى الأحداث في الوعي الاجتماعي، ويكون وسيلة للتعمق في الكشف عن جوانب الموقف من خلال الشخصيات، وبوساطة الحوار الدائر بينهم.

الشخصية والبيئة :

إن للبيئة تأثيراً كبيراً على بناء شخصية الإنسان وتفاعله مع الأحداث التي يمر بها في حياته، وطريقة تعامله معها، وكذلك الحال في بناء الشخصيات الروائية، فعلى الكاتب أن يأخذ بعين الاعتبار - عند كتابته للرواية ورسمه للشخصية - البيئة التي نشأت بها تلك الشخصية.
وقد توسعنا في الفصل السابق في حديثنا عن كل هذه العناصر فيُكتفى بذلك.

مِنْ أين يختار الكاتب شخصيات روايته ؟

يختار الكاتب شخوصه من الحياة عادة (الحياة الحاضرة، أو الماضية في التاريخ أو المستقبلة في الخيال) وقد يعيد رسم الشخصية بإضافة صفات جديدة خيالية، أو يكثف سلوكه ليظهره على حقيقة معينة.

ففي "مملكة البلعوطي" نرى أن نجيب الكيلاني استقى شخصية "البلعوطي" من شخصية جده لأبيه "إبراهيم" الذي ذكر من صفاته ما يتطابق

مع صفات "البلعوطي"، فهو "شخصية مميزة قوية، كان مرهوب الجانب، مطاع الكلمة..."[1] وتعتبر هذه الرواية كاملة تصويراً لحياة جده بالتفصيل الدقيق، وكذلك شخصية "البابلية" التي اسمها الأصلي "مباركة" والتي استقاها من شخصية الزوجة الرابعة لجده لأبيه "مباركة" فهي لم تكن من قريتهم ولكنها من قرية قريبة من شرشابة، ولم يرزقها الله بذرية، وهذه أكثر الصفات وضوحاً في تشابه الشخصيتين. وهناك عم نجيب الكيلاني "عبد الفتاح" ولم يغير الكيلاني من أسماء هذه الشخصيات أيضاً وشخصيات أخرى كثيرة في نفس الرواية تتطابق مع الشخصيات التي ذكرها الكيلاني في كتابه "لمحات من حياتي".

وفي رواية "الطريق الطويل" فكان عم سليمان بطل الرواية واسمه "فريد". وكان واضحاً بشكل قوي التشابه الشديد بين "فريد" في الرواية وعم نجيب الكيلاني نفسه "عبد الفتاح" وقد ذكر الكيلاني بنفسه في كتابه "لمحات من حياتي" أنه كتب طرفاً من قصة حياته، خاصة فيما يتعلق ببيعه لأرضه[2] ، ثم هجرته للمدينة وبحثه عن عمل بسيط يتكسب منه.[3]

وفي "رحلة إلى الله" هناك الشاعر "يوسف" وقد ذكر أنه كتب قصيدة عن سجنه فيقول :"إن ملحمتي التي كتبتها عن محنتنا في الحربي ستكون

---

[1]- لمحات من حياتي، ج١، ص ٢٣ .

[2]- الطريق الطويل، ص ٧٧ .

[3]- لمحات من حياتي، ج١ ، ص ٣٠ .

يوماً ما على كل لسان في العالم العربي.." ولعله يقصد بالشاعر يوسف الدكتور يوسف القرضاوي العالم المعروف الآن.

وليس ببعيد أن يستقي الكاتب من شخصيته هو شخصيات روائية يمثل كل منها جانباً أو أكثر من جوانب شخصيته، وقد وجه الدكتور مصري عبد الحميد ضورة عدداً كبيراً من الأسئلة لثلاثة وعشرين كاتباً قصصياً ضمن بحث مطول، عن الإبداع في الرواية، كان من ضمنها السؤال الآتي: هل يوجد بين شخصيات روايتك من يشبهك؟ فأجاب واحد وعشرون بالإيجاب، بينما نفى ذلك اثنان منهم.[1]

ونجيب الكيلاني بدا تضمينه لبعض من جوانب شخصيته نفسه في "الطريق الطويل" وهو بطل الرواية "سليمان" و"د. محمد صادق" في رواية "الذين يحترقون". فالأول يحاكي فترة طفولة وصبا وشباب نجيب الكيلاني في القرية ثم في الجامعة وانتقاله للمدينة، والثاني : طبيب الوحدة الصحية الملتزم الأمين، الذي عاد إلى قريته ليمارس مهنته بإخلاص لأهل قريته، في مقابل الفساد المستشري في المستوصف[2]. وهذه الأحداث ذكرها كلها د. نجيب الكيلاني في كتابه "لمحات من حياتي" بأجزاءه المختلفة.

وللكاتب أن يعتمد على مبدأ الاختيار، لكي يستطيع أن يرسم هذه الصورة الواقعية المطلوبة، فالقارئ لا يهمه أن يعرف حياة الشخصية

---

[1]- العريني، الاتجاه الإسلامي في روايات نجيب الكيلاني، ص ١٨٩.
[2]- الذين يحترقون، ص ١٠ وما بعدها.

بدقائقها وتفاصيلها، بعظيمها وتافهها، بقدر ما يهمه أن يراها حية، قائمة أمامه، تتحرك في حياتها الخاصة، التي يلذ له أن يلاحظها ويختبرها بنفسه. والحقائق الإنسانية العامة هي المادة الخام التي تتناولها يد القاصّ الصنّاع بالنخل والانتخاب والتنسيق، حتى تخرج منها بتلك الشخصية الإنسانية النابضة بالحياة، والتي تتفاعل مع الحوادث تفاعلاً طبيعياً صادقاً.[1]

الشروط التي يجب أن تتوفر في الشخصية حتى تكون ناجحة :

١. إن أول شرط من شروط الشخصية الناجحة أن تكون مقنعة ومتساوقة مع نفسها، أي بعيدة عن التناقض.

٢. أن تكون حيوية فعالة ومتفاعلة مع الأحداث، متطورة بتطورها من أول القصة إلى آخرها، ولا يُقصد بالحيوية كثرة الحركة والتنقل من مكان إلى آخر، بل يقصد منها أن تكون ذات تأثير كبير في تصوير موقف من المواقف، منفعلة به، غير جامدة على حال واحدة.. وأما التفاعل فيشترط في كل موقف .. وأما النمو والتطور فلا يصح أن تقف الشخصية جامدة ساكنة، ولا يتم هذا إلا إذا جعلها الكاتب تصطدم، وتتصارع مع الشخصيات الأخرى من ناحية، ومع الأحداث من ناحية ثانية.

---

[1]- نجم، فن القصة، ص ١٢.

٣. الصراع إذن شرط ثالث من شروط الشخصية الناجحة، ونعني به الاحتكاك بينها وبين نفسها وعواطفها الذاتية[1]، أو عقيدتها[2] أو عقلها[3]، أو بينها وبين شخصيات أخرى. والإنسان جسم وعقل وروح، وعلى القاص أن يصور إذن همسات الروح، وخطرات العقل، ونوازع الجسم. وكلما كان الصراع قوياً واضحاً بين هذه العناصر كلها، كانت القصة أنجح وأعمق تأثيراً.[4]

طريقة عرض الكاتب لشخصياته:

قد يصف الكاتب شخصياته بنفسه، أو يجعل إحدى شخصياته تصف أخرى، أو يستخدم أسلوب الوصف الذاتي كما هو في الاعترافات والمذكرات، أو يترك المؤلف للقارئ أن يستخلص السمات المميزة للشخصية ومعرفة عالميا الداخلي من خلال أقوالها وأفعالها ومواقفها من الآخرين. [5]

---

[1]- قد تكون رواية "ليالي السهاد" تتضمن هذا الصراع عند "عبد القادر" بطل تلك الرواية.

[2]- كما في رواية "الرجل الذي آمن".

[3]- في "رجال وذئاب" نشأ صراع "فضيلة" بين قلبها وعقلها بين اختيارها لـ"رشدي" أو "عادل"، حتى استقر بها المقام عندما تيقنت من فساد أخلاق الثاني، وثبات الأول على مبادئه التي تشاركه في اعتناقها، فقد كان "رشدي" تلميذ والدها العالم الديني، فكان بذلك أقرب لفكرها وأخلاقها.

[4]- مريدن، القصة والرواية، ص ٢٨ .

[5]- بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص ٢٢٣.

ود. نجيب الكيلاني يحدد الوسائل التي تميز الشخصية وتبلورها فيعددها في نقاط و"هي :

١. ما تقوله الشخصية أو تعبر به عن نفسها، فمن ذلك "عمالقة الشمال" و"ليالي السهاد" و"الطريق الطويل". فقد كانت هذه الروايات على لسان بطلها فكان من الطبيعي أن تكون المعلومات والصفات المعطاة هي من هذا الباب.

٢. ما يعلِّق به الآخرون على الشخصية. وهذا أكثر من أن يُحصى فهو الغالب على الروايات.

٣. ما تحيط به الشخصية نفسها من أشياء وأدوات واحتياجات أخرى خاصة، في المسكن أو عند المأكل والمشرب، أو الضروريات التي تتعلق بعملها أو فنها أو هواياتها، المهم أن تكون هذه الأمور كلها ذات دلالة.

٤. سلوكيات معينة. مثل "كسَّاب" الذي بسلوكياته حدد شخصيته وأوضح معالمها الطيبة المختفية خلف ظاهر جلف قاس مرتبط بالقتل وسفك الدماء. وهو المجرم المسجون المحكوم عليه بالأشغال المؤبدة، فهو ضحية مجتمع ساد فيه الظلم والجبروت.[1]

٥. الكلام أحياناً أو العبارة اللازمة أو المميزة، مثل شخصية "الشيخ سلامة" في رواية "ليل وقضبان" فقد كان يكرر كثيراً عبارة "...إنها وباء أصفر"[2].

---

[1]- في الظلام، ص ١٨٢.

[2]- ليل وقضبان، ص ١٥٤.

٦. الرداء المميز.

٧. القسمات الخلقية.

٨. قد تستخدم الأحلام في إلقاء الضوء على الشخصية.

٩. تذكر الماضي، والتصرف الآني في نطاقه، فكأنه موجود.

١٠. وطبعاً لا نستطيع أن ننسى الصراع، ووجهة النظر المتصلة به والتي تحملها أو تجسدها الشخصية."[1]

أبعاد الشخصية :

الكاتب إذ يقدم شخصيته يكون حريصاً على أن يعرضها واضحة الأبعاد، وهذه الأبعاد هي :

١. البعد الجسمي: ويتمثل في صفات الجسم المختلفة، وأثر ذلك كله في سلوك الشخصية حسب الفكرة التي يحللها. وكثيراً ما يكون الجمال الجسدي ملازماً للشخصية الخيِّرة، وهناك اهتمام بالوصف الجسماني المثالي للمرأة أكبر منه عند الرجل"[2]، وهذا قد لا يكون له أي ضرورة إلا أنه فيه نوع من مجاراة العرف السائد في كتابة الرواية لتجذب شريحة خاصة من القراء، ولعل ذلك فيه نوع من المتاجرة الرخيصة التي على الكاتب الإسلامي أن ينأى بنفسه عنها. وكذلك نجد أن "البطولة تتمتع بالصفات المثالية المطلقة التي نجدها في

---

[1]- الكيلاني، حول المسرح الإسلامي، ص ٦٠-٦١.

[2]- انظر : السعافين، تطور الرواية العربية، ص ١١١ و١١٦.

الأدب الشعبي فصورة البطل في تراثنا الشعبي تطابق المثل الأعلى للبطولة كما يتمناها الشعب.[1]

٢. البعد الاجتماعي: ويتمثل في انتماء الشخصية إلى طبقة اجتماعية، وفي نوع العمل الذي يقوم به في المجتمع وثقافته ونشاطه وكل ظروفه، التي يمكن أن يكون لها أثر في حياته وكذلك دينه وجنسيته وهواياته. وهناك أمر قد تشترك فيه معظم روايات الكيلاني وهو أن معظم أبطال رواياته وشخوصها من الطبقة الاجتماعية الوسطى أو الفقيرة، وهذا قد يكون بسبب تأثره بالنمط الغالب على القصص والروايات في ذلك الوقت – أي في الستينيات والسبعينيات – والمرتبط ببدعة الفكر الشيوعي وحقوق الطبقة العاملة، والفلاحين، ومحاربة الإقطاعيين والأثرياء المترفين.

٣. البعد النفسي : ويكون نتيجة للبعدين السابقين في الاستعداد والسلوك، من رغبات وآمال وعزيمة وفكر، وكفاية الشخصية بالنسبة لهدفها، ويشمل أيضاً مزاج الشخصية من انفعال وهدوء وانطواء أوانبساط.[2]

---

[1]- انظر : السعافين، تطور الرواية العربية، ص ١١١ و١١٦.

[2]- انظر : أبو شريفة وقزق، مدخل إلى تحليل النص الأدبي، ص ١٣٣ . و مريدن، القصة والرواية، ص ٢٩ .

وعلى الكاتب أن يعرف أن الجانب الخارجي أو الجسمي يُعطَى من الاهتمام بقدر ما يخدم القصة فقط. فالطابع البارز في تصوير القصة اليوم هو أنها تتناول الشخصية من الداخل وأنها تخلت عن القشرة الظاهرة.[1]

طرق تصوير الشخصية ورسمها:

إن أمام الكاتب طرقاً شتى ليقوم برسم شخصياته ويصورها تصويراً يجعلها شديدة القرب من الواقع والحياة، وفي نفس الوقت واضحة المعالم، مفهومة الأهداف، وهذه الطرق هي :

١. الإخبار : وفيها يقدم القاص كل ما يلزم من الشخصية بوضوح ومباشرة، وأسلوب الإخبار يكون بطرق عديدة، منها :

- التشخيص بالاعتماد على المظاهر الخارجية، ويكون بوصف المظاهر الخارجية للشخصية القصصية (من شكل وملبس) ليدل الكاتب على نفسية الشخوص وحالتهم الاجتماعية، فمن ذلك "حكاية جاد الله" فالكيلاني يصفه بتفصيل ويصف ملابسه كسجان. فيقول في بداية روايته: "وقف السجان الأنباشي "جاد الله" أمام مرآة الدولاب ليُحْكِمَ وضع "الكاب"[2] على رأسه، بعد أن أكمل ارتداء ملابسه الصفراء، وحذائه الأسود الثقيل، كان

[1]- أبو شريفة وقزق، مدخل إلى تحليل النص الأدبي، ص ١٣٤ .

[2]- غطاء الرأس وهو جزء من زي السجانين .

يبدو فتياً قوياً، وجهه يميل إلى السمرة وصدره عريض بارز، وشاربه أسود كثيف، وفي عينه نظرات صارمة حادة."[1]

- التشخيص بالاعتماد على وصف القاص : ويكون بتقديم صفات الشخصية وإعطاء أحكام أخلاقية عليها أو على أعمالها. وهذا نمط قديم أقلع عنه معظم الكُتّاب لأنه يبيح للكاتب التدخل في تقييم الشخصية ويقطع على القارئ لذة الاستنتاج ومتعة المشاركة الانفعالية والفكرية في سبر أغوار الشخصية.

- التشخيص بعرض أفكار الشخصية: وهو أن يتبنى القاص شخصاً للتكلم عوضاً عنه، فتكون الشخصية القصصية بمثابة الناطق بلسان المؤلف[2]، وعلى الكاتب أن يبرر هذه الآراء بالأحوال والدوافع والموقف عامة، بحيث تبدو موضوعية محضة،[3] أو أن يتكلم أحد الشخوص عن شخصية أخرى ويقدم حكماً أخلاقياً عليها، وهذه الطريقة أفضل من السابقة، لأنها تجعل المؤلف مختفياً وراء ستار دون أن يظهر تدخله في سير الشخوص.

---

[1]- حكاية جاد الله، ص ٥ .

[2]- أبو شريفة وقزق، مدخل إلى تحليل النص الأدبي، ص ١٣٥.

[3]- غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، ص ٥١٥ .

٢. الكشف : وفيها لا يقدم القاص كل شيء، وإنما يترك عبء استنتاج صفات تلك الشخصية من أقوالها ومواقفها المختلفة في القصة، ويفضل الكتاب المعاصرون هذه الطريقة على الأولى . ومن الممكن دمج الأسلوبين وهو أمر شائع. [1]

٣. الحوار الداخلي: للقاص أن يتوسع في الأحاديث النفسية لشخصياته، ليصور بها وعيهم الباطني[2]، ويكشف للقارئ كثيراً من جوانب تلك الشخصية وخصائصها.

وللوقوف على طريقة تقديم الكاتب للشخصية ومعرفة التقنيات المتبعة في ذلك، نستعين بالمقياسين اللذين اقترحهما فيليب هامون[3] في هذا الصدد، وهما: المقياس الكمي، والمقياس النوعي، أما الأول : فينظر إلى كمية المعلومات المتواترة المعطاة صراحة حول الشخصية. وأما الثاني : فيدرس مصدر تلك المعلومات حول الشخصية، هل تقدمها الشخصية عن نفسها مباشرة أو بطريقة غير مباشرة، عن طريق التعليقات التي تسوقها الشخصيات الأخرى، أو المؤلف، أو فيما إذا كان الأمر يتعلق بمعلومات ضمنية يمكن أن نستخلصها من سلوك الشخصية وأفعالها. وتكمن أهمية هذين المقياسين في كونهما يجنباننا الدخول في متاهات الفصل والتمييز على أساس غير دقيق، مما يترتب عنه الالتباس والغموض الذي يلحق دراسة

---

[1]- أبو شريفة وقزق، مدخل إلى تحليل النص الأدبي، ص ١٣٥- ١٣٦ .

[2]- غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، ص ٥١٥.

[3]- فيليب هامون : لم أجد ترجمته في كتب الأعلام.

الشخصيات كما في التحليلات التقليدية، فاستعمالنا للمقياس الكمي، يمكننا من إدراك الأبعاد الدالة والوضع الحقيقي الذي يتخذه هذا المكون الأساسي ضمن البنية الروائية، كما يتيح لنا العمل بالمقياس النوعي التعرف على أشكال التقديم الذي تكون في أصل المعلومات التي تمدنا بها الرواية عن شخصية ما.[1]

تصنيف الشخصيات :

يعد تصنيف الشخصية الروائية حاجة لا بد منها لمعرفة مرتبتها بين الشخصيات الروائية والوظيفة التي تقوم بها داخل المتن الروائي، فمن خلال تصنيف الشخصية الروائية يكتمل بناؤها، ويستطيع الدارس الوقوف على عالم الشخصية وعلاقاتها مع سواها في إطار من الانسجام والتآلف حيناً، ومن التعارض والتنافر حيناً، مما يضفي على الرواية طابعاً إنسانياً، قلما تحققه لها العناصر الأخرى.[2] وبما أن بحثي هذا يتناول بالدراسة الشخصيات في روايات نجيب الكيلاني فيكن دراسة تصنيف الشخصيات أكثر أهمية وضرورة.

إن موضوع تصنيف الشخصيات موضوع واسع، وكثير التشعبات، فبالنظر إلى ما ترمز إليه الشخصيات أو ما تهدف إليه فبإمكاننا أن نقسم الشخصيات إلى شخصيات خيرة وشخصيات شريرة.

---

[1]- بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص ٢٢٤ .

[2]- المصدر نفسه، ص ٢٦٧.

والتصنيف الآخر مرتبط بتحول أو ثبات الشخصية في مواقفها أو سلوكياتها على ما هي عليه من أول الرواية إلى آخرها، فتُقسَّم الشخصيات على هذا الأساس إلى شخصيات ثابتة وشخصيات نامية.

وهناك تصنيف ثالث بالنظر للخصائص المميزة والصفات الخاصة أو العامة والمشتركة للشخصية فتُقسَّم الشخصيات حينئذٍ إلى شخصيات إنسانية و نماذج إنسانية.

وتصنيف رابع بالنظر إلى دور هذه الشخصيات ومشاركتها في الأحداث أو حجم المساحة التي تحتلها في الأهمية بين الشخصيات كلبنةفي بناء القصة، فبإمكاننا أن نقسم الشخصيات إلى شخصيات تأخذ دور البطولة في الرواية أو شخصيات رئيسة أو شخصيات ثانوية .

وسأتطرق لكل تقسيم من هذه التقسيمات على حدة لتوضيحه وتبيينه. وسأتبع نفس هذا الترتيب الذي ذكرته الآن .

١. الشخصيات الخيِّرة والشرِّيرة :

تنقسم الشخصيات إلى قسمين : شخصيات خيرة، نقية كل النقاء، وشخصيات شريرة، شديدة القتامة، وليس هناك فرق كبير بين الشخصيات الرئيسة وبين الشخصيات الثانوية التي تدور في فلكها، فالشخصيات الرئيسة الخيرة تدور في فلكها شخصيات ثانوية خيرة تضحي من أجلها، وتعينها وتنفذ إرادتها، وكذلك الشخصيات الرئيسة الشريرة تدور في فلكها شخصيات

ثانوية شريرة، تنفذ إرادة تلك الشخصيات وتساعدها في الحدود التي يسمح بها المؤلف .[1]

والشخصية الشريرة هي : "شخصية يظهرها الكاتب ميّالة نحو الشر ولا سيما نحو البطل، أو نحو الفكرة الإصلاحية التي يعالجها، وهو سلوك معادٍ لآراء جمهور الناس، ومعاكس لشخصية البطل، وقد يكون الشرير ذا مكانة مهمة في العمل الأدبي. وصفات الشرير عادة مخالفة للأعراف السائدة والخير الذي يحبه البطل، والمثالية التي يهدف الكاتب إلى إبرازها."[2]

وفي الحقيقة فليس بالضرورة أن تكون الشخصيات كلها خيرة لأن الحياة فيها الأخيار والأشرار، وليس بالضرورة كذلك أن تكون الشخصية الواحدة نفسها خيرة أو شريرة، فقد تكون خيرة في موقف وشريرة في موقف آخر، فالإنسان فيه الخير وفيه الشر وقد يتغلب الخير على الشر في موقف، ثم يتغلب الشر على الخير في موقف آخر، وهكذا تستمر الحياة، والقصة تصوير للحياة بكل ما فيها وبكل مَنْ فيها، ولعل هذا التقسيم – إلى خيرة وشريرة – عائد إلى تأثر الكتاب بالرومانسية، فالحياة في الرواية الرومانسية أصبحت معركة بين الخير والشر، فالشخصيات بدل أن تكون واقعية أو بكلمة أخرى إنسانية فإنها غدت عند هؤلاء الروائيين : إما بيضاء أو سوداء، والشخصيات الإنسانية أو الواقعية لا تكون خيرة كلها أو شريرة كلها، غير أن ذلك كان نتيجة فرض نظام مثالي أخلاقي جامد على الحركة

---

[1]- السعافين، تطور الرواية العربية الحديثة في بلاد الشام، ص ١٠٤-١٠٥ .

[2]- التونجي، المعجم المفصل في الأدب، ج ٢ ، ص ٥٤٩ .

الفعلية للسلوك الإنساني وتعقيداته.[1] فعلى الكاتب أن يكون متزناً في تقديم شخصياته، فالشخصية القصصية يجب أن لا تكون خارقة تتحدى الواقع وتتجاوزه، ولا هزيلة تنحط عن الواقع وتنكمش عنه، بل يجب أن تكون مزيجاً من الخير والشر كالشخصيات العادية التي نراها في حياتنا اليومية، أو نكتشفها في ذواتنا.

وعلم النفس الحديث لا يقرُّ هذا الفصل الصارم بين الشخصيات، فليس ثمة شخصيات بيضاء محض، ولا سوداء محض، بل إن الشخصية الإنسانية الحية مزيج من هذين اللونين، وباختلاف نسب هذا المزيج، تختلف الشخصيات الإنسانية بعضها عن البعض الآخر.[2]

وقد ذكرنا أن الكاتب قد يستخدم بعض شخصياته ويفرض عليها مواقفه فرضاً، فالشخصية التي تتحدث بلسان المؤلف حديثاً مباشراً فهي تعبر عن أفكاره ومواقفه الأخلاقية والتربوية الإصلاحية، فلا تقنعك بأنها تحيا حياتها الخاصة بحرية، ولا تقنعك بجدية ما تقول، فالشخصية الخيرة هي وسيلة في فرض ما يرى وما يعتقد، والشخصية الشريرة هي مجال كل القيم السيئة التي يندد بها أو يدعو إلى التخلص منها.

وقد يحدث تحول في موقف الشخصية الشريرة وهذا مفروض بطبيعة الحال من وجهة نظر المؤلف ليحقق موقفه الاجتماعي من شخصيات

---

[1]- انظر : السعافين، تطور الرواية العربية الحديثة في بلاد الشام، ص ١٠٥.

[2]- نجم، فن القصة، ص ١٠٧.

الرواية. وهذا التحول عادة لا يأتي نتيجة لصراع واضح بين عوامل الخير وبين عوامل الشر في أعماق الشخصية، بل يأتي في الأغلب الأعم بسبب إدراك الشخصية الشريرة أن كل الفرص المتاحة لمتابعة دور الشر قد تجاوزتها، ولم يعد ثمة مجال للتردد في الاتعاظ والاعتبار بما تعاقب من أحداث، حيث تبدو حتمية الهزيمة سواء بدت في المصالحة مع المجتمع أم في الانتماء.[1]

فـ"عادل" في "رجال وذئاب" عندما سُجن "ظل يستعرض ذكرياته السوداء وضرباته الظالمة ضد العدو والصديق على حد سواء.. إنه يعترف بينه وبين نفسه أن هذه التصرفات هي جريمته الحقيقية، وليست تلك الشبهات السياسية الفارغة التي أتت به إلى هنا، يبدو أن الله قد أراد أن ينتقم منه بنفس الأسلوب، فحرّك فئة من زملاءه في المنظمة والحزب كي يسطّروا التقارير ضده، فيقع فيما أوقع فيه غيره من مآزق .. إن ما مضى قد مضى ولا حيلة له في محو الرذائل التي صنعها بحقده وغبائه.[2] ثم عندما خرج من سجنه عاد ثانية إلى ما كان عليه من قبل.[3] فلم يكن هذا الندم – إذا جاز التعبير – إلا لضغط السجن عليه، ولم يكن لتغيير فعلي في شخصيته أو أخلاقه.

---

[1]- السعافين، تطور الرواية العربية الحديثة في بلاد الشام، ص ١١٠ .

[2]- رجال وذئاب، ص ٢٠٥ .

[3]- المصدر نفسه، ص ٢٦٩ .

وهذا يختلف عما سنتعرف عليه بعد قليل من التغيير الذي يصيب بعض الشخصيات.

وفي الحالة السابقة تأتي الشخصية الخيرة والشريرة كلتاهما خدمة لتنفيذ أفكار الكاتب ومعتقداته ورغباته، ولا تعدو الشخصيات والحالة هذه أن تكون دمى في يد المؤلف يحركها كيف يشاء. مما أدى إلى أن تنتهي الرواية – في بعض الأحيان – بتغيّر في بعض الشخصيات دون مسوغ كافٍ، فجاء التغير دون تمهيد معقول مما يؤكد الانطباع بأن الشخصية لم تكن تلقى العناية اللازمة من المؤلف، لأنها وسيلة رخيصة للتعبير عن أفكاره.[1]

فرئيس التحرير في رواية "رأس الشيطان" يقول لـــ"ضياء" و"صفاء" عندما قدما استقالتهما من الجريدة :"ما هذا الذي تفعلان؟.. أنا لم أفكر في هذا .. أنت ابنتي يا صفاء .. وأنت ابني يا ضياء .. أليس من الجحود أن تتمردا على أبيكما المريض؟ إننا نبدأ عهداً جديداً وعفا الله عما سلف، وسأترك لحكمتك وعقلك وتقديرك للمسؤولية حرية التصرف في أمر الجريدة منذ الآن يا دكتور ضياء .. خذا هذه الأوراق، يجب أن تمزقاها..[2]

وهذا يدفعنا إلى الانتقال إلى التصنيف التالي المتعلق بتحول أو ثبات الشخصية في مواقفها أو سلوكياتها على ما هي عليه من أول الرواية إلى آخرها.

---

[1]– السعافين، تطور الرواية العربية الحديثة في بلاد الشام، ص ١١٣ .

[2]– رأس الشيطان، ص ١٥٣ .

٢. الشخصية الثابتة والشخصية النامية :

الشخصية الثابتة أو الشخصية المسطَّحة كما سماها د. يوسف نجم[1]، وفيها تبنى الشخصية عادة حول فكرة واحدة أو صفة لا تتغير طوال القصة، فلا تؤثر فيها الحوادث، ولا تأخذ منها شيئاً. فهي تبقى على حالها منذ بداية القصة حتى نهايتها، كأنها حجارة الشطرنج، لا تختلف طبائعها وأدوارها بتطور اللعب.[2]

والشخصيات الثابتة أو المسطحة لها فائدة كبيرة في نظر الكاتب والقارئ، فمما يسهل عمل الكاتب دون شك، أنه يستطيع بلمسة واحدة أن يقيم بناء هذه الشخصية، التي تخدم فكرته طوال القصة، وهي لا تحتاج إلى تقديم وتفسير، ولا إلى فضل تحليل وبيان.

وأما القارئ فإنه يجد في مثل هذه الشخصيات بعض أصدقائه ومعارفه الذين يقابلهم كل يوم، كما أنه من السهل عليه أن يتذكرها ويفهم طبيعة عملها في القصة، فتكون بهذا كالمحطات التي يقف عندها بين الفينة والفينة، لكي يقدر مدى ما قطعه من مراحل الطريق.

أما الشخصية النامية أو المتحولة : فهي التي تتكشف لنا تدريجياً خلال القصة، وتتطور بتطور حوادثها، ويكون تطورها عادة نتيجة لتفاعلها المستمر مع هذه الحوادث، وقد يكون هذا التفاعل ظاهراً أو خفياً، وقد ينتهي بالغلبة أو بالإخفاق. والمحك الذي تُميز به الشخصية النامية، هو قدرتها

---

[1]– نجم، فن القصة، ص ١٠٣.

[2]– انظر : المصدر نفسه.

الدائمة على مفاجأتنا بطريقة مقنعة، فإذا لم تفاجئنا بعمل جديد أو بصفة لا نعرفها فيها، فمعنى ذلك أنها مسطحة، أما إذا فاجأتنا ولم تقنعنا بصدق الانبعاث في هذا العمل المفاجئ، فمعنى ذلك أنها شخصيات مسطحة تسعى لأن تكون نامية.[1]

٣. الشخصية الإنسانية والنماذج البشرية :

إن الشخصية الإنسانية في الرواية والنماذج البشرية قد تختلط عند بعض الدارسين ولنبدأ بتعريف كل منهما، ثم لننتقل إلى الأسباب التي تؤدي لهذا الاختلاط.

الشخصية الإنسانية لها مشخصاتها الدقيقة، وخصائصها المميزة، وقسماتها الفارقة، وبهذا تختلف عن سواها من الشخصيات. أما النموذج البشري فهو تجسيم مثالي لسجية من السجايا، أو لنقيصة من النقائص، أو لطبقة أو مجموعة خاصة من الناس، وهو يحوي جميع صفاتها وخصائصها الأساسية. وهي تسمى أيضاً "الشخصية النَّمَطِيَّة، أو الشخصية الجاهزة، وهي شخصية لا تكون أساسية في العمل الأدبي، ولكنها معروفة بنمط معين عُرفت به، وجاهزة لأداء دورها المعين، ويشترط في الشخصية النمطية ألا تكون رئيسية أو ذات دور فعال، ويحسن أن تتشبه بشريحة اجتماعية، وتمثل شخصية نابعة من المجتمع.[2]

---

[1]- انظر : نجم، فن القصة، ص ١٠٤.

[2]- التونجي، المعجم المفصل في الأدب، ج٢ ، ص ٥٤٧ .

ومن روايات الكيلاني التي حوت شخصيات نموذجية :"دم لفطير صهيون" و"كاميليا" هي تلك الشخصية النموذجية للمرأة اليهودية، فيقول نجيب الكيلاني :"إن كاميليا مثلاً لم يقصد بها سوى إبراز التناقض الحاد، والعفن الاجتماعي، والاضطراب العاطفي، الذي تفرزه التعاليم الزائفة المستقاة من شروح التلمود، وتعززه القيم الفاسدة التي درج عليها المجتمع اليهودي، بما يسيطر عليه من جشع وأنانية ومادية مفرطة.. كاميليا رمز حيوي متحرك، وتجسيم لمأساة الضلال اليهودي القديم، وصورة صادقة للعقد النفسية، التي ينضح بها التاريخ الطويل لملة أصابها الزيف والشطط عبر العصور."[1]

وكذلك صورة الأم الحنون في القرية المصرية، والأب الفلاح الفقير الذي يقضي حياته يعاني فيها الفقر والمرض والديون، وذلك كثير الوضوح في روايات "الذين يحترقون" و"في الظلام" و"أهل الحميدية".

ومن الأسباب التي تؤدي إلى الاختلاط بين الشخصيات الإنسانية والنماذج البشرية ما يلي :

١. محاولة وصف الشخصية الإنسانية ببعض الخصائص النموذجية، أو المثالية في نوعها فقط. مثل "كساب" فقد كان نموذجاً بشرياً عندما وُصِف كمجرم قاتل، إلا أنه كان في حقيقة الأمر – وهذا ما ظهر

---

[1]– انظر التذييل في آخر الرواية " دم لفطير صهيون".

بعد ذلك – شخصية إنسانية تحوي مشاعر الطيبة والندم والرقة التي تخالف ما يعرفه الناس عن مثل هؤلاء المسجونين.

٢. يستعيض الكاتب أحياناً عن الشخصية ببعض الصفات الخلقية المجردة التي تمثل الجوانب الواضحة منها، كرقة القلب والشفقة والحنان وحسن الطوية، أو الخبث والخسة واللؤم والمكر. من ذلك شخصية "الخواجة يني" في رواية "الطريق الطويل".

٣. مبالغة الكاتب في تخطيط الشخصية، حتى يتخطى بها حدود الطبيعة الإنسانية، إلى "الكاريكاتور" أو الشخصيات المضخمة، فهو يبالغ في تحديد بعض الصفات، ويجسم بعض الملامح الفارقة، ويبرز بعض العيوب المميزة، مما ينأى بالشخصية عن الصدق والواقع.[1]

والمعرفة الواسعة لمختلف الشخصيات الإنسانية، ضرورية جداً للقاص الذي يسعى إلى رسم شخصيات صادقة حية. وإن حدود رسم الشخصية القصصية لا تقتصر على النطاق الذي تجول فيه الملاحظة المباشرة، أو على المعلومات التي تنحدر إلى الكاتب من مصادره الثانوية، بل تعتمد أيضاً اعتماداً كبيراً على إدراكه لإمكانيات الشخصية الإنسانية ولطاقاتها الكامنة وهذا الإدراك يتوقف على فهمه لشخصيته، وقدرته على استبطانها، والفطنة إلى أحاسيسها الداخلية.[2]

---

[1]– نجم، فن القصة، ص ١٠٦–١٠٧.

[2]– المصدر نفسه، ص ٩٢ .

ويتضح عيب هذا النوع من القصص إذا اقتصر على إبراز الصفات المشتركة بين الفرد وبيئته أو طبقته، لاتخاذه نموذجاً لها، دون النفاذ إلى خصائص الفرد التي يتميز بها عمن سواه، حتى أهل طبقته الاجتماعية نفسها، وإذا أهمل المؤلف في الكشف عن هذه الخصائص جاءت شخصياته نماذج عامة لا حياة فيها.[1]

والأحدث أن يقصد المؤلف إلى الكشف عن الخصائص المميزة لكل فرد عمن سواه، وفي هذا الاتجاه يسبر المؤلف الأغوار النفسية للإنسان، ومسلكه من بيئته ومجتمعه، ومطالبه في موقف معين.. ولم يعد همُّ الكاتب القصصي محصوراً في رسم نماذج بشرية للوصولي أو الطموح أو البخيل أو رجل الدين في فترة ما، إذ أن مثل هؤلاء – إذا أُخذوا نماذج – تفسر أعمالهم كلها على هذا النمط، كأنها محكومة بعاطفة واحدة أو نزعة واحدة. وفي هذا يتشابهون مع من سواهم، ولكن الأمر في الفرد أكثر تعقيداً في دوافعه، وأكثر حيوية في اتجاهاته، حتى ليستعصي تفسير جوانبه في بساطة ويسر، فهو مخلوق من لحم ودم، له نشأته ووراثته وأمراضه النفسية الخاصة، قادر على القيام بكثير من أعمال الخير والشر معاً، يتوقع المرء منه كل شيء، ويخاف منه ويأمل فيه كل أمر، ولا يتناقض هذا الاتجاه مع قصد المؤلف إلى الكشف عن قضايا وآراء اجتماعية من خلال التصوير الدقيق لأحوال الفرد.[2]

---

[1]- غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، ص ٥٠٨ .

[2]- المصدر نفسه.

٤. الشخصيات الرئيسة والشخصيات الثانوية :

الشخصية الرئيسة هي الشخصية التي يدور عليها محور الرواية، وليس شرطاً أن تكون بطل العمل الأدبي، إنما يُشترط أن تقود العمل الأدبي، وتحركه بشكل لولبي تظهر فيه. وقد يكون البطل في العمل مؤدياً دوراً غير محوري، بينما شخصية ثانوية أو شبه ثانوية هي الرئيسة، وقد تكون الشخصية الرئيسة تابعاً للبطل أو خصماً له.[1]

والشخصية الثانوية تأتي في المرتبة الثانية في الرواية وهي دائماً بسيطة وواضحة، وتأتي غالباً تحتفظ بصفة واضحة تطغى على صفاتها الأخرى، وكثيراً ما يُوَفَّق الكاتب إلى نفخ الحياة في شخصياته الثانوية، وذلك لأنه يقتبسها من الحياة رأساً دون أن يُعنى بتهذيبها أو صقلها أو الإضافة إليها.[2]

وهذه التصنيفات ستكون هي الدليل لنا في الفصول القادمة في تناولنا للشخصيات في روايات نجيب الكيلاني سواء الرئيسة أو الثانوية.

هل هناك دلالة للتسمية للشخصيات الروائية ؟

قد يعول بعض الروائيين أهمية كبيرة على الاسم في إبراز الشخصية وتجميلها من المعاني والدلالات على ما يريدون التعبير عنه في ثنايا الرواية.

---

[1]- التونجي، المعجم المفصل في الأدب، ج٢ ، ص ٥٤٧ .

[2]- نجم، فن القصة، ص ١٠١ .

وإذا كانت العناوين إرهاصاً بالمقاصد، كما هو الحال بالنسبة لمعظم عناوين الروايات العربية عامة، فإن أسماء العلم التي يخلعها الروائي على شخصياته، تجسد أيضاً هذه الفكرة بوضوح، إذ ثمة علاقة وثيقة – في كثير من الأحيان – بين الاسم والشخصية، لأن دلالة الاسم غالباً ما تحدد طباع الشخصية وصفاتها، أو مستواها الاجتماعي أو ما يمكن أن تقوم به في سياق الحدث الروائي، وهذا يعني أن اختيار الروائي لأسماء شخصياته الروائية، غالباً ما يخضع للتأمل والتفكير والتدقيق لتكون متناسبة ومنسجمة بحيث تحقق للنص مقروئيته وللشخصية احتماليتها ووجودها. ومن هنا مصدر ذلك التنوع والاختلاف الذي يطبع أسماء الشخصيات الروائية.[1]

هناك اتجاهات للتسمية للشخصيات الروائية:

١. الأسماء التقليدية: وهي إما تكون مستمدة من نسق ديني . أو أسماء مرتبطة بالحياة الواقعية المعاصرة التي تحمل دلالات تشي بطبيعة الشخصية، أو مستواها الاجتماعي ومكانتها أو ببعض صفاتها، مثل: أسماء سائدة في مجتمعات شعبية أو أسماء منتشرة في الأوساط الاجتماعية عامة ولا سيما الأوساط المتوسطة والبرجوازية.

٢. قد يلجأ الروائي إلى تسمية بعض شخصياته بأسماء رمزية دالة ومنتقاة بدقة لتفصح عما يريد أن يقوله من خلالها. وتتكشف دلالاتها في سياق الرواية وأحداثها، فإن النظرة الشاملة المتأنية إلى تلك

---

[1]– بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص ٢٤٧ .

الأسماء، ومدلولاتها وأنواعها من حيث لفظها، تُظهر مدى ارتباطها بحامليها، وانسجامها مع الكثير من صفات هذه الشخصيات. وتبرز أيضاً التنوع في اختيارها، وتؤكد صفة الانتقائية والدقة في اعتماد أكثرها. ويجيء ذلك كله استجابة لدواعي الضرورة الفنية في تقديم الشخصية، بأقصى ما يمكن من الوضوح والتحديد والتمييز، فيكون الاسم مكملاً لجملة التقنيات الفنية المتبعة في سبيل تحقيق تلك الغاية.

وقد يُسنَد الاسم إلى نسبته أحياناً بغية الإيهام بواقعية الشخصية وإلقاء المزيد من الضوء لكشف جوانبها، وقد يكون ذلك بسبب تعدد الشخصيات الروائية ومن ثم تَعَقُّد البنية الروائية فيلجأ الكاتب إلى تسمية شخصياته بأسمائها الكاملة لتمييزها داخل الرواية.[1]

فمن ذلك "نور" في "عمالقة الشمال" فكان الاسم يعكس الضد تماماً للفعل والسلوك الذي كان عليه حامله، فهو أسود القلب مظلمه، فلم ينفعه ذلك الاسم فكان عميلاً للسلطة، خائناً لأمته وأهله. فكأن الكيلاني أراد بهذا التناقض أن يزيد من كراهية واشمئزاز القارئ من هذه الشخصية وسلوكياتها وأفعالها، فاختار لها اسماً يخالف فعلها تماما ويعاكسه.

وفي "رجال وذئاب" اختار الكيلاني اسم "فضيلة" لكي يزيد من إيضاح الفرق بين "فضيلة" ابنة الشيخ عالم الدين "علام العيسوي" التي كانت حسنة

---

[1]- الشامي، المرأة في الرواية الفلسطينية، موقع أدباء الشام على الانترنت.
www.odabasham.net

الأخلاق، وبين "نادية عبد الباقي" التي لها علاقات مشبوهة مع كثيرين. فجاء الاسم مناسباً تماماً لحاملته، ويؤكد صفاتها وينسجم معها.

وكذلك في رواية "رأس الشيطان" فقد اختار الكيلاني لبطلي القصة "صفاء" و"ضياء الدين" فكأنه أراد أن يؤكد على الصفاء والضياء الذي يرجوه للأمة بعد تخلصها من الاستعمار. وهو الهدف نفسه الذي يسعى إليه كلاهما "صفاء" و"ضياء".

وكذلك "رحاب" و"راضي" فهناك نوع من التآلف بينهما انعكس على انسجامهما معاً وثباتهما- عندما سجنا وعُذِّبا- على نفس مبادئهما في مقابل الاهتزاز الذي أصاب صديقهما "عبد المغيث"، ثم توج ذلك بزواجهما.

وفي رواية " ليل وقضبان" اختار الكيلاني اسم "فارس" للسجين القاتل، فكأنه يلمح أنه فارس الأحلام لزوجة مدير السجن، وهو الفارس الذي أثار غيرة الضباط والسجانين للاهتمام الذي حصل عليه وهو السجين القاتل، ولم ينالوا منه شيئاً وهم الضباط المرموقين، وهذا يظهر في ثنايا كلامهم وتغامزهم عليه.

وهناك "تعويرة" وهو رجل يتاجر بالمخدرات وهو فاقد لإحدى عينيه، ولعل هذا الاسم أُطلق عليه كلقب له لفقده عينه، ولم يُذكر اسمه الأصلي.[1]

[1]- في الظلام، ص ٨٨.

إن في اختيار الكيلاني لأسماء أهل القرية انسجام ونوع من التوافق فهناك : "خضرة"[1] و"الشيخ عنبة" و"خفاجة"[2]. و"الشيخ بسطويسي" و"حميدة"، و"نهيرة".[3] وهناك أسماء الفاكهة أو ما يرتبط بالنبات والزراعة مثـــل: "رمانة"[4] و"تفاحة"[5] و"براعم"[6] وهناك أيضاً "بدرية"[7].

فإذن : الشخصية لها دور فعال ومهم في الرواية، ولها تقسيمات وتصنيفات متعددة بحسب أمور كثيرة متعلقة بها، منها ما يرتبط بالشخصية الرئيسة ومنها ما يرتبط بالشخصية الثانوية، وللأسماء التي يطلقها الكاتب على شخصياته أيضاً دور مفيد، ويساعد في دراسة الشخصية، والفصل القادم سيكون عن الشخصيات الرئيسة في روايات نجيب الكيلاني. وعلى ضوء ما ذكرناه في هذا الفصل ستكون دراستنا للشخصيات الرئيسة في الروايات التي هي محل الدراسة.

---

[1]- زوجة الشيخ حافظ في رواية "الطريق الطويل".

[2]- النداء الخالد .

[3]- الطريق الطويل .

[4]- أم عبد المتجلي في رواية "اعترافات عبد المتجلي".

[5]- أم عبد المغيث في رواية "أهل الحميدية".

[6]- بطلة الرواية في "ملكة العنب".

[7]- أخت عبد المتجلي في "اعترافات عبد المتجلي".

الفصل الثاني : شخصيات رئيسة في روايات د. نجيب الكيلاني

بما أن الشخصية بشكل عام لها دور فعال في الرواية كما رأينا في الفصل السابق، فمن الطبيعي أن الشخصية الرئيسة بالذات لها الدور الأكبر والأهم، وهذا لا يمنع من أن هناك بعض الشخصيات الثانوية غير الرئيسة احتلت أماكن مهمة من الرواية إلا أن الشخصية الرئيسة كان لها دائماً الصدارة والمنزلة الأهم، ولذلك نرى أن اهتمام الكاتب بتنسيق جوانب هذه الشخصية واختيارها من شخصياته الأخرى كبير، لأنها ستتحمل مسؤولية نجاح العمل الروائي كله.

انسجام الشخصية مع أفكار الكاتب أو تناقضها:

قد تكون تلك الشخصية تنسجم مع أهداف الكاتب وأفكاره وما يدعو إليه، وقد لا تكون كذلك. فقد تأتي الشخصية الرئيسة تخالف تماماً ما يدعو إليه الكاتب، وفي المقابل سنرى شخصية رئيسة أخرى تقوم بالدفاع عن أفكار الكاتب وتنسجم مع أهدافه.

ونأخذ لذلك مثالين اثنين : الأول هو "عادل" في رواية "رجال وذئاب" ويقابله "فضيلة و"رشدي". والثاني: "عطوة الملواني" في رواية "رحلة إلى الله" ويقابله "نبيلة" و"د. سالم".

ونبدأ بشخصية "عادل" في رواية "رجال وذئاب" وهي الشخصية الرئيسة الأولى في هذه الرواية، و"عادل" طبيب امتياز يعيش في سكن الأطباء، في

البداية كان قلبه يبكي مع هؤلاء التعساء المتألمين - يقصد المرضى-... لكنه بعد أيام أخذ يستقبل الأمر بحياد.. حياد العالم الذي يحلل ويفكر فيما يجب عمله، ثم تحول الحياد إلى برود تام.. كان الحياد يتميز بقدر غير قليل من القلق .. نعم فهو يبحث عن القرار الصحيح، لأن الخوف من التشخيص الخاطئ يزعج المحايدين .. وأخيراً لم يعد يكترث حتى بالخطأ إن حدث، لذا فقد أصبح يأكل جيداً، وينام في أي وقت يلقي بجسده فيه على السرير.[1]

وهو كما يذكر الكيلاني "كالمادة الهلامية التي تتخذ في كل موقع شكلاً جديداً"[2]، فلم يكن له أي اهتمام بشيء سوى ما يكون سبباً في حصوله على منزلة اجتماعية أعلى، أو امتيازات مادية تضمن له حياة مستقرة ينفق كيف يشاء على شهواته ورغباته، بدون إحساس بالذنب أو التوقف للتفكير في مبادئ أو أخلاق أو مُثُل.

وفي المقابل نرى "رشدي" و"فضيلة" وهما شخصيتان رئيستان على العكس من ذلك تماماً. وكانت تلك الشخصيتان تقومان بالدور الإيجابي الخيِّر المقابل للدور السلبي الشرير الذي يقوم به "عادل". فـ"رشدي" مثلاً كان مشابهاً لـ"عادل" من الناحية الاجتماعية، فقد كان كلاهما فقيراً، يأخذ إعانة حكومية لتساعده في إكمال دراسته، وكلاهما درس ليصبح طبيباً ناجحاً، إلا أن معتقدات كل منهما على طرفي نقيض، فـ"رشدي" يستمد أخلاقه ونظرته للمجتمع من نظرة الإسلام وقيمه، وهو متسامح، صبور، مخلص في نصائحه، محب للخير

---

[1]- رجال وذئاب، ص ٥.

[2]- المصدر نفسه، ص ١٢٨.

لجميع الناس من حوله، راضٍ بما قسم الله له، وهذا يظهر في استسلامه حين اختارت "فضيلة" "عادلاً" زوجاً لها فوافقت على خطوبته مع تيقنه بأن "عادلاً" لا يصلح لها زوجاً لخسته ونذالته التي أصبح الكثير ممن حوله يتداولونها ويتناقلونها، ثم في السجن حين صبر على صعوبات السجن، والتعذيب بدون ذنب جناه، بل كان ذلك بسبب وشاية من "عادل"، في حين كان "رشدي" دائم الصبر عليه، ودائم الأمل بأن حاله سينصلح ولو بعد حين.[1]

أما "فضيلة" فهي أيضاً لها دور هام في جانب الخير في هذه الرواية في مقابل دور "عادل"، فهي تلكأت في البداية، وقام صراع في نفسها لقبوله أو رفضه، لكن انتصر جانب العقل والقلب في النهاية حين عرفت كثيراً مما خفي عليها من أخلاقه، أو مما كانت ترفض تصديقه عندما يحاول أحد أن يخبرها به، وكانت في نهاية الرواية قد استقر بها الأمر، وأثبتت سمو الأخلاق والمبادئ التي غرسها فيها أبوها، العالم الديني الذي كان له الأثر الأكبر في تكوين فكر وأخلاق "رشدي"،[2] ليلتقيا في آخر الرواية جنباً إلى جنب ليأكدا أن جانب الخير هو المنتصر مهما طال الزمان أو قاسى الإنسان في سبيل نيله.

المثال الثاني هو : "عطوة الملواني" والكيلاني في هذه الشخصية يرمز كما ذكر لـ"حمزة البسيوني" الذي كان يترأس السجن الحربي في زمن حكم "عبد الناصر" وقد أذاق الإسلاميين ألواناً من التعذيب، وكان يتفنن به ويتلذذ

---

[1]- رجال وذئاب، ص ٥٤ و ٨٨ و ٩١ و ٢٣٦ .

[2]- المصدر نفسه ، ص ١٠٩ و ١٢٩ و ٢٣٣ .

وهو يمارسه[1]. وقد أراد الكيلاني أن يثأر لكثير من هؤلاء المسجونين الإسلاميين، فكتب هذه الرواية انتقاماً من "حمزة البسيوني" معطياً إياه اسم "عطوة الملواني".

وفي المقابل كانت "نبيلة" خطيبته التي ما كانت تعلم عنه غير أنه مدير للسجن وله مركز مهم في الحكومة[2]، ولكنها عندما دخلت السجن بسبب خدعة منه[3]، تغيرت نظرتها له وللمجتمع وللدنيا كلها[4]، وبدأت البحث والعمل حتى استطاعت أن تقوم بخداعه والهرب منه إلى بلد عربي استطاعت هناك أن ترتب أمورها، ثم انطلقت تفضح أعماله وأساليب المخابرات المصرية في تعاملها مع الجماعات الإسلامية المخالفة لها، وكان من ساعدها في ذلك "د. سالم" وهو ساعدها أولاً في اجتازها لأزمتها النفسية التي دخلت بها بسبب ما رأته من معاناة وتعذيب في السجـن[5]، ثم في شرحه لمبادئ الإسلام وأحكامه

---

[1]- الرواية كاملة هي تصوير واقعي لما كان يحدث في سجون مصر في ذلك الوقت ويعتبرها بعض الكتّاب تسجيل تاريخي لتلك الفترة من داخل السجون والمعتقلات.

[2]- رحلة إلى الله ، ص ٧٤ .

[3]- اتفق عطوة مع زميل له أن يرسل بعناصر من المخابرات لاستدعاء نبيلة إلى السجن وتركها فيه ليوم كامل، وذلك محاولة منه أن يريها قيمته ومنزلته في السلطة، وذلك بأن ذهب بنفسه لإخراجها من السجن في حركة تمثيلية كأنه الفارس المنقذ، فكان أن رأت نبيلة ما في السجن من ويلات وكان ذلك سبباً في حدوث انقلاب كبير في حياتها. انظر : المصدر نفسه، ص ٦٢ و ٢٣١ .

[4]- المصدر نفسه ، ص ٣٨٣ .

[5]- هي شاهدت ذلك يقع على المسجونين فقط ولم ينلها منه شيء .

ورأيه فيما يحصل من تجاوزات وظلم، ثم في معاونتها في استصدار جواز سفر لها بدون علم "عطوة" وسفرها إلى الخارج للالتقاء بأصدقاءٍ يعرفهم هناك، استطاعوا مساعدتها والوقوف إلى جانبها في بداية وصولها لهذا البلد الغريب[1].

وهكذا فإن الشخصيات في روايات نجيب الكيلاني تتعاون مع بعضها، وتمشي جنباً إلى جنب، لتكون لنا بناءً فنياً محكماً، ينقل الكاتب لنا ما يريد من أفكاره بقالب جميل مقنع، وهذه الشخصيات كما ذكرنا قد تكون توافق أفكار الكاتب أو تخالفه، فكلاهما يستفيد منهما الكيلاني ويستخدمهما في التعبير عن أفكاره وخدمة أهدافه.

التشابه في حدود بعض الشخصيات في روايات نجيب الكيلاني:

في روايات نجيب الكيلاني هناك أمر تبين لي بعد قراءة العدد الأكبر من رواياته، (فالمتوفر لدي ثلاثون رواية من مجموع أربعين رواية كانت نتاج الكيلاني الروائي تقريباً) وهذا الأمر هو أن هناك تشابهاً واضحاً في رسمه لبعض شخصياته المتفرقة هنا وهناك في رواياته، فهناك مثلاً "عادل" في "رجال وذئاب" يشابهه بشكل قوي "نور" في "عمالقة الشمال".
ومن هذه الأمور المشتركة ما يلي :

١. **الفقر الشديد ثم الحقد والكره لغيره بسبب الفقر:** فكل واحد منهما نشأ فقيراً، فـــ"عادل" قابل "رشدي" في مركز تقديم الإعانة المادية للطلاب

---

[1]- رحلة إلى الله ، ص ٤٥٠ .

الفقراء وكان شديد الحرج من أن ينكشف أمره، فنراه قد اتخذ موقفاً عدائياً من "رشدي" منذ ذلك الوقت لأنه اكتشف سره الدفين الذي حاول إخفاءه طوال فترة دراسته، ثم تنقل في مراحل جعلته يصل إلى مرتبة لها قيمة في الحكومة التي كانت تذيق الإسلاميين العذاب، فكان من أدوات تلك الحكومة القذرة، وقد ظهر العداء والحقد من طرفه حتى أنه كتب تقارير قدمها للمخابرات بعد ذلك كانت السبب في إدخال "رشدي" للسجن.[1]

وكذلك فعل "نور" فقد حاول "عثمان" إعطائه بعضاً من المال عندما اعتذر له عن مرافقته في سفرته للجنوب، إلا أنه رفض بشدة[2] وكان هذا الأمر من أهم الأسباب في حقد "نور" على "عثمان" وكرهه له، فكان أن وشى به بعد ذلك عندما أصبح عميلاً للمخابرات، وكانت وشايته تلك هي السبب في سجن "عثمان" وكثيرٍ من إخوانه.[3]

وكان قد قال عن نفسه عندما جاء ليخبر "عثمان" أن صاحب المحل الكبير في المدينة الذي يعمل عنده قد طرده :" لقد فُصلت من عملي الحكومي مرتين وطُردت من مصانع الزيوت في الشرق .. ولم أستطع أن أقضي أكثر من عام في المناجم .. إنني لا أطيق البقاء في مكان واحد فترة طويلة .."[4]

---

[1]- رجال وذئاب، ص ٧٦ .

[2]- عمالقة الشمال، ص ٢٤ .

[3]- المصدر نفسه ، ص ٨٧ .

[4]- المصدر نفسه ، ص ١٥ .

٢. **تجربة السجن**: المرحلة الثانية في هاتين الشخصيتين المتشابهتين هي سجنهما : فقد سُجن "عادل" بسبب صراعات في حزبه وتصفية حسابات فيما بينهم، فسجن وعُذب وكان رفيقه في السجن هو "رشدي" الذي كان "عادل" هو السبب في سجنه، بينما نرى أن "رشدي" كان في المقابل سبباً في التخفيف عن "عادل" وتسليته والترفيه عنه، والصبر على فقدانه لأعصابه في كثير من الأحيان.[1]

وكذلك "نور" فكان "عثمان" هو من وقف بجانبه وآزره وتفهم حزنه ويأسه، وناقشه بهدوء ليصل معه إلى فترة مؤقتة من السكينة والراحة[2] التي ما لبثت أن تلاشت بسبب عدم قدرة "نور" على الثبات والصبر على صعوبات السجن والضغوط النفسية التي يقاسي منها السجناء وخاصة السياسيين منهم، فنرى أن "عثمان" لأنه صاحب مبدأ ديني واضح مستند على عقيدة راسخة وإيمان لا يتزعزع، استطاع تحمل السجن وضغوطه واعتبره فترة مراجعة وحساب للإنسان مع نفسه، وفرصة للتفرغ للعبادة، والقرب من الله، بينما لم يستطع "نور" ذلك مع أنهما كانا يعيشان معاً في نفس الغرفة وتحت نفس الظروف القاسية، فنرى أنه بعد أن أصبح يواظب على الصلاة، انقلب ثانية وسارع في تقديم اعتذار للحكومة والتماسات كثيرة يتذلل فيها ويرجو إعادة أموره كما كانت قبل السجن.[3]

---

[1]- رجال وذئاب ، ص ٢٤٦ .

[2]- عمالقة الشمال ، ص ٩٥.

[3]- انظر : المصدر نفسه، ص ١٠٧-١٠٩.

٣. **عدم وجود عقيدة أو مبدأ خلقيٍّ يسير عليه:** و"نور" يقر بنفسه أن ليس له مبدأ محدد فهو يدور حيث تدور مصلحته فقط، فيقول :" أنا في هذه الدنيا عابر سبيل.. أقطع الطريق قهراً.. أمضي حيثما أجد لقمة العيش.. لا أسد أذني عن سماع شيء، وأهتبل الفرصة، ولا أحرم نفسي من لذة، فقد لا تتوفر لي إلا مرة، أمضي على الهامش دون ضجيج .. أرقص الإيبو.. وأغني مع اليوروبا.. وأراقص المسيحيات.. وأغوص في مستنقعات المنطقة الشرقية.. وأتوه في ظلام الغابات.. لا أخاف الموت.."[1].

فهو مرة يرقص مع الإيبو ومرة يغني مع اليوروبا[2] ومرة يغوص في مستنقعات المنطقة الشرقية، مع أن هذه الأقوام دائمة النزاع فيما بينها، ومختلفة الأهواء والمصالح، ولكنه يماشيها كلها ويداهنها لأنه ليس له مبدأ يثبت عليه أو عقيدة يدعو إليها، ويعرّج أيضاً على الوجود التبشيري في أرض نيجيريا بقوله "أراقص المسيحيات"، فهذا يدل على أنه لا يمانع في وجود هؤلاء التنصيريين بل لعله يستمتع بوجودهم لما يشجعون عليه من فساد وانحلال في المجتمع المسلم النيجيري. ثم قوله " لا أخاف الموت" فهو لا يريد التفكير في الموت، والاسترسال في شأنه لأن مَنْ فكر في الموت خاف مما هو مقدم عليه، فيعيد حسابه لنفسه ويغير من أسلوب حياته، ولكن "نور" لم يرد هذا الأمر فلم يدع نفسه تفكر في الموت لتخاف منه.

---

[1]- عمالقة الشمال ، ص ١٧ .

[2]- الايبو : قبائل في الشرق في نيجيريا ، واليوروبا : قبائل في الغرب.

وكذلك فعل "عادل" فهو واضح التذبذب، ففي السجن نراه مع "رشدي" يبدأ بتلاوة القرآن، ولم يهتم بسخرية أصدقاءه الشيوعيين، ثم سرعان ما عاد إلى ما كان عليه من يأس وكفر بكل ما فيه تمسك بمبدأ الإصلاح أو المسؤولية، وبدأ في تقديم اعتذارات والتماسات، معتمداً مبدأ أن لا مبدأ عنده إلا ما فيه مصلحته الشخصية، وليذهب الجميع إلى الجحيم، فكان أن خرج كلاهما – "عادل" و"نور"– من السجن ليكملا ما كانا فيه من التجسس وكتابة التقارير في الإسلاميين، ورعاية مصالحهما الذاتية فقط.

٤. النهاية : إلى هنا فقد كان "عادل" و"نور" في رواية "رجال وذئاب" و"عمالقة الشمال" على التوالي، متشابهين تشابهاً كبيراً، إلا أن النهاية لكل منهما قد تختلف اختلافاً يسيراً، فـ"عادل" خرج من السجن وعاد إلى عمله السابق، وعاد ليمارس حياته كما هي بدون أي إحساس بالذنب أو يقظة من ضمير، ولم يشف من غليل القارئ إلا أنه لم يستطع الزواج من "فضيلة" التي كان يعتزم الزواج بها، وكانت تخالفه في الأخلاق والسلوكيات، فلعل الكيلاني رأى أن خسارته بعدم زواجه من "فضيلة" كافية أو معادلة لما يتمناه أو يتشوق إليه القارئ في ختام روايته تلك، لما كانت تتمتع به "فضيلة" من خلق وعلم وعفاف، في مقابل خبثه وخيانته وقلة مروءته، ولأنه كان يرى فيها "الجمال الذي ينشده، والأسرة العريقة التي تعوضه عن أصله المتواضع، والثراء الذي بدونه لا يستطيع أن يصعد"[1]، فلم يكن لها عنده احترام غير ما تقدمه هي له من فوائد وامتيازات، لا لما هي عليه من خلق ومبادئ وسلوك رفيع.

---

[1]– رجال وذئاب ، ص ٦.

أما "نور" في "عمالقة الشمال" فلم يكتف الكيلاني بأن "نور" لم يستطع جذب اهتمام "جاماكا" أو "سعيدة" بعد إسلامها، فلم يكن اهتمام "نور" بها واضحاً إلا في أواخر الرواية، بعكس "عادل" الذي كان هذا الأمر من أهم الأحداث التي كانت الرواية تدور عليه، فلذلك لم يكتف الكيلاني بتلك الخسارة لـ "نور" بل جعله يقع بين أيدي العامة في الشارع بعد قيام الثورة التي أطاحت بالحكومة، وتلقى الكثير من الضربات مع أمثاله الخائنين، الأمر الذي جعله يرقد في المستشفى في حالة خطيرة، في انتظار أن تتحسن صحته قليلاً لينقل إلى السجن لتقديمه للمحاكمة[1].

ولعل ذلك عائد إلى أن "نور" بالغ بعد خروجه من السجن في إجرامه وظلمه، فهو عاد لشرب الخمر ثانية[2]، وداس كل القيم الأخلاقية في محاولته لثني "جاماكا" عن اهتمامها بـ"عثمان" فلما فشل في ذلك،[3] قدّم شهادته زوراً ضدها عندما اتهمها التنصيريون بعد إسلامها بأنها سرقت من أدوات المستشفى التي كانت في عهدتها،[4] فلعل هذا كله يستدعي كما رأى الكيلاني أن تكون نهايته في تلك الرواية أقسى وأشد من نهاية "عادل" التي ذكرناها.

---

[1]- عمالقة الشمال ، ص ١٤٣ .

[2]- المصدر نفسه، ص ٩٤.

[3]- المصدر نفسه، ص ١٣١ .

[4]- المصدر نفسه، ص ١٣٢ .

٥. الاسم ودلالته على الشخصية : بقي أن نتوقف قليلاً مع الاسم المختار لكلٍ من هاتين الشخصيتين وهما : "عادل" و "نور"، فمن الملاحظ أن كليهما له معنى جميل مشرق، بينما كانت الشخصية التي تحمل كلاً منهما على العكس من ذلك تماماً، فزاد هذا التناقض بين الاسم وحامله من إظهار السوء الذي وصلت إليه الشخصية، ولعل الكيلاني أراد أن يبين أنه ليس فقط هناك تناقض بين "عادل" و"رشدي" و"فضيلة" والقارئ الذي سيقف معهما بلا شك – مع الإيحاءات التي يحتويها اسما رشدي وفضيلة – بل بين "عادل" نفسه وبين اسمه هو.

وكذلك "نور" فقد قال عنه الشيخ "عبد الله": "ما أبشع الفارق بين اسمه وفعله.. هو نور .. وقلبه يمتلئ بالظلام.."[1] وهذا القول أعتبره دليلاً على أن الكيلاني لم يختر هذا الاسم اعتباطاً أو بدون قصد منه، بل لم يكتف بإطلاقه الاسم على تلك الشخصية – كما فعل مع "عادل" – بل نراه يأتي بقول الشيخ "عبد الله" عنه ليلفت انتباه القارئ لهذا الأمر ويؤكده، **خشية منه أن لا ينال من** القارئ ما يستحق أو أن لا يؤدي الدور الذي أراده له.

٦. مدى نجاح الشخصيتين في دورهما الخاص والعام في الرواية:

هل استطاع الكيلاني أن يجعل هاتين الشخصيتين ناجحتين في الدور الذي حدده لهما؟ وهل كانت وظيفتهما الخاصة منسجمة مع وظيفتهما العامة في الرواية ككل؟

---

[1]- عمالقة الشمال ، ص ١١١.

الجواب عن هذا التساؤل هو: نعم ، فلقد كانت هاتان الشخصيتان متساوقتين مع نفسيهما، ومنسجمتين مع الهدف الذي وُجدتا من أجله، وطبيعيتين تماماً في دورهما، وهما يكملان الدور المقابل لهما مع الشخصيات الخيرة المواجهة لهما، ويكوّنان معها رواية متكاملة الأجزاء، واضحة المعالم، تتماشى فيها الشخصيات مع الأحداث، وتتساوق مع الفكرة التي قامت بها الرواية، ولعل الكيلاني أراد أن يزيد من الترسيخ لهذا الأمر بأنه أورد بعضاً من الأسباب النفسية أو الاجتماعية التي كان لها دور وتأثير على تلك الشخصيتين - "عادل" و "نور" - وساعدت على أن يكونا بهذه الحدود التي رسمها لهما.

فـ"عادل" يتذكر في بداية الرواية - كما أوردنا - كيف أنه كان يتلقى الإعانات من الحكومة كطالب فقير، مع الإحساس بالذل والعار الذي يرافقه كلما ذهب ليستلم تلك الإعانة، ثم الفرق الجلي الذي كان يكبر يوماً بعد يوم بين أصله المتواضع- وذلك يتضح في قريته وأهله عندما مرضت أمه فذهب ليعودها[1]- وبين ما وصل إليه من منزلة عالية في الحزب الذي كان ينتمي إليه.

أما "نور" فآراؤه تكونت من خلال نظرته للواقع الذي يعيشه ونظرة الواقع له، فهو كما يقول "عثمان" :"كان واضحاً أنه يعاني من أزمة نفسية لعلها بسبب ما عانى من تعذيب، وما تعرض له في حياته من إجحاف وإهمال."[2] وهو يائس من تغير الوضع إلى الأحسن، لأنه يرى أن "الفقراء الجائعين لا

---

[1]- رجال وذئاب ، ص ١٦٣ .

[2]- عمالقة الشمال ، ص ٩٢.

يصنعون نصراً".[1] ويقول عن شعبه الذي هو جزء منه :"أنا أعرف حقيقته.. أعرفه جيداً .. اسمه "سالامس" ساحل العبيد، وأذاقه الاستعمار ألوان العسف لمئات السنين .. وعندما نال استقلاله.. أخذ ينتحر ويقتتل ويبدد شمله .. أعرف شعبي لأني أعرف نفسي.. أنا مجرد ضائع .. حزين .. بلا عمل .. تشوي السياط جسدي.. كما كانت تشوي أجساد أجدادي الذين كانوا يشحنون كالحيوانات في السفن إلى الدنيا الجديدة.. هذا أنا وهذا هو شعبي.."[2]

فبرسم الكيلاني لهاتين الشخصيتين بحدودهما تلك، وبإعطاءه للقارئ ما يحتاجه لتكتمل صورتهما في خياله، وتتضح معالمهما، استطاع أن يقدمهما بصورة حية فاعلة. ولعل النمو الذي حصل لكليهما كان له أكبر الدور في نجاح هذه الصورة، فكانت الشخصية قد مرت بمراحل عدة، فلمسنا تأثر هذه الشخصية ونموها وتطورها، وعلوها وانخفاضها، وذلك بالتناسب مع الأحداث والمستجدات، كل ذلك كان تدريجياً، ومنطقياً، وأهم ما فيه هو صفة الحيوية والتفاعل.

وهناك أمر آخر وهو أننا ذكرنا أن من الخطأ إطلاق صفة الخير أو الشر بشكل مطلق على شخصية ما، لأن الشخصية تحتوي على كليهما معاً، بتفاوت النسب في كل منهما، ولعل هاتين الشخصيتين اللتين اخترتهما وهما "عادل" و"نور" تؤكدان هذا الأمر وتثبتانه، فكلتا الشخصيتين كانتا تقومان بالدور الشرير في الرواية، إلا أنهما مرتا في فترة سجنهما بمرحلة الخيرية والعدول

---

[1]- عمالقة الشمال ، ص ٩٣ .

[2]- عمالقة الشمال ، ص ٩٤ .

عن الشر الذي كانتا مرتبطتين به - ولو لفترة وجيزة أو محددة - وهذا يؤكد أن الشخصية أقرب إلى الحياة والواقع الذي نعيشه.

وننتقل الآن إلى رواية أخرى وهي "ملكة العنب" تتقاسم فيها البطولة شخصيتان هما :

"براعم " و"محمد حسب الله" :

وتسير هاتان الشخصيتان معاً بشكل متعاكس أو متضاد في بداية الرواية لفترة وجيزة ولاختلاف آراء كل منهما أو لسوء تفاهمٍ من كليهما للآخر، ثم تنجلي الأمور وتتضح ليلتقيا في آخر الرواية.

"براعم" أو "ملكة العنب" : وصفها الكيلاني بطريقة غير مباشرة وذلك عن طريق ردة فعل الشيخ 'محمد حسب الله" الذي قام بالخطبة في يوم جمعة في مسجد القرية فأهاب بالأغنياء أن يُخرجوا زكاة العنب لأنه استند إلى رأي فقهي يرى ذلك، فاعتقدت 'براعم" أنه يحرّض الأهالي الفقراء ضدها، خاصة بعد أن تجرأ بعضهم وقام بسرقة بعض عنبها خلال الليل. فجاءت لتعاتبه ثم تطور الأمر بينهما إلى أن تهدده بأنها ستحاول منعه من ارتقاء المنبر ثانية في القرية، وهذا ما أثار حفيظته، فأصر على أن يبقى للجمعة التالية ليوضّح للناس رأيه وليبين أن ما رآه وبيّنه لا يبيح للفقراء أن يعتدوا على أموال الأغنياء، وأن منبر المسجد إذا أمم من قبل الدولة فإن ساحة المساجد لا زالت حرة يستطيع من يريد أن يبين رأيه فيها.[1]

---

[1]- ملكة العنب ، ص ١٠ .

طريقة عرض الكيلاني لشخصية "ملكة العنب":

استخدم الكيلاني في تقديمه لهذه الشخصية أساليب متعددة، فهو عرضها بأبعادها الجسمية والاجتماعية والنفسية.

ففيما يتعلق بـــ"**البعد الجسمي**" نجد أن الكيلاني حدد صورتها كما رآها "محمد حسب الله"، فيقول :"كانت تلف رأسها وعنقها بشال أسود رقيق .. صورتها الفاتنة، الوجه النضر المشرق بالحيوية والشباب والسمرة الخفيفة، والعينين المكحولتين الواسعتين والرموش الطويلة، والنظرات التي توحي بالقوة والثقة بالنفس، والرغبة في المواجهة..."[1]

أما **بعدها الاجتماعي** فيتضح أيضاً بوصف غير مباشر وهو كثير، فنحن نجد أن الشيخ "محمد حسب الله" "لم ينم ليلته، صورتها وهي داخلة عليه، ثم هي خارجة من بيته، كلماتها .. تهديدها .. منطقها .. لكنه يشعر بألم عميق بسبب تهديدها، إنها لم تتلق من التعليم إلا الإعدادية، وهي تصغره بأربعة أعوام على الأقل، فكيف تجرؤ على فعل ما فعلت؟ إنه لا ينكر أنها شجاعة وذكية، ومغامرة، حين مات أبوها خرجت إلى الحقل تزرع وتحصد، كانت أمها معتلة الصحة، وكان لها أختان صغيرتان، وكانت أول من أدخل زراعة العنب في القرية على نطاق واسع، فقد نقلت ذلك عن أخوالها في قرية مجاورة اسمها "شِنْراق" التي أصبحت لديها خبرة كبيرة في ذلك، بعد أن تحول كل سكانها إلى

---

[1]- ملكة العنب ، ص ٨ .

ذلك .. بدأت بزراعة أفدنتها[1] الأربعة التي تركها أبوها، وبعد أن نجحت أخذت في استئجار المزيد من الأفدنة بأثمان مغرية، حتى أصبح اليوم ما تزرعه يزيد عن ثلاثين فداناً .. وكان من الطبيعي أن تتزعم ما يمكن أن يسمى "نقابة زرّاع العنب" فهي التي تختار المبيدات الحشرية والأسمدة المناسبة، وهي التي تحدد مواعيد الحصاد، وتتفاهم مع كبار التجار للحصول على أعلى سعر، ومن هنا أطلقوا عليها "ملكة العنب". كل رجال القرية وأطفالها ونساؤها يعرفون "براعم" ويحبونها، ولم يُعرف عنها قط ما يشين سلوكها، الكثيرون حاولوا خطبتها وقدموا العديد من الإغراءات، لكنها كانت ترفض الزواج بدون إبداء أسباب".[2]

فالكيلاني قدّم معلومات كثيرة عنها، وعن تجارتها، وعن سبب تسميتها بهذا الاسم، وعن حالتها الاجتماعية، بطريقة استخدامه لشخصية أخرى تقوم بهذا الدور، ولم يقم به بنفسه، وهذه المعلومات لم تقدم من وجهة نظر الشيخ "محمد حسب الله" الخاصة، فالمعلومات التي ذكرت كانت عامة ويعرفها جميع سكان القرية، ولكنها مهمة لنا من ناحيتين:

الأولى: أن هذه المعلومات تفيدنا في فهمنا ومحاولتنا لرسم هذه الشخصية ببعدها الاجتماعي في أذهاننا لنستطيع المضي والتفاعل معها.

---

[1]- فدّان وجمعها فدادين، وهو مقدار من الأرض الزراعية تختلف مساحته في ا لبلاد العربية، ومساحته في مصر ٤٢٠٠متر مربع تقريباً. انظر : المعجم الوسيط، ج٢، ص ٦٧٧.

[2]- ملكة العنب ، ص ١١.

الثانية: أن نستفيد من نظرة "محمد حسب الله" لها وما يهمه فيها، فهو ذكر أنها تصغره بأربعة أعوام ومع ذلك فقد تجرأت وتحدته وهددته، ولعل ذلك كان بسبب منزلتها كملكة للعنب فبين أنها تاجرة ماهرة، ولها مكانتها بين التجار، ثم قفز إلى وضعها العائلي، فكان يفكر في أنها رفضت كثيراً ممن تقدم لخطبتها، وهذا قد لا يكون وثيق الصلة بما ذكره من معلومات سابقة، ولكن يبدو أن الكيلاني يريد أن يقدّم تمهيدات للقارئ تهيئه لقبول ما سيجد من أحداث تجعل الشيخ "محمد حسب الله" يهتم بشأن ملكة العنب لتتطور الأمور ويتزوجها في آخر الرواية.

ويختار الكيلاني شخصية أخرى وهي "مسعدة" أم الشيخ "حسب الله" ليكمل ما يريد من حدود لهذه الشخصية، فيقول على لسانها :"ليس في البلد كلها من يجرؤ على مخالفتها، عمدة البلد يطأطئ لها رأسه .. المجلس المحلي لا يخالف لها أمراً .. وضابط نقطة الشرطة ينحني أمامها احتراماً، ثم إنها صاحبة أفضال على الجميع .. لقد بنت المسجد .. ورممت المدرسة وصانتها من الانهيار .. وفتحت أبواب الرزق أمام الكثيرين."[1]

أما **البعد النفسي** لهذه الشخصية فالكيلاني ينتقل لبيان عيب أساسي فيها فيقول :"لقد كان في براعم عيب أساسي هو رأسها الصلب، فإذا رأت رأياً أصرت عليه، ودافعت عنه في استماتة، وتأبى التنازل مهما كان الثمن، وذلك لا يتفق وطبيعتها التجارية، حيث إن التجارة تحتاج إلى كثير من المرونة

---

[1]- ملكة العنب ، ص ١٠ .

والكياسة، لكنها والحق يقال لا تتخذ قراراً إلا بعد فحصه وتقليبه على كافة الوجوه، والتشاور مع من تثق فيهم بشأنه، وترى في ذلك قمة الديمقراطية."[1]

فالكيلاني عندما بدأ ببيان عيبها أسرع إلى تدارك الأمر فبين السبب في ذلك وطبيعة هذا العيب، وكأنه كان يتوقع من قراءه أو نقاده أن يعيبوا عليه وصفه لها بهذا الوصف وهي التاجرة الناجحة، فأكد أن هذا الأمر لا يتفق وطبيعتها التجارية إلا أنه حاول أن يبين أن ذلك له حيثياته وأسبابه أو ظروفه الخاصة ليصبح تقبل القارئ لهذا العيب ممكناً. أو لعلنا نتناول الأمر من جانب آخر، وهو أنه بذلك قد أوجد شكاً بتناقض البعد النفسي مع البعد الاجتماعي، فحاول إزالة هذا الشك في نفس القارئ وبيّنه بتوضيحه ذاك.

"وكان لبراعم عربة صغيرة أنيقة يجرها حصان، كما كانت لها سيارة أيضاً تقودها بنفسها، أو يقودها سائقها الخاص، وتختار إحدى الوسيلتين – العربة أو السيارة– حسبما يروق لها، وهي تمر يومياً على حقول العنب، وتتفقد كل شيء بنفسها، وتجمع المعلومات الخاصة بالسقي ومواعيده، وبالمبيدات الحشرية وأنواعها من المصادر الموثوق بها."[2]

وهنا استطرد الكيلاني في وصفه لها، ووصف ما يحيط بها من أشياء، فذكر وسيلتين للانتقال وفصل فيهما، ولا أرى سبباً يدعو إلى هذا الاستطراد إلا أن الكيلاني أراد من القارئ أن يستشعر بصدق هذه الشخصية وقربها من

---

[1]– ملكة العنب، ص ١٨.

[2]– المصدر نفسه، ص ٣٤ .

الواقع، عن طريق استطراده هذا، وإلا فقد كان بإمكانه أن يكتفي بذكر أنها كانت تقوم بتفقد زراعتها بنفسها وتحرص عليها، ولكنه ذكر المبيدات الحشرية ومواعيد السقي وغيره... وقد ذكرنا أن الكاتب قد يستعين بوصف أشياء تكون ملازمة أو محيطة للشخصية، تساعد في رسمه لهذه الشخصية، ولعل ذلك من هذا الباب.

و"براعم" ليست مع العنف، والقتل وسفك الدماء، فهي تكره ذلك كله، فهي "اكتفت بالحراس الأمناء الذين يسهرون لحماية المزارع، وكانت دائمة التوصية لهم بألا يلجأوا إلى العنف."[1] وهي تقول :"أنا أكره العنف والدماء .. أخاف الله، أتسامح مع من يسرقون بعد أن ألقنهم درساً في الأدب وأغدق عليهم".[2] وهذا ما فعلته بالضبط مع "عوض العوضي" فهي عندما اشتكت من سرقة أرضها، قام العمدة بسجن "عوض" الذي كان المتهم الرئيسي في هذه السرقة، ولعل ذلك بسبب شهرته الواسعة في السرقة، ولكنه بعد أن سجن وضُرب لم يعترف، فأفرج عنه، وبعد أيام أرسلت "براعم" في طلبه كمحاولة منها لإزالة ما علق بنفسه من الحنق عليها، وبينت له أنها لم تحدد اسماً عندما قدمت شكواها ولم تتهمه، وعرضت عليه في المقابل أن يعمل عندها في حراسة أرضها وحددت له مبلغاً جيداً من المال كراتب شهري له، مما كان له أكبر الأثر في نفسه، فقبل ذلك وعاهدها على أن لا يمد يده بأذى لها طوال

---

[1]- ملكة العنب، ص ٣٤ .

[2]- المصدر نفسه، ص ٢٥ .

حياته.[1] وهذا يدل على حكمتها وعقلها الراجح بقدرتها على استيعاب هذا الرجل الذي لا يكاد يسلم أحد من سرقته، وكان أن استمر هذا الرجل بسيرة حميدة حتى آخر الرواية.

وهي تؤكد في كل موقف أنها لا تحب السياسة، ولا تتعامل مع رجالها، ولكن عندما سجن بعض شباب القرية وعُذبوا قامت بتوكيل محامين للدفاع عنهم، وهي ترى أن فعلها هذا كان عملاً إنسانياً لا يخفي وراءه أي هدف مادي أو اقتصادي أو سياسي.[2] ثم رأت أن ما قامت به من توكيل المحامين لا يكفي ثم إنها ليست من أنصار المظاهرات أو حتى كتابة العرائض، وكانت تشعر بأن المقبوض عليهم مظلومون، ولا يستحقون ما يجري عليهم من عقاب، وكانت تفكر بعمق في الأمر برغم انشغالها بجمع وبيع محصول العنب، وقررت في البداية أن تقوم بتوزيع إعانات على الأسر التي اعتقل بعض أفرادها.[3]

وهي كما ذكرنا كانت ترى عدم الاصطدام مع الحكومة، والابتعاد عن كل ما يمت إلى السياسة بصلة، ولكنها الآن تقول :"إن المواقف تتغير بتغير الأحوال". و"نحن لا نؤيد حزباً، أو نهاجم آخر، ولكن الدفاع عن المظلومين وحمايتهم مروءة، وإلا فما معنى وجودنا وأموالنا وتأثيرنا إذا لم نقف إلى جوار أهلينا، وندفع عنهم الظلم والهوان؟".[4]

---

[1]- ملكة العنب ، ص ٣٦ .

[2]- المصدر نفسه، ص ٥١ .

[3]- المصدر نفسه، ص ٨٤.

[4]- المصدر نفسه، ص ٨٥ .

فهذا يؤكد لنا **النمو والتحول** في شخصيتها وذلك بتغييرها لسياستها التي اتبعتها في حياتها وفي تسيير أمورها وتجارتها، مع ما شرحته من أسباب منطقية لذلك، وهذا النمو في شخصيتها يؤكد لنا إذن أن "براعم" شخصية نامية، متفاعلة مع الأحداث التي تجد.

وتبقى العقلية التجارية هي المحرك الأساسي في كثير من الأحيان، فهي يدفعها إحساس بالمسؤولية، وبواجب الدفاع عن المظلومين ورفع الظلم عنهم، وتعتمد في ذلك على أعمال كثيرة منها كما ذكرنا مساعدتها لأهالي وأسر هؤلاء المعتقلين، وهي نراها قد "قامت بزيارة "مسعدة" وقدمت لها العون والمواساة، خاصة بعد أن علمت أن مرتب الشيخ "محمد حسب الله" موقوف، ومرت على بيت الراعي "كشكل"[1]، ولم تنس إخوة "عوض العوضي" الصغار إذ بعثت إليهم بالطعام وكستهم، فقد كانوا أيتاماً لا أب لهم ولا أم".[2]

ولكن تصرفها مع المحافظ ورجال الحكومة كان بطريقة أخرى، ولعلها بعقليتها التجارية فطنت إلى أن هذه الطريقة غير مثمرة مع هؤلاء وإنما يناسبهم طريقة أخرى، فهي "في اليوم التالي قصدت ديوان المحافظة، وكبار الموظفين في مكتب المحافظ يعرفونها جيداً، فهي تغدق عليهم المال، وتبعث إليهم كل عام أقفاص العنب كهدية سنوية، كما أنهم يعرفون أنها سبّاقة للتبرع بالمال للمحافظة عندما يدعو الداعي إلى ذلك، وكثيراً ما يدعو، كانت تدفع وهي تعلم أن نصف ما تدفعه على الأقل لا يصل إلى الهدف المنشود، واستقبلها

---

[1]- أحد المدمنين على المخدرات في القرية.

[2]- ملكة العنب، ص ٨٧.

المحافظ بترحاب كصديقة قديمة، وتدارس معها قضية القرية من شتى أطرافها، وكشفت له عن الكثير من الملابسات والمخالفات الخطيرة، وكان المحافظ يستمع إليها وهو يبدي دهشته واشمئزازه لما يجري، ثم قطعت الحديث وقدّمت له شيكاً باسمه بمبلغ ثلاثين ألف جنيه تبرعاً للمشاريع الخيرية التي تقوم المحافظة بإنشائها، وتناول المحافظ الشيك بالامتنان الواجب، وأثنى على وطنيّتها وشهامتها ونبلها.. بل وجمالها، ثم قام على الفور بالاتصال بوزير الداخلية لشرح القضية له، وأكد لها أنه سيتابع هذه القضية بنفسه.[1]

وقد يكون من الأسباب التي ساعدت شخصية "براعم" على النمو هو معرفتها بما تقوم به السلطة من تعذيب للمعتقلين، وإهانة لهم، فهي "تمتمت:

"إن الدولة التي يهان فيها أمثال "حسب الله" و"أبو المجد شاهين"[2] تخرج عن طاعة الله"، من أجل جنازة[3] قامت الدنيا وما قعدت، ولما مات

---

[1]- ملكة العنب ص ٨٧ و٨٨ .

[2]- رجل علم ودين، يميل سلوكه إلى الصوفية ، الكل يحترمه في القرية ويأخذ برأيه. يمثل دور الإخلاص والعفة والطهارة.

[3]- جاءت جثة أحد أبناء أخوال الشيخ محمد حسب الله وكان يعمل في العراق، وكانت الجثة مشوهة وعليها آثار تعذيب، والسلطات المصرية رفضت أن تكشف عن الأسباب، وأجبرت أهله على دفنه بدون رؤيته، فمشى أهل القرية بجنازته وتحولت الجنازة إلى شبه مظاهرة بسبب المشاعر الغاضبة والحنق على سياسة العراق مع هؤلاء المصريين ثم لسياسة مصر في إهمالها لمشاعر أهالي المقتولين واهتمامها بالمحافظة على علاقاتها=

"السلامـــوني"[1]، لم تقم السلطة بما يجب بحثاً عن قتلته، إن هناك خللاً ما عميق الجذور في دنيا الناس، وبراعم قد حارت في أصول وفروع ذلك الخلل، وكيف يمكن التصدي له؟ لقد وظفت مالها اليوم من أجل إطلاق سراح المأسورين، وهي ليست نادمة على المبلغ الكبير الذي تكبدته دون أن تحقق لنفسها مصلحة ذاتية مباشرة .. بل إنها تشعر بالسعادة، لم تجد السلاح المناسب الذي تخوض به معركتها ضد الشر سوى سلاح المال والعلاقات وسياسة الأمور بلباقة".[2]

والأستاذ أحمد رزيق يقول في هذا الشأن :"يعرض د. نجيب الكيلاني في هذه الرواية لقضية محورية يمكن تلخيصها في سعي الكاتب لرصد تطور شخصية براعم "ملكة العنب" من وضعية الابتعاد عن هموم وأهالي قرية الربايعة، إلى وضعية التبني اللامشروط لهموم المستضعفين داخل القرية، إنها الرحلة – كما عبر عن ذلك الأستاذ سعيد الغزاوي، من جزر الفردانية والتقابل والقطيعة إلى ضفاف التساكن والتجاور والوصال، رحلة تؤطر حركتها التطورية عوامل إخلاد إلى وضعية السلب والاكتفاء بالتفرج أو البقاء على الحياد .. وعوامل تحريض على تبني هموم أبناء القرية لتحقيق التساكن والتجاور، وتتداخل الخلفية التصورية المتحكمة في إنتاج العمل الروائي لتحيل

=الدبلوماسية مع العراق، فجاءت عناصر الشرطة واعتقلت شباباً ممن شاركوا في هذه الجنازة وحولت الأمر إلى محاولة لبلبلة الأمن في البلد. انظر : ملكة العنب ، ص ٤٠.

[1]- أحد أهالي القرية، قتل في ظروف غامضة، ولم تستطع الشرطة معرفة القاتل، وانشغلت السلطات بملاحقة شباب وصالحي القرية وأهملت قضيته، وهي قضية دم مهدور.

[2]- ملكة العنب ، ص ٩٤ .

الكفة لصالح كل ما هو خير وعدل وجمال، موهنة من شأن عوامل الإحباط والتحييد ...[1]

ومما ذكره الكيلاني في انتصار الخير والعدل في آخر الرواية ما حصل من تكليل مساعي "براعم" بالنجاح والإفراج عن المعتقلين، بمساعدة النائبة "سعاد الدباح"، فجاءت الثانية إلى القرية وخطبت في أهالي القرية، وأكدت حرص الجكومة على مصالح الأمة، ثم قالت : "أما صاحبة الفضل الأكبر في حل هذه المشكلة فهي الآنسة الحاجة براعم ملكة العنب." ثم أمسكت بيد "براعم" ورفعتها إلى أعلى حتى المنصة .. ثم صفّقت بحرارة، وأخذ الحضور يصفقون معها تحية لــ"براعم" التي اعتراها الخجل الممزوج بالخوف الغامض، فقاومت الصعود إلى المنصة، وبقيت في مكانها متشبثة بمقعدها، مما جعل "سعاد الدباح" تعلق قائلة : "هكذا يكون إنكار الذات .. ولقد تمنيت أن تكون "براعم" زميلة لي في مجلس الشعب .. وفي الحزب لأنها خير من يمثّل آمالكم ومصالحكم.."[2]

وشخصية البطل – إسلامياً – حسب تصور الكيلاني هو "القدوة أو النموذج أو المثال الحي الذي تتجسد فيه القيم الإسلامية".[3]

---

[1]– مجلة المشكاة ، المغرب، القضايا الفرعية في رواية "ملكة العنب"، بقلم :أحمد رزيق، ص ٨٦–١٠٥ ، العدد ٢٣ السنة ٦ ، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م .

[2]– ملكة العنب، ص ١١٧ .

[3]– مدخل إلى الأدب الإسلامي، ص ٥٥ .

لذلك نجد الشيخ "محمد حسب الله" في مناسبة أخرى يكمل بيان فضل "ملكة العنب" وأفعالها في القرية، فنراه قد "وقف في المسجد بعد صلاة الجمعة ورجا الحاضرين أن ينتظروا بضع دقائق ويستمعوا له، وكان المصلون يظنون أنه سوف يتناول مسألة فقهية كدأبه دائماً بالشرح والتوجيه، ودهش الناس، وأخذوا ينظرون إلى بعضهم البعض حينما قال :"أحدثكم اليوم عن ابنة الربايعة [1] الشريفة العفيفة .. الخيّرة .. النيّرة .. الآنسة براعم". تساءل الناس ما الحكاية ؟ وهل يليق في المسجد أن يقال مثل هذا الكلام؟ إن المسجد جعل للصلاة والعبادة وعلوم الدين، أما مدح النساء هنا فهو أمر مستنكر.

وتحدث الشيخ حسب الله طويلاً (ولم يختصر كما وعد في البداية) عن الأحاديث النبوية التي وردت عن الإحسان وجزاءه في الآخرة، وعن حب الناس والتفاني في خدمتهم إرضاء لله، وعن أفعال الخير الكثيرة التي تصلح من حياة الناس وشأنهم وخدماتهم العامة، وعن ثواب من يدافع عن المظلومين، وينصف المقهورين، ويجبر القلوب الكسيرة، وينشر الفضائل بين الناس، وروى عن رسول الله حديثاً قدسياً يقول ما معناه : "يا عبدي لم تشكرني ما لم تشكر من أجريت النعمة على يديه لك". وحديثاً آخر يقول :" من صنع لكم معروفاً فكافئوه، فإن لم تستطيعوا فادعوا له". ثم كشف لأول مرة الدور البطولي الذي قامت به "براعم" تفصيلياً لدى المحافظ، وفي أمن الدولة، والقيام بالكثير من الجهود والتضحيات حتى يفرج عن أبناء الربايعة، ثم مشروع زكاة العنب الذي كوّنت له لجنة من أفاضل الناس، فعمّ الخير والرخاء البلدة بأسرها،

---

[1]- اسم القرية التي تدور فيها أحداث رواية ملكة العنب .

بل إنها رصدت ميزانية لرعاية أطفال "مصطفى السلاموني" وزوجه حتى لا يضيعوا، أو يُودَعوا في الملاجئ، وساعدت الطلبة الفقراء بجعل مالي شهري حتى يستطيعوا مواصلة تعليمهم .. وهذا – أيها الناس – هو الإسلام الحقيقي، فإذا أردنا أن نحقق مبادئ الإسلام في الدولة، فلنبدأ بأنفسنا وأسرنا، ثم إلى قرانا الصغيرة، ولا ننتظر انقلاباً مفاجئاً يطبّق شريعة الله، فالإسلام رجال قبل أن يكون سلاحاً ومعارك دامية، وكما تكونوا يولّى عليكم ... وإني أقترح عليكم أيها الإخوة المؤمنون أن نخرج جميعاً ونسير معاً إلى بيتها لنقدّم لها هدية تعبيراً عن حبنا واحترامنا لها ولأعمالها. ثم انحنى وتناول لفة، وفضّها فإذا بيده مصحف ثمين رفعه إلى أعلى قائلاً في حماسة: "وتلك هي الهدية". فكبّر الناس وهلّلوا، ولقي الأمر استحساناً كبيراً لديهم، وخرجوا إلى الشارع وعلى رأسهم الشيخ "محمد حسب الله"، والشيخ "أبو المجد شاهين"، وحضرة العمدة، بل وضابط نقطة الشرطة أيضاً، وساروا في موكب مهيب، وكلما مضوا خطوات، انضم إليهم السائرون في الشارع وهم يتساءلون، وخرج من في البيوت تاركين غداءهم ليلتحقوا بالركب، وحرصت بعض النسوة أن يشهدن تلك الساعة الهامة في تاريخ الربايعة، كما تقاطر الأطفال من كل صوب .. ثم وصل الركب إلى بيتها وقدموا لها الهدية، بين مشاعرها الفياضة ودموعها، ثم دعا لها الشيخ "أبو المجد شاهين" وانصرف الناس، وسرى الخبر ووصل إلى القرى المجاورة، وتحدث به الناس في كل مكان، ووصل الأمر إلى المحافظ وإلى العاصمة، وقدم إلى القرية بعثة تلفزيونية وكذلك الإذاعة، وعدد من محرري الصحف، لكن "براعم" رفضت مقابلة أي أحد من وسائل الإعلام قائلة :"هذه فضيحة ..

إن ما فعلته لم أقصد به سوى وجه الله". واكتفى الإعلاميون بإجراء مقابلات مع عدد من رجال القرية ونسائها وأطفالها حول أعمال "براعم" وحياتها..[1]

تأثير البيئة على الشخصية :

ذكرنا سابقاً أن الكاتب عليه أن يأخذ بعين الاعتبار تأثير البيئة في رسمه للشخصية، وهذا الأمر نال من الكيلاني اهتماماً جيداً، فـ"ملكة العنب" مع منزلتها واستقلالها كامرأة لها القدرة على التحكم في أمور كثيرة من أمور قريتها، لم تستطع أن تستقل بأمر من أهم أمورها وهو موضوع زواجها من "حسب الله"، فعندما أرسل أخوالها في طلبها وعنفوها بقسوة لدرجة أن خالها قال بحدة :"إن هذا الزواج لن يتم". اربدَّ وجهها، لكنها لم تستطع أن ترفع صوتها على خالها، أو تعترض على مشيئته، فهو رجل ذو بطش ونفوذ. ثم أرسل خالها رسولاً إلى "حسب الله" ليثنيه عن عزمه وأفهموه أن زواجه منها سيخلّف معقّبات وخيمة وخطيرة، وقد يؤدي إلى إراقة الدماء.[2]

وهذا يبين أهمية البيئة في التأثير على شخصية "براعم"، بغض النظر عن النهاية في الرواية، وإتمام الزواج بعد تدخل الشيخ "أبو المجد شاهين" وعمدة البلد، لكن يبقى هذا التأثير ملقياً بنفسه على جميع الشخصيات، إذ إن هذه الشخصيات كلها كانت تستقر في القرية، والقرية لها بيئتها الخاصة المعتمدة بشكل أساس على التقاليد و الأعراف الموروثة التي يعتبر الخروج

---

[1]- انظر : ملكة العنب، ص ١٤٠- ١٤٤ .

[2]- ملكة العنب، ص ١٧٤ و ١٧٥ .

عنها أصعب من الخروج عن أحكام الدين في كثير من الأحيان وذلك عائد للجهل المتفشي وسوء الفهم.

وهكذا فإن هذه الشخصية الأولى في هذه الرواية تكتمل أمام أعيننا من جميع جوانبها، وتعطي مثالاً حياً واقعياً تتجسد فيه القيم والأفكار الإسلامية التي يدعو إليها الكيلاني، وهي صادقة في تقلباتها، منطقية في سلوكياتها بالنظر إلى الأسباب والأحداث التي لها أكبر الأثر في تلك الشخصية.

"الشيخ محمد حسب الله" :

الشخصية الثانية هي شخصية الشيخ "محمد حسب الله"، وهي شخصية كانت تكمل الصورة في الرواية مع الشخصية الأولى "ملكة العنب"، فمن البداية حتى النهاية كانت هذه الشخصية لها دور فعال في الأحداث، بل لعلها هي التي بدأت الأحداث وحرّكتها، بخطبته عن زكاة العنب، والكيلاني يبدأ روايته بوصف له يختلط فيه **البعد النفسي** مع **البعد الجسمي**، فيقول : "مشى متباطئاً، ممسكاً عصاه بيمناه، والبسمة تعلو وجهه الأسمر الوسيم، وجلبابه الأبيض الناصع يشع طهراً ونقاءً، وكذلك طاقيته المحبوكة على رأسه، كان متجهاً صوب المسجد، لا يرفع عينيه عن الأرض إلا بقدر ما تقتضي الضرورة، يلقي السلام على كل من يصادفه في الطريق، ومن ينظر إلى وجهه يستشعر الاطمئنان والسكينة، أهل القرية يطلقون عليه اسم "الرجل الصالح" لكن اسمه في البطاقة الشخصية "محمد أحمد حسب الله"، يُعرف عنه الحلم لكنه إذا غضب

تحول إلى عاصفة، فقد كان عدواً لدوداً للكذب والنفاق والظلم والتعالم، يتعامل بحذر وأدب مع كبراء القرية وأثريائها، ومع عامة الناس بالرقة والمودة."[1]

ثم ينتقل الكيلاني لإعطاء وصفه مفصل عن **البعد الاجتماعي** لهذه الشخصية فيقول: "الشيخ محمد حسب الله لم يتزوج بعد على الرغم من أنه قد بلغ الثلاثين من العمر، وذلك لأن أباه قد لقي ربه وهو في السنوات الأخيرة من مراحل التعليم، وكان أبوه يصبغ ملابس الفلاحين باللون الأزرق، ويتقاضى مبلغاً بسيطاً من المال نظير ذلك، ولم يجد ولده بداً من أن يواصل مهنة أبيه حتى يجمع كل عام ما يكفيه لمواصلة التعليم، وكانت آثار الصبغة الزرقاء تعلق بيديه، وظلت هكذا لسنوات، إلى أن تخرج من كلية اللغة العربية، ثم معهد التربية العالي، وما إن أصبح مدرساً حتى ترك المهنة، وقد كان في حاجة إلى الوقت كي يدبر أمره قبل أن يقدم على اختيار شريكة حياته."[2]

ومن مبادئه التي يعتقدها كما ذكر الكيلاني :"أن عالم الدين لا يأخذ إذناً من أحد حينما يريد أن يقول الحق". وهذا القول وجهه لـــ"براعم" عندما جاءت تعاتبه على خطبته تلك.[3] ويكمل بأن "المنبر ليس بوقاً من أبواق الحكومة، ولكنه مكان طاهر تنطلق منه كلمات الله".[4]

---

[1]- ملكة العنب، ص ٥ .

[2]- المصدر نفسه، ص ٧ .

[3]- المصدر نفسه، ص ٩ .

[4]- المصدر نفسه، ص ١٠ .

فلذلك نرى أن "أهل البلد جميعاً يجلونه ويحترمونه، ويعاملونه بمنتهى الاحترام واللياقة، فقد عُرف بفضله وعفته، ولم يرتكب عملاً مشيناً يحنق عليه أحداً، كانت معاركه كلها كلامية .. معارك فكر ورأي، وهي مهما حميت لن تنال من كرامته وكبريائه وحب الخلق له. وأمه كانت هي الوحيدة التي تستطيع أن تنهره، وتعنف له في القول، بل وتلكزه أحياناً، وتناديه بكلمة "يا ولد" على الرغم من أنه عالم جليل مُهاب."[1]

ويستفيد الكيلاني من تطور الأحداث في الرواية فيستغله في توضيح هذه الشخصية أكثر، فيكمل بعضاً من جوانبها، فيقول عنه بعد أن سجن بسبب ظن الحكومة أنه يسعى لتأليب شباب القرية ضدها :"الشيخ محمد حسب الله رجل ذو خبرة، ولد ونشأ في ظل الثورة، وسمع وقرأ الكثير عما يحدث في البلاد، وهو كثير الاطلاع في الصحف والمجلات، ويحب أن يستمع إلى صوت أمريكا ولندن وإسرائيل وصوت الجماهير في بغداد وصوت العرب وإذاعة العالم الإسلامي في السعودية، كما يستمع إلى الإذاعة العربية في إيران، ومهتم جداً بالمشكلة الاقتصادية في مصر وقضايا الاستثمار والقطاع العام وجرائم أمن الدولة، والسياسة التعليمية، ويتابع ما يجري في الانتخابات وفي مجلس الشعب والشورى والنقابات المهنية، أحياناً يطلق عليه أصدقاؤه اسم "الموسوعة" لكثرة معلوماته وتنوعها، ثم إن له رأياً حراً يستخلصه لنفسه بجهوده الخاصة، وقد يعلن ذلك الرأي أو يحجبه، حسب الظروف، لأن الناس في هذا الزمان كثيراً ما

---

[1]- ملكة العنب ، ص ١٠ .

تسيئ الظن، وتفسّر الأمور تفسيراً يتفق مع أهوائهم وميولهم، وليس على أساس النظرة العلمية المحايدة.[1]

ثم اختار الكيلاني طريقة أخرى لإكمال هذه الصورة عن هذه الشخصية وهي طريقة **المونولوج** أو"**الحوار الداخلي**" عند "براعم" في نظرتها للشيخ "محمد حسب الله" فيقول :"كانت دائماً تقدر "محمد حسب الله" وتحترمه لعلمه وذكائه وكبريائه، لم تسمع عنه طوال حياتها ما يشين، كل شيء عنده رخيص إلا دينه وكرامته، وكل ما في العالم جميل إلا ما خالطه إثم أو ظلم أو فساد، يتدخل في القضايا العامة بقدر ما ينفع الناس، ويبعد بنفسه عن الأمور الشخصية أو الخاصة للآخرين إلا إذا حُكّم في قضية من القضايا، يجنح إلى السلام، ويتحاشى الصدام، وكان ذلك سليقة في نفسه – ربما أخذها عن أبيه – وعلماً تعلّمه واستوعبه، وقد حاول دائماً أن تكون حياته ترجماناً لمنهجه وعلمه وطبيعته. ولهذا كان أغلب الوقت في وئام مع نفسه، لقد عرفت "براعم" ذلك كله بتجربتها، وبتعاملها القليل معه، ومن خلال ما يتحدث به الناس عنه، وكان الصدام الوحيد الذي حدث بين "براعم" و"حسب الله" حول موضوع زكاة العنب، إذ أنها فهمته بشكل مختلف عن الحقيقة، إذ صورّ لها بعض معاونيها أن ذلك فيه تعريضاً بها، واتهاماً لها بالظلم والجشع، خاصة وأنها كانت تقدم العون للكثيرين، كما رأت فيه أيضاً تهييجاً للرأي العام في القرية، وهي تعتمد أساساً على حب أهل القرية الفقراء الطيبين، وتعتمد عليهم في صراعها مع الحيتان من كبار المزارعين والتجار، أو بمعنى آخر، رأت أن كلمات "محمد حسب الله"

---

[1]- ملكة العنب ، ص ٩٦ .

قد تهز عرشها إن لم تقوّض أركانه، وخاصة أن دعوته إلى دفع زكاة العنب قد صاحبها ممارسات مشبوهة كالسرقات التي انتشرت في تلك الفترة، وفي أعقاب دعوته. ولقد تمادت "براعم" حينما شكته إلى العمدة، ودبّرت أمر منعه من الصعود إلى المنبر لأداء خطبة الجمعة، والحقيقة أنها كانت تشعر بقدر كبير من عدم الارتياح وهي تفعل ذلك ، إذ لم يغب عن ذهنها لحظة أنه الرجل الصالح الذي لا تحركه أهواء أو أحقاد، وأن له الحق كل الحق في أن يفتي في أي أمر من الأمور. ثم كان حادث القبض عليه في جنازة العراق مثيراً، إذ هزها من الأعماق، وآلمها أن يُساق مثل هذا الرجل الصالح كما تساق المواشي، مثله في ذلك مثل "عوض العوضي" و"الراعي كشكل"، وأصحاب السيرة المليئة بالشبهات والشغب والمشكلات، عندئذ نسيت ذلك الخلاف العارض الذي جرى بالأمس القريب، وشمّرت عن ساعد الجد، وبدأت رحلة المروءة لمحاولة إنقاذ المعتقلين خفية في البداية، ثم علانية بعد ذلك وتصدت للتيارات الجارفة بكل ثقة وشجاعة، ولم تبخل بجهد أو مال حتى تمكنت من تحرير الأسرى، وهي أشد ما تكون رضى وسعادة وراحة بال.[1]

وهذه الشخصية "محمد حسب الله" من الشخصيات الرئيسة الفاعلة، المتأثرة والمؤثرة بالأحداث تأثيراً إيجابياً، وكانت واضحة المعالم أمام القارئ، حيوية في نظره، والأستاذ سعيد الغزاوي يرى أن هذه الشخصية تجسد المثالية

---

[1]- ملكة العنب، ص ١٦٥-١٦٧ .

المؤمنة،[1] فهو يبادر إلى اتخاذ المواقف التي يمليها عليه موقعه كشخصية مثالية مؤمنة.

المقدار الكمي الذي احتلته هذه الشخصية في الرواية :

هذه الشخصية أخذت كمّاً أقل من شخصية "براعم" وقد ذكرنا أن أهمية الشخصية لا تنبع من كمية المعلومات عنها، أو حجم المساحة التي تحتلها في بناء القصة، بقدر ما تنبع من الأثر الذي تتركه في نفس القارئ، وتفاعله معها، وشخصية "حسب الله" كان لها التأثير الأكبر على الأحداث ونموها، وصحيح أن "براعم" كانت وثيقة الارتباط بالأحداث والشخصيات الأخرى، وقد احتلت المساحة الأوسع في هذ الرواية إلا أن "حسب الله" كان وراء كل هذه الأحداث وذلك إما بطريقة مباشرة، كخطبته في يوم الجمعة، أو بطريقة غير مباشرة، فهو "من صنّاع الفكر والرأي في قريته، وعلى يديه تربّى جيل من الشباب في الأدب والأخلاق والفقه والعمل الجاد."[2]

والكيلاني استفاد من كلتا الشخصيتين في الدعوة لأفكاره وقيمه الإسلامية من دعوة للعمل والصدق والإخلاص والثبات والاهتمام بمشاكل الآخرين وخدمتهم والدفاع عن المظلومين ونصرتهم، والطريقة الصحيحة للتغيير بالحكمة والموعظة الحسنة، واللياقة أو البراعة في التعامل مع أجهزة الحكومة

---

[1]- مجلة المشكاة ، المغرب، من الفردانية والتصادم إلى التجاور والتساكن ، استقراء لتطور بناء الشخصيات في روايات نجيب الكيلاني الإسلامية، سعيد الغزاوي، ص٥٢ – ٧٣ ، العدد ٢٣ السنة ٦ ، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م .

[2]- ملكة العنب ، ص ١٣٧ .

التي لا زالت تتبجح بالحفاظ على مصالح الأمة وهي تكمم الأفواه وتقتل الكرامة في نفوس أفراد هذه الأمة، بما رآه الكيلاني مناسباً من وجهة نظره الخاصة.

وقد يكون في نهاية هذه الرواية بزواج "براعم" و"حسب الله" تأكيد على انتصار الإرادة الحرة للأخيار ولو بعد معاناة وتعب، وانتصار للعلم على التقاليد التي لا تنبع من تعاليم الإسلام، وذلك بقول الشيخ "أبو المجد شاهين" لأخوال "براعم" عندما رفضوا الموافقة على زواجها :"يا من تأخذون الكلمات بظاهرها، وتجعلون أوهام الجهل فوق حقائق الشرع ... أنتم تزرعون الشوك كل يوم في النفوس والعقول، وفي علاقات البشر."[1]

هل شخصية "محمد حسب الله" نموذج بشري ؟

كان بالإمكان اعتبار هذه الشخصية نموذجاً بشرياً ومثالياً لكل ما هو مطلوب ومأمول في شاب يمثل روح الإسلام وأفكاره، إلا أن الكيلاني لم يشأ أن يجعله نموذجاً بشرياً لا حراك فيه، بل وهبه الصفات الإنسانية الخاصة به، وتوسع في وصف مشاعره النفسية الإنسانية، وهذا ساعد كثيراً في تحول هذه الشخصية من نموذج بشري إلى شخصية إنسانية حية فاعلة، يشعر القارئ بإنسانيتها ويتفاعل مع أحاسيسها وخصوصياتها، وهذا الأمر نلمسه في عدة مواطن، الأول منها: في سجنه، فالقلق والضيق اللذان عانا منهما "حسب الله" في معرفته بأن إخوانه يعذبون ويُحقق معهم إلا هو، وهذا الأمر قد قصدته

[1]- ملكة العنب ، ص ١٧٦ .

السلطات لتزيد من توتره أملاً في استطاعتها التغلب عليه، لمعرفتها السابقة به وبشخصيته وأنه إذا استطاعت التغلب عليه فقد تغلبت على جميع المعتقلين[1].

الموطن الثاني: في اهتمامه بـ"براعم" وهذا الاهتمام كان طبيعياً، وفي نفس الوقت عفيفاً مهذباً لم يشط فيه، ولم يخرج عما عرفناه فيه من التزام بتعاليم دينه،[2] وفي نفس الوقت كان فيه لمسة إنسانية تساعد في إضفاء الصفات الإنسانية التي أرادها الكاتب لهذه الشخصية.

وبهذا نكون قد وصلنا إلى أن الكاتب استفاد من شخصياته في تفاعلها مع الأحداث، وفي صراعها مع نفسها أو مع غيرها، في التأكيد على أهدافه وأفكاره، التي يدعو إليها، وهي كما رأينا أهدافاً تتفق في مجملها مع الإسلام وشرعه، واستطاع الكاتب في نفس الوقت أن يشعرنا بصفة الحياة في شخصياته، وأن يقدم عملاً أدبياً متكاملاً، يدعو لفكر أيديولوجي بدون أن يفقد العمل من رونقه وفنيته والاستمتاع المطلوب منه عند قراءته.

مواقف التحول في حياة الشخصيات الروائية :

د. عبد الله بن صالح العريني يقول : "يستفيد الكيلاني من مواقف التحول في حياة الشخصيات القصصية، ويجعل منها باباً واسعاً يلج فيه إلى عالم من التأثير، ويفيد منه في إغناء فكر القارئ بتجربة حية مؤثرة."[3]

---

[1]- ملكة العنب، ص ٩٦ و ٩٧ .

[2]- المصدر نفسه، ص ١٧٣ .

[3]- مجلة الأدب الإسلامي، المجلد الأول، العدد الأول، مسئوليات الالتزام في روايات نجيب الكيلاني ، ص ٨٧-٨٩.

وقد تطرقنا إلى بعض من هذه الشخصيات في هذا الفصل مثل "نبيلة" في "رحلة إلى الله" و"فضيلة" في "رجال وذئاب"، ولكن سأحاول الآن تقديم الشخصية الرئيسة في رواية "الرجل الذي آمن"، وهي شخصية موسيقي إيطالي غير مسلم، من أب مسيحي متدين، جاء إلى البلاد العربية – دبي – للعمل في أحد فنادقها، وهناك تعرف إلى بيئة مختلفة للبيئة التي صورها له الآخرون عن البلاد الإسلامية،[1] ورأى كثيراً من الأمور التي أثارت دهشته، وتعلق براقصة عربية، فطلبت منه اعتناق الإسلام لتستطيع الزواج به، وهي تظن أنها بهذه الطريقة سوف تسكته وتوقفه عن محاولته تلك، ولم يدر بذهنها أنها بطريقة غير مباشرة فتحت له باباً لصراع نفسي عميق يتعرض فيه لشتى الانفعالات والتقلبات النفسية، فيتعرف إلى داعية مسلم ليعلمه مبادئ الإسلام، ثم مع الأيام يبدأ في الشعور بأن هذا الدين هو الدين الحق، الذي يجيب عن كل التساؤلات التي تخطر على باله، وأنه هو وحده الذي يستطيع أن يهبه السكينة والراحة النفسية التي طالما سعى إليها، فقد كان والده قد ودعه بقوله :"إذا وصلت هناك فكن يقظاً، واملك نفسك تملك الدنيا، وافعل ما شئت ما دمت مؤمناً به، وواثقاً بنفسك .. الغرباء لا تحرسهم أموالهم ولا أسلحتهم يا ولدي إريان، لكن يحرسهم العقل الواعي، والروح الملهمة .." فيقول إريان في أسى :"أما العقل فموجود، وأما الروح فهي تائهة تتخبط في الضباب."[2] وهو ينظر إلى الواقع الذي يعيش فيه أهل مدينته "روما" فيقول لنفسه: "كل المعاني الجميلة تموت في هذه المدينة

---

[1]- الرجل الذي آمن، ص ٢٤ .

[2]- المصدر نفسه، ص ٩ .

.. علمه أبوه القسيس أن المحبة أقوى، وأن النظر إلى السماء أفضل، وأن التسامح جنة الموعودين، لكنه أدرك من قديم أنها مجرد كلمات تكتب في الأوراق، أو تلقى على الأسماع في الكنائس، لكن الناس في الشوارع والشركات والدواوين والحانات والمراقص يعيشون بطريقة أخرى، ويؤمنون بأفكار وسلوكيات مغايرة، إنه يحترم أباه، لكن أباه إما أنه لا يرى ولا يسمع، أو أنه يتشبث بخيوط الأمل الواهية .. و لا يختلف اثنان على أن روما غابة، ونوادي السياسة والبورصات وأروقة الفن وغيرها .. كلها تشكل أجزاء من هذه الغابة الكبيرة المليئة بالذئاب والثعالب والوحوش الضارية."[1]

وهو عندما أراد الزواج من "شمس" الراقصة فبينت له أن المسلمة لا يحق لها الزواج من غير مسلم، فيستخدم الكيلاني هنا الحوار الداخلي عند "إريان" فيقول :"كان "إريان" مستيقظاً يفكر جدياً في "شمس"، وفيما قالته له، هل يمكن أن يتخلى هكذا ببساطة عن ديانته من أجل امرأة، وأبوه قسيس يعظ الناس، ويبشر بينهم برسالة المسيح؟ وماذا سيقول أبوه؟ وبماذا ستعلق أمه؟ وما سيكون عليه موقف أصدقائه في روما؟ وزملاؤه هنا في فرقة الموسيقى؟.. لكنه عاد أخيراً وأقنع نفسه بأنه من الواجب أن يأخذ فكرة عن الديانات الأخرى، ثم يختار العقيدة التي يراها أقرب إلى العقل والقلب، وماذا في ذلك؟ قد تكون هذه الدراسة عن الإسلام مدعاة لترسيخ عقيدته الأصلية، ولا يحتاج إلى اعتناق دين جديد.. هو لا ينكر أن "شمس" هي المحرك الأول لهذا الموقف الجديد، لكن القناعة الأكيدة وحدها هي المحك الصحيح لاتخاذ أي قرار يتعلق

---

[1]- الرجل الذي آمن، ص ٨ و٩.

بعقيدته.. وابتسم في خبث وقال :"العقيدة في القلب .. يمكنني أن أنطق باللسان كلمات .. مجرد كلمات لأحقق رغبتي، وأبقى على عقيدتي في قلبي وعقلي سراً .. الكثيرون في هذا العالم يفعلون ذلك ولا يشعر بهم أحد .. العالم كله قائم على الغش والكذب والخداع."[1]

وهذه مرحلة قصيرة للغاية لم يتوسع بها الكيلاني، بل مر بها مروراً عابراً، وهي مرحلة خطيرة قد تغير منحى الرواية وأحداثها ونتيجتها لو استمر بها الكيلاني وتوسع فيها، إلا أنه باختصاره الشديد بها جعلها كأنها فكرة شيطانية سرعان ما تلاشت وذهبت بدون أن تترك أية آثار على نفسية "إريان" وتصديقه الآتي للإسلام. وهذا فيه نوع من النمو في هذه الشخصية والاضطراب حتى وصلت إلى قدر كبير من الاطمئنان والسكينة والاستقرار في نهاية المطاف باعتناقه للإسلام.

وهو عندما علم أن أسقفاً أفريقياً قد أشهر إسلامه، وأصبح يدعو إلى الإسلام، فتبعه مئات الألوف من البشر هناك، وأنه حضر إلى دبي بدعوة من وزارة الثقافة والإرشاد ليلقي محاضرة عن حياته في المسيحية والإسلام، بادر "إريان" بالذهاب إلى المحاضرة، ولشد ما سعد بهذه المحاضرة، فقد قدمت له تجربة حية مثيرة، تكاد تشابه تجربته.[2] وانطلق يبحث عن أشرطة فيديو مسجلة

---

[1]- الرجل الذي آمن، ص ٣٨-٣٩.

[2]- المصدر نفسه، ص ٤٤ .

للمناظر المشهور "أحمد ديدات"[1] ويقرأ مؤلفات المفكر الفرنسي الذي اعتنق الإسلام "روجيه جارودي"[2].

يصف الكيلاني هذه الفترة المثيرة من حياة "إريان" بأنه "كان يلتهم الكتب التهاماً، وكان مذهولاً أمام روعتها، وأدرك فعلاً أنه يدلف إلى عالم حي مثير لم يكن يتوقعه أو يتخيله، إنه يميط اللثام عن حقائق كثيرة رائعة شوهتها العنصريات والتعصب والأحقاد.[3] وهو يخاطب الراقصة "شمس" فيقول لها :"دعيني أواصل البحث .. وسأعود .. عندما أجد الحقيقة".[4]

فلم يعد هناك رغبة في الخداع والنفاق عنده بالنطق بكلمات الحق بدون اعتقاد في قلبه ليحصل على "شمس"، بل أصبح همه الوحيد الآن إيجاد الحقيقة فلم تعد "شمس" هي المحركة لرغبة البحث عنده، فقد استكملت "شمس" دورها بأن فتحت له هذا الباب، ولكنه هو لم يعد يكتفي بما حصل عليه من معلومات بدائية، بل هو لم يعد بإمكانه إيقاف حماسته المفرطة في الوصول إلى الحقيقة التي يشعر أنها باتت شديدة القرب منه.

---

[1]- من أشهر المناظرين المسلمين للقساوسة النصارى في القرن العشرين توفي سنة ٢٠٠٦م.

[2]- كان زعيم الحزب الشيوعي ثم اعتنق الإسلام.

[3]- الرجل الذي آمن، ص ٤٤.

[4]- المصدر نفسه، ص ٤٦.

ثم يكمل الكيلاني لنا رحلة "إريان" فيذكر كيف أنه كان يتعجب من أنه إذا أراد الإسلام فلا يكمل إسلامه إلا إذا آمن بكل الأنبياء السابقين، وأنه هو بنفسه ووحده يستطيع أن يقرأ القرآن ويعبد الله بدون واسطة شخص ما، أو شيخ أو رجل دين- مقارنة مع ما كان عليه في ديانته النصرانية -، فهو يقول :"أشعر بالرهبة".[1]

أمر آخر لفت انتباه "إريان" وهو أن تلامذة الشيخ "عيد الحسيني"[2]، ليسوا منقطعين للعبادة فبعضهم أطباء ومهندسون ومدرسون، والبعض الآخر من العمال الفنيين في شتى الحرف، وبعد أن تنتهي الصلاة يبادرون بالعودة إلى أعمالهم، ويتعاونون جميعاً في قضاء الحاجات، ولا يبخلون بخدماتهم على من يطلبها منهم، ولا يلجأون إلى فحش القول، أو يدخنون التبغ، أو يشربون الخمر، أو يغشون مجالس اللهو والشراب.

و"إريان" كموسيقي سأل في سذاجة : "ألا توجد موسيقى بالمسجد؟ فيضحك مرافقه ويجيبه بقول الشاعر الباكستاني وفيلسوف الإسلام "محمد إقبال":

دع لأهل الغرب رقصاً بالجسوم   إن رقص الروح من ضرب الكليم"[3]

---

[1]- الرجل الذي آمن، ص ٤٩ .

[2]- هو الداعية المسلم الذي تعرف عليه إريان ليشرح له أحكام الإسلام، وكان له حلقة في مسجد مشهور في دبي.

[3]- الرجل الذي آمن، ص ٥٢ .

والكيلاني معروف عنه تأثره بـ"إقبال" بشكل عميق، ولعل استشهاده ببيت من شعره هنا يحمل معنى فلسفياً عميقاً فيه دلالة على هذا الأمر.

فالكيلاني يستفيد من هذه المراحل التي مرت بها هذه الشخصية ويوظفها في إغناء وإثراء تجربة القارئ، وهو اعتمد اعتماداً كلياً على البعد النفسي وتوسع فيه توسعاً ملحوظاً بل ومقصوداً، فبدأ بالخلفية النفسية له قبل تتالي الأحداث منذ أن كان في روما، فهو غير راضٍ عمّا وصلت إليه الحالة الاجتماعية والأخلاقية هناك، ثم المرحلة الثانية دهشته وصدمته عند مجيئه لدبي، ورؤيته لمظاهر المدنية والحضارة والرقي الأخلاقي والاجتماعي في تعامل الناس فيما بينهم، وأن ذلك ينبع من دينهم الإسلامي، وانتقل بعد ذلك إلى مرحلة أكثر عمقاً، وذلك عند بدء بحثه في العقيدة والدين الإسلامي، ثم طالت قليلاً هذه الفترة ليزداد شوق القارئ لمعرفة ما ستؤول إليه حاله، لتأتي النهاية باعتناقه للإسلام، وتمكنه من قلبه وعقله، والمرحلة النهائية هي ثباته عليه الذي يتضح في محاولة ثنيه عن عزمه من قبل صديقه أو أبوه، ثم انطلاقه في الدعوة وتبليغ الإسلام لغير المسلمين. وهذه المراحل كلها استفاد منها الكيلاني في ترابط نسيجه الروائي فاستمرت الأحداث بتسلسلها منطقية، واقعية، وفي نفس الوقت متعمقة في نفس "إريان" تزيد من توضيح بعده النفسي الذي اهتم به الكيلاني اهتماماً كبيراً بل قد يكون الاهتمام الأول في هذه الرواية كلها، فقد جعل الكيلاني القارئ متفاعلاً مع هذه الشخصية في وصفه النفسي لصراعه هذا، وهو على أبواب تغيير دينه والولوج في دين آخر غريب عنه، وهو بعيد عن أرضه، وإحساسه بالرهبة في تعامله مع الله عز وجل مباشرة، لأنه ليس معتاداً عليه من قبل.

وهذا الأمر أراه شديد الخصوصية في نفوس غير المسلمين، وفي نفوس النصارى منهم بالذات.

ولم يتطرق الكيلاني للبعد الجسمي إلا أنه ذكر فقط أنه وسيم،[1] وذلك أمر مقصود إذ أن ما يعتمل في نفسه من المشاعر المتضاربة القلقة كانت هي المحور الأساسي الذي تدور عليه هذه الرواية من أولها إلى آخرها، ولم يكن المظهر الجسدي له أي تأثير يفيد القارئ في استحضاره لهذه الشخصية في ذهنه، فالاهتمام منصب تماماً على الأحاسيس والمشاعر والأفكار، ولن يفيد البعد الجسدي هنا ولن يأتيَ بشيء جديد.

هناك بعض الملاحظات التي تعطينا إياها هذه الشخصية، قد يكون لها بعض الدلالات، وهي :

١. هناك عدد كبير من المسلمين الذين لهم من الإسلام الاسم فقط، وهم لا يتوقفون في حياتهم ليفكروا في هذا، بل يأخذون الدنيا كما هي بدون تعمق أو تفكر.[2] وهذا قد يكون في بعض الأحيان السبب في ابتعاد غير المسلمين عن اعتناق الإسلام حين يرون أتباعه بهذه الصورة المخزية المتناقضة.

---

[1]- الرجل الذي آمن، ص73.

[2]- وذلك حين كان يقول إريان لشمس :"لماذا لا تتساءلين؟ إنك تأخذين كل أمور حياتك كما ورثتها في حياتك". انظر : المصدر نفسه، ص ٧٦ .

٢. المعتنقون للإسلام حديثاً في أغلب الأحيان هم أكثر تمسكاً بتطبيق أحكام الإسلام بكل جزئياته، فـ"إريان" ترك الخمر، ولم يعد يكرر النظر لـ"شمس" لأنه كما يقول :"ليس لي إلا النظرة الأولى".[1] وهو يخاطبها بقوله :"أريدك أن لا تكوني بعيدة كل البعد عن دينك."[2] وهو يختار مهنة لابنه فهو يتمنى أن يكون داعية للإسلام، فهو لا يريده أن يكون طبيباً أو مهندساً أو أي مهنة تدر عليه مالاً وفيراً. والأستاذ سعيد الغزاوي يرى في ذلك "إعلاء قيمة الدعاة وحاجة العالم المتنافر إليهم."[3]

٣. خروج "إريان" مع جماعات التبليغ للدعوة إلى الله، وهذا قد يكون فيه دلالة على تغيير حدث في فكر الكيلاني الدعوي ليتحول من أسلوب الدعوة عند حركة الإخوان المسلمين إلى أسلوب جماعة التبليغ كما قال الأستاذ سعيد الغزاوي، وهو يقول مستطرداً :"وهو ما تنبئ عنه كذلك نية الكيلاني كتابة الجزء الثالث عن عبد المتجلي بعنوان "هجرة عبد المتجلي"[4] والهجرة من

---

[1]- الرجل الذي آمن، ص ٧٤-٧٦ .

[2]- المصدر نفسه، ص ٨٦ .

[3]- مجلة المشكاة، العدد٢٣، السنة٦، استقراء لتطور بناء الشخصيات في روايات نجيب الكيلاني الإسلامية، بقلم : سعيد الغزاوي، ص ٥٢-٧٣ .

[4]- ذكر د.حلمي القاعود ذلك فقال :"حدثني الكيلاني يرحمه الله أنه بصدد كتابة جزء ثالث لروايته اعترافات عبد المتجلي، وامرأة عبد المتجلي، بعنوان هجرة عبد المتجلي، وعلمت أنه سيجعل هجرته إلى الداخل من ناحية الجنوب وليس إلى البلاد العربية والأجنبية، وفي هذه الهجرة ستظهر قضايا وموضوعات روائية أخرى تخص المكان وما يتعلق به، ولا أدري هل أتاح له المرض قبل الموت أن يكتب شيئاً في هذه الرواية أو لا=

الوسائل الدعوية التي تعتمدها جماعة التبليغ."[1] ويبقى هذا الأمر يحتاج إلى بحث ليس هنا مجاله، ولكن لعله أن يكون دعوة لغيري من الباحثين للنظر في هذا الأمر والوصول إلى شيء مفيد فيه.

٤. هناك نمو مطّرد في شخصية "إريان"، فقد انتقل من شخصية المدعو إلى شخصية الداعية، وذلك في محاولته مع "شمس" ومع والده.[2] ووضوح الاضطراب والصراع الذي قام في داخل هذه الشخصية، ثم الاستقرار في نهاية الرواية وذلك بإسلام "إريان". وهذا يظهر لنا فيه الواقعية والصدق في رسم الكيلاني لهذه الشخصية، ونجاحه في ذلك.

٥. أهمية هذه الشخصية : وهذه الأهمية تنبع من تفردها في أداء هذا الدور، بهذا البعد والعمق النفسيين، وهو الجانب الغني الذي لم يُتناول في الأدب الإسلامي إلا قليلاً، وقد ورد في روايات الكيلاني بعض الشخصيات التي تحولت إلى الإسلام، ولكن لم يُوردها الكيلاني بهذا العمق وبهذا التركيز، فهناك على سبيل المثال: "جاماكا" في "عمالقة الشمال"، و"موسى أبو العافية" في "دم لفطير صهيون"، وهاتان الشخصيتان لم تحظيا من الكيلاني بهذا الاهتمام والتفصيل الذي حصلت عليه شخصية "إريان" في "الرجل الذي آمن".

="انظر : المشكاة ، الهوامش، ص ٥١، في مقال د. القاعود بعنوان: روايات الواقعية الإسلامية عند نجيب الكيلاني الوضوح الروائي، أبعاده وملامحه، من ص ٣٦-٥١.

[1] - مجلة المشكاة، العدد٢٣، السنة٦، استقراء لتطور بناء الشخصيات في روايات نجيب الكيلاني الإسلامية، بقلم : سعيد الغزاوي، ص ٥٢-٧٣ .

[2] - الرجل الذي آمن، ص ٨٦ و ١٠٦ .

ولعله قد يكون هناك بعض التشابه بين شخصية "إريان" وشخصية "وحشي" في "قاتل حمزة"، إلا أن الشخصية الأخيرة كانت زاخرة بالأبعاد النفسية المتعلقة بأمرين، وهما: اعتناق الإسلام، والعبودية أو الحرية. فكان هناك صراع نفسي واسع يتناول الجانبين معاً، وقد يكون الأمر الثاني أخذ اهتماماً أكبر من الأمر الأول، ومهما يكن فقد تشتت الاهتمام بين هذين الأمرين، ولم يتركز كما حصل مع شخصية "إريان". فاستحقت شخصية "إريان" هذا الاهتمام من دراستنا هذه.

شخصية "عمر بن الخطاب":

اختار الكيلاني شخصية "عمر بن الخطاب" رضي الله عنه لتكون الشخصية الرئيسة في رواية "عمر يظهر في القدس"، وتصور هذه الرواية الأحداث التي حصلت بسبب ظهور عمر بن الخطاب في مدينة القدس إبان احتلال اليهود لفلسطين، ووجود المقاومة الإسلامية والوطنية، وقد حاول الكيلاني ربط الماضي بالحاضر في هذه الرواية، وقد ذكر في بداية الرواية شيئاً مما يمكن اعتباره أن ظهور عمر بن الخطاب كان حلماً رآه الراوي الذي لم يذكر اسمه، إلا أنه في نهاية الرواية لم يعد إلى هذه النقطة، بل ولم يشر إليها بأي كلمة، بل اكتفى بأن انتهت الرواية بالحكم على الراوي وزملائه بالسجن لاتباعهم الخليفة عمر ومساعدته وتهريبه، وبالنسبة لعمر بن الخطاب فالكيلاني اختار له أن يختفي فجأة كما ظهر فجأة وتنتهي أحداث الرواية بدون الإشارة إلى أن ظهوره أو اختفاءه كان حلماً رآه الراوي، بل كان في نهاية الرواية شبه إصرار على أن عمر نفسه قد ظهر للناس، وأن ذلك ليس ببعيد عن قدرة الله.

والكيلاني كان شديد الجرأة في اختياره لهذه الشخصية العظيمة في تاريخ المسلمين، ولها من القدسية والتعظيم الشئ الكثير، وأثارت هذه الرواية عند نشرها الكثير من التعليقات والنقد، ما بين موافق ومخالف، وسنتعرض لهذه الشخصية ببحثنا هذا بشئ من التفصيل السريع، فهذه الشخصية بما لها من مكانة عظيمة في التاريخ الإسلامي تعرضت في هذه الرواية لكثير من الاستهزاءات والسخرية، ومن ذلك ما يلي :

١. تقول "راشيل" وهي فتاة يهودية تعرفت على شخصية عمر ورأته مختلفاً عن باقي الرجال الذين تعرفهم فأثار في نفسها الفضول، فقالت عنه لصديقها:" إن هذا الرجل ظريف للغاية .. لكأنه من أهل الكهف .. إنه تحفة نادرة."[1]
٢. "إيلي" صديق "راشيل" وهو فتى في المخابرات الإسرائيلية يطلق عليه لقب "الدون جوان".[2]
٣. يخاطب أحد المحققين عمر فيقول له :" مكانك في دار الآثار القديمة إلى جوار الموميات والتحف ."[3]
٤. وعند قول هذه الشخصية أنه عمر بن الخطاب يعتبره الكثير من الناس "مرض من أمراض الجنون والتصدع النفسي"[1]، ويقول بعضهم :"سيفرح بهذا الأمر أطباؤنا في مصحات الأمراض العقلية والنفسية".[2]

---

[1]- عمر يظهر في القدس، ص ٢٨ .

[2]- المصدر نفسه، ص ٣٣. والدون جوان : لقب يطلق على من تعجب به النساء لوسامته.

[3]- المصدر نفسه، ص ٦٤ .

٥. عند اعتقال اليهود للراوي وعمر يقول أحد الضباط لجنوده عن عمر :"أعدوا له وجبة دسمة". فيبين له عمر أنه لن يأكل من طعامهم لأنه لا يزال يتذكر الشاة المسمومة التي قدمها اليهود للرسول عليه الصلاة والسلام، فيقول الكيلاني :"فضجوا بالضحك". لم يكن الخليفة يعلم أن الوجبة الدسمة في مصطلح المخابرات تعني التعذيب الذي لا يطاق.[3]

٦. عندما يركبون الحافلة يصفها بالدابة مما يسبب ضحك الناس عليه.[4]

٧. عند انتشار أنباء عن ظهور عمر بن الخطاب في القدس، حدثت تداعيات كثيرة منها: أن محلات الأزياء الحديثة وأدوات التجميل الفرنسية الصنع، نظموا "أوكزيونات"[5]، وافتتح بعضهم فروعاً تحمل اسم الفاروق أو عمر أو ابن الخطاب، وبلغت السخرية أقصاها حينما قبضت شرطة المخدرات على كمية ضخمة من الحشيش المهرب من إسرائيل، ووجد أن اسم الماركة الجديدة "الفاروق".. الحقيقة أن الموضوع الطريف قد خلق موجة من الإنعاش الاقتصادي في شتى المجالات.."[6]

---

[1]- عمر يظهر في القدس، ص ٦٥ و ١١١ .

[2]- المصدر نفسه، ص ٦٥ .

[3]- انظر : المصدر نفسه، ص ٦٧ و٦٨ .

[4]- المصدر نفسه ، ص ٤٦ .

[5]- أوكزيونات هي تنزيلات في أسعار السلع في المحال التجارية في أوقات معينة ليقبل الناس على شراءها بأسعار منخفضة.

[6]- عمر يظهر في القدس ، ص ١٨٩ .

هناك أمر آخر وهو أن هناك بعض التناقضات بين شخصية عمر بن الخطاب الحقيقية التي يعرفها المسلمون جميعاً، وبين بعض المواقف التي اخترعها له الكيلاني ليقوم بها في هذه الرواية، فمن ذلك مثلاً: أن عمر جلس في المسجد يوم الجمعة قبل الخطبة ليستمع لقارئ يقرأ القرآن الكريم، فسُرَّ عندما تأكد أن القرآن الكريم لم تصله يد التحريف والتبديل أسوة بالمسلمين وأفكارهم ومعتقداتهم، وما رآه من هوان وذل متمكن في نفوسهم، وهذا أراه غير مقبول من شخصية كعمر بن الخطاب رضي الله عنه، فهل غاب عن الكيلاني إيمان عمر بن الخطاب بكل كلمة من كلام الله تعالى؟ وأين ذهب قول الله تعالى :{ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ[1]}؟ فليس من المستساغ أن ينسى أو يغيب عن ذهن عمر هذه الآية التي هي من أهم الآيات التي تتعلق بثبات ورسوخ هذا الدين بثبات وحفظ كتاب الله على مر العصور، وتفرد القرآن عن الكتب السماوية الأخرى بهذه الصفة التي أثبتها الله له بقوله هذا.

أمر آخر استهلك حيزاً كبيراً في هذه الرواية وهو صدق إدعاء هذه الشخصية بأنها عمر بن الخطاب الخليفة الثاني والصحابي المعروف، فقد توسع الكيلاني كثيراً في إثبات هذا الأمر، وربطه بأن ذلك من الممكن حدوثه فليس ذلك بمستبعد على قدرة الله عزوجل، وهذا الأمر جعله سبباً للهجوم على علماء الدين الذين سماهم الكيلاني "الرسميين"، فشن عليهم حملة شديدة، وذلك لأنهم لم يصدقوا هذا الأمر، ولعل الكيلاني يريد أن يبين أهمية

[1]- الحجر : ٩.

الدور الذي يلعبه علماء الدين "الرسميين" في التمكين للمحتل والغاصب في سكوتهم وركونهم إلى الذل والهوان، وضرورة عودتهم إلى دورهم المطلوب والمنتظر منهم كدروع تحمي الأرض والدين، من ظلم المحتل الغاصب، ولكن مع هذا كله فإن الكيلاني جعل سبب هجومه عليهم هو فقط أنهم لم يتبعوا عمر ولم يصدقوه في زعمه ذاك. [1]

هناك لمحات في لغة هذه الشخصية التي اختارها الكيلاني من التاريخ، فكثيراً من الأحيان نراه يتحدث بكلمات عصرية، ونراه في بعض الأحيان يتكلم كالصوفيين، فالصوفيون كما هو معروف لهم لغة خاصة مميزة لهم، واهتمام الكيلاني بالشيخ الصوفي متكرر في رواياته وهذا الأمر سنتطرق إليه في الفصل القادم بإذن الله، وهذه الشخصية نراها تقول لـــ "راشيل" على سبيل المثال :" قلبي لا يكذب .. الذين يعشقون الجمال الظاهري وحده سطحيون، والذين يعشقون القوة المادية، ويستسلمون لها ضعفاء، والذين يتعبدون في محراب اللذة الفانية هم مشركون، أو عبدة للأوثان. عندما تعشقين الحق والخير والجمال كوجه من أوجه الكمال الإلهي في خلقه فستكونين مع الرجل الصاعد."[2]

---

[1]- عمر يظهر في القدس، ص ١٣٥ و ١٣٨ .

[2]- المصدر نفسه، ص ١٢٢ .

وعن سبب ظهور عمر في مدينة القدس يقول الكيلاني على لسان أحد المعلقين :"إن هذا الزمان بنقائصه وانحرافاته أنسب مناخ لظهور رجل كعمر، كي يلزمه الجادة، ويأخذ بيده إلى طريق الخير والفضيلة والعدل"[1]

وهو يقول على لسان عمر :"يا أبنائي ما جئت لأسقط حكومة، أو أخوض معركة واحدة وأمضي .. ولكن جئت لأذكركم بكلمة التوحيد التي ترددونها في صلواتكم كل يوم دون استيعاب .. عندما تسير جموعكم على جناحي الشهادتين، فستنالون الحرية والنصر والعدل .. وسيكون الموت في سبيل الله نصراً، والحياة لدعوة الله نصراً .."[2]

ود. محمد حسن بريغش يرى أن الكيلاني اختار شخصية عمر بن الخطاب لعدة أسباب منها:

١. "لأنها شخصية واقعية لا يستطيع عدو – فضلاً عن الصديق – أن يماري في نصاعتها، وحقيقتها، واستقامتها، وعبقريتها، وسعة إدراكها للأمور." [3]

وهذا الأمر لا شك فيه، لكن هل استطاع الكيلاني أن يظهر هذه الشخصية بهذه الصفات التي نتفق معه عليها؟ فنحن رأينا كيف كانت هذه الشخصية بعبقريتها تكون محطاً للسخرية والاستهزاء، ورأينا هذه الشخصية المعروفة بـــ"سعة إدراكها للأمور" يغيب عن

---

[1]- عمر يظهر في القدس، ص ١٩٠ .

[2]- المصدر نفسه، ص ٢١٤ .

[3]- بريغش، في الأدب الإسلامي المعاصر، ص ٢٠٣ .

ذهنها أن القرآن الكريم باقٍ بدون تحريف ولا تبديل حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

٢. "لأنها شخصية تحوز على كل الصفات المطلوبة من المسلم، وتحوز على الإعجاب، وله في نفوس المسلمين ذلك القدر الكبير من شعور الحب والاعتراف بالإيمان والعبقرية والصدق والأمانة والوعي"[1].

وهذا أيضاً نوافقه عليه، ولعله أن يكون هو السبب الأكبر لعدم استساغتنا لجعل هذه الشخصية هي عمر لأنها لها هذه الصفات التي ذكرها د. بريغش هنا، فهذه الشخصية بما لها من الاحترام والتقديس نراها يجب أن تكون بمنأى عن مثل هذا العمل الذي شابه كثير من التجاوزات أو الجرأة، ويشفع للكيلاني حسن نيته وعدم الشك في حبه للإسلام والمسلمين.

٣. "شخصية عمر رضي الله عنه بوضوحها ومميزاتها الإيمانية والعملية تستطيع أن تعطي الصورة المتميزة الفريدة للمسلم في أي عصر"[2].

وأرى هنا أن هناك نماذجَ من التاريخ الإسلامي كان لها من النصاعة والوضوح والتميز قدر كبير، وفي نفس الوقت ليس لها من القدسية التي لعمر بن الخطاب رضي الله عنه كصحابي جليل وثاني الخلفاء، فكان بإمكان الكيلاني اختيار شخصية مثل "عمر بن

---

[1]- بريغش، في الأدب الإسلامي المعاصر، ص ٢٠٣.

[2]- المصدر نفسه.

عبد العزيز" أو غيره من الشخصيات المتفردة والمتميزة وهي كثيرة في التاريخ الإسلامي، إذ يبقى أن للصحابة منزلة يجب أن تُحفظ وأن يكونوا في منأى عن كل ما قد يكون سبباً في التهوين من شأنهم مهما كان ذلك بسيطاً.

٤. "عمر هو الذي حضر فتح القدس واستلم مفتاحها ولهذا ارتبط وضعها الإسلامي باسم الخليفة الفاروق واختياره لهذه القصة له صلة بهذه الواقعة التاريخية"[1].

وهذا الأمر أيضاً كالنقطة السابقة، فقد كان بإمكان الكيلاني اختيار شخصية مثل شخصية "صلاح الدين الأيوبي" الذي ارتبط بالقدس وتحريرها، ولو فعل ذلك لكانت الرواية أقرب إلى الواقع، ولكان الناس أكثر استعداداً لتقبلها والرضا عنها، ولاستطاع الكيلاني أن يؤدي الغرض المقصود من هذه الرواية، بدون أن يقع في ما وقع فيه من هنات.

د. محمد حسن بريغش يرى أن شخصية عمر هنا "ليست شخصية تاريخية مضت وانقضى عصرها، بل هو المسلم الحقيقي في كل عصر، المسلم الذي يعاني هذه الأزمات، ويكتوي نار الغربة والقهر والحرب، ويجاهد بإخلاص حاملاً الحب والخير للإنسان في هذا العالم"[2].

---

[1]- بريغش، في الأدب الإسلامي المعاصر، ص ٢٠٣.

[2]- المصدر نفسه.

وهذه الرمزية كان من الممكن تقبلها لو أن هذه الشخصية كانت ظهرت في حلم رآه الراوي بشكل مكشوف ومحدد، أو لو أن الكاتب ذكر ظهور هذه الشخصية عرضاً وكأنه شيء طبيعي، ولكن الكاتب أصر على جعل هذه الشخصية شخصية واقعية جاءت لنا من أعماق الماضي كمعجزة، وكل من لا يصدق بها فهو معرض للانتقاد والتجريح.

بقي أن نذكر قول د. غازي مختار طليمات[1] فهو يقول جواباً على تساؤل لماذا استقدم الكيلاني هذه الشخصية من عالم الغيب إلى عالم الشهادة فيقول :"غالب الظن أنه استقدمه ليهز به المجتمع الإسلامي، ويزلزل الركود والجمود، وليذكر الفروع بالأصول، والأقزام بالعمالقة، والباطل السائد بالحق البائد، وهو يدرك أكثر مما ندرك أن الزلازل حركات عارضة تصيب الأرض، لا حركة دائمة يقتضيها نظام الفلك، وأنه بالهزة التي يزمع أن يزعزع بها العالم الإسلامي سيثير العامة لا الخاصة، ويبعث في الجذور دفقة زاخرة من حياة تنعش من يكابدون ويجاهدون، وتغيظ من يسالمون ويستسلمون. وأعمار الهزات ودرجاتها كعُمْرِ عُمَرَ في القدس تقاس بالدقائق والثواني لا بالقرون والسنين، ولذلك لم يكن بد من اختفائه السريع للحفاظ على كيان البنيان أياً كان الأساس الذي يقوم عليه، لأن بقاء عمر يهدد توازن العالم كله، ويبث الارتباك

---

[1]- شاعر وأديب سوري يعمل أستاذاً في كلية الدراسات الإسلامية والعربية في دبي، من مؤلفاته "محكمة الأبرياء" وهي مسرحية شعرية عن البوسنة، إصدار رابطة الأدب الإسلامي العالمية. انظر الهامش في ص ٦٩ من مجلة الأدب الإسلامي ، السنة الثالثة، العددان التاسع والعاشر، رجب – ذو الحجة ١٤١٦هـ.

والخلل في نظامه الجديد العنيد، فليختف كما ظهر قبل أن تتشكل محكمة دولية تحكم على هذا الوافد البدوي المتذمر بالنفي من عالمنا المتحضر.

والخلاصة أن من يقرن عمر هذه القصة بعمر الزمن، وعمر الفاروق بعمر التاريخ ليقف على مغزى ظهور عمر واختفاءه، وعلى طول الفترة التي بزغ فيها نجمه قبل أن يأفل يدرك أن هذه القصة لم تكن أكثر من برق كاشف فضح مخزيات الواقع، أو أكثر من صاعقة مضطرمة انقضت من السماء على الأرض، لتحرق أشواك النفاق والجبن والخوف. لقد اختفى عمر كما ظهر، وعاد كل شيء إلى ركوده وجموده، وسارت الأحداث في غير الطريق التي رسمها الكاتب."[1]

وتبقى شخصية "عمر" في هذه الرواية تثير – كما أثارت في حين نشر هذه الرواية – ردود أفعال شتى منها الموافق ومنها المخالف.

---

[1]- الجذور في رائعة الكيلاني ، د. غازي مختار طليمات، مجلة الأدب الإسلامي ، السنة الثالثة، العددان التاسع والعاشر، رجب – ذو الحجة ١٤١٦هـ، ص ٦٩-٧٨ .

الفصل الثالث : شخصيات ثانوية في روايات د.الكيلاني.

بعد دراسة الشخصيات الثانوية في روايات نجيب الكيلاني من الممكن أن نجد أن هناك من الشخصيات الثانوية بأنواعها المختلفة فالكيلاني اختار من شخصياته الثانوية نماذج بشرية، واختار في مقابلها شخصيات إنسانية، وإلى جانب ذلك نرى شخصيات خيّرة وشخصيات شريرة، أراد لها الكيلاني أن تكون نماذج للخير والشر في صراعهما معاً على امتداد الزمان.

وهناك شخصيات نامية استطاعت أن تجذب القارئ مع أنها شخصيات ثانوية إلا أنها شاركت بدور مهم في الأحداث وفي خارطة الرواية بشكل قوي. وسأختار في هذا الفصل بعض الشخصيات التي أراد لها الكيلاني أن تقوم بدور ما في الرواية، ونرى مميزات هذه الشخصيات وأهميتها وهل استطاعت أن تقوم بالدور المنوط بها أم عجزت عن ذلك ؟

شخصيات نامية :

سنأخذ في هذا الموضوع شخصيتين ثانويتين استطاعتا أن تقوما بالدور الذي أراد لهما الكيلاني بشكل ناجح، وأدتا الهدف من وجودهما وكان لهما تأثير في الأحداث، واستحقتا منا وقفة هنا بنموهما وتطورهما، وهاتان الشخصيتان هما : "محسن" في رواية "طلائع الفجر"، و"محروس" في رواية "رأس الشيطان".

"محسن" في رواية "طلائع الفجر":

اختار الكيلاني أن يبدأ بالكشف عن هذه الشخصية بتصويرها شخصية شابة، لاهية، ليس لها هم في الدنيا إلا اللهو والعبث، ولم يكن لها اهتمامات جدية أو عميقة. وكانت أمه تعطف كثيراً عليه برغم كسله واستهتاره، وهذا أمر قد يبدو غريباً، لكن لا حيلة لها فيه، ولعل عنف والده الدائم به جعل الأم تميل إلى صف ولدها..[1]، ويكمل الكيلاني رسم هذه الشخصية بقوله عن موقف والده منه، فهو غاضب منه والسبب في ذلك هو أن "محسن" لم يلتحق بصفوف المجاهدين في وقت زحف القوات الإنجليزية لاجتياح بلدته "رشيد"[2] ويصرخ فيه أبوه تأثراً :" الناس ينالون من شرفنا بسببك .. يسخرون منك .. هل أنت حجر؟" وقفت الأم بينهما، وأخذت ترفه عن زوجها بالكلمات المرحة، وتربت على صدره في ود، وتتوسل إليه أن يترك هذا الأمر الآن، فاستدار "طاهر بك"[3] صوب باب الغرفة وهو يقول :" يجب أن تفهمي أنني أحبه أكثر مما تحبينه أنت .. لكني أريده رجلاً .. أتفهمين ؟ أريد أن يكون ابني رجلاً.."[4]

---

[1]- طلائع الفجر ، ص ٢٣ .

[2]- مدينة مصرية تقع فيها أحداث هذه الرواية إبان حكم محمد علي باشا وتعرضت للحملة الإنجليزية الشهيرة على مصر والتي تسمى حملة "فريزر" عام ١٨٠٧م. انظر: المقدمة في رواية طلائع الفجر، ص٩.

[3]- والد محسن وهو أحد أعيان وعمدة بلدة رشيد، انظر: طلائع الفجر، ص ٢٠.

[4]- المصدر نفسه، ص ٢٤.

ويُتبع الكيلاني هذا الوصف لــ"محسن" بوصفٍ لأخيه "إبراهيم" الذي يدخل والبندقية القديمة معلقة بكتفه، وكيس قماش متسخ ممتلئ بالذخيرة يتدلى في الجانب الآخر، والغبار عالق بأهدابه وملابسه.[1] وهذا الوصف مع أنه كان لشخصية أخرى وهي شخصية "إبراهيم" إلا أنه بمجيئه في عقب إعطائنا صورة "محسن" في هذه الرواية، قد ساعد على بيان الفرق الكبير بين الأخوين : "محسن" و"إبراهيم"، ولعل الكيلاني قد قصد ذلك ليؤكد البون الشاسع بين الاثنين، فــ"محسن" لم يكن يهتم بالحرب أو بالدفاع عن بلدته أو أهله، بل كان منحصر التفكير في مجال ضيق جداً، وهو "نفسه"، فلم تحرك توبيخات والده المتكررة فيه ساكناً، ولم يفكر مرة أن يستجيب لكلمات أخيه الذي كان دائم النقاش معه، ومحاولاته المستمرة بإقناعه بالانضمام إلى المجاهدين، فنراه مستمراً في لهوه وعدم اكتراثه، واستمرت هذه الشخصية على هذا المنوال في بداية الرواية لفترة من الزمن حتى فاجأتها الأحداث بوقوع "محسن" مع خطيبته "وداد" في أيدي الغزاة الإنجليز وذلك في كمين نُصِبَ بشكل عشوائي، الأمر الذي جعل قائد الحملة الإنجليزية يبتسم ابتسامة عريضة ويقول :"صيد ثمين، إن الأسير هو ابن عمدة رشيد، والفتاة هي خطيبة الأسير".[2] وبهذا الحدث بدأت هذه الشخصية بالنمو والتغيير، فاستغل الكيلاني هذا الحدث أفضل استغلال، فقد بدأ المونولوج عند "محسن" فقد أخذ يفكر في وضعه الجديد المؤلم، كان يدعو الله أن يرزقه بمن ينقضّ على المعسكر الإنجليزي وينتشله هو و"وداد" من هذه الورطة، ثم يتساءل بينه وبين نفسه، "هل من العدالة الإلهية أن يذوق مرارة

---

[1]- طلائع الفجر، ص ٢٥ .

[2]- المصدر نفسه، ص ٩٧ .

الأسر، ويتجرع كأس الهوان وهو لم يحمل سيفاً .. أو يطلق بندقية أو يفكر في خوض معركة؟ أما كان الأحرى بهذا الكمين أن يتصيد أحداً غيره من أولئك الشباب الذين لا يخلعون عن أجسادهم رداء الحرب منذ أن وطأ الإنجليز أرض مصر، أم أن الله أراد أن ينتقم من تقاعسه وتبطله وعربدته؟ ترى ماذا يقول عنه الناس الآن في رشيد؟ وما موقف أبيه و"أحمد بك عاصم"[1] وأخيه "إبراهيم"؟.[2]

ونرى أن الكيلاني أراد أن يؤكد هذا النمو والتغيير الذي بدأ في هذه الشخصية فيقول :" أطبق ثلاثة جنود على محسن وفي أيديهم السياط ومعهم كلب مدرب .. لم يكن "محسن" يصرخ أو يستعطف، بل كان يتأوه تأوهات مكتومة كلما فرقعت السياط على جسده، أو أنشب الكلب أنيابه في ظهره، أو ركله أحدهم بحذائه الغليظ، كانت كل ضربة تزيده غيظاً وحقداً وعناداً، وتملأ نفسه بغضاً وكراهية لهم، أو بمعنى آخر كانت شخصيته تتغير تغيراً إيجابياً، وتتشرب معاني جديدة لا عهد له بها، فقد ابتدأ الآن يفهم من هم أعداؤه وأعداء بلاده، واتضحت له أخلاقهم عارية من كل زيف، خالية من كل طلاء، فإذا بهم وحوش ضارية، وإذا بمدنيتهم تبرز على حقيقتها جشعة متمردة، وإذا أطماعهم ليست كما يزعمون بريئة منزهة، ولكنها سطو واستغلال .. وأخيراً غاب

---

[1]- هو والد خطيبته وداد.

[2]- المصدر نفسه، ص ٩٩.

محسن عن نفسه وتاه عن كل ما حوله، ولم يعد يحس بتعذيبهم العنيف، وقسوتهم المطردة فقد أغمي عليه .. [1]

والكيلاني هنا لم يثق بقدرة القارئ على استكشاف وفهم هذا التغيير الذي يحصل في شخصية "محسن" فأثبت هذا التغيير بقوله "كانت شخصيته تتغير تغيراً إيجابياً"، وأرى أن الكيلاني قد جانب الصواب في هذا الأمر، وأفقد النص كثيراً من انسجام القارئ معه، ولو أنه ترك القارئ بنفسه ليحصل على هذه الفكرة، وليكتشف بنفسه هذا التغيير لكان ذلك أكثر استمتاعاً وتجاوباً من القارئ. فليس هناك حاجة لمثل هذه العبارة التي زجها الكيلاني في هذا النص هنا.

وقد ساعد في نمو شخصية "محسن" أنه عرف بالصدفة بشأن زواج أخيه "إبراهيم" من ابنة "قطان باشا" الأرميني الأصل الذي أعلن إسلامه إلا أنه كان عميلاً للإنجليز، فزوج ابنته من "إبراهيم" لتقوم بالتجسس على عمدة البلدة لأنه كان من أهم الأشخاص في مقاومة القوات الإنجليزية، ووقع "محسن" في عذاب مؤلم زيادة على ألم الأسر،ولم يكن في وسعه أن يفعل أي شيء في هذا الشأن.[2]

ثم استطاع "إبراهيم" أن يقتحم معسكر الإنجليز ويحرر أخاه "محسناً" من الأسر، ليقع "محسن" في حيرة أكبر حين عاد إلى منزله فقد أخذ "يقارن بين ما

---

[1]- طلائع الفجر، ص ١٠٥.

[2]- المصدر نفسه، ص ١٦٢.

يراه على وجه "روز"[1] من نقاء وطهر وبراءة، وبين ما سمعه من خداع وتضليل وخيانة عنها، أيهما يصدق ؟ هل يصدق الصورة التي ارتسمت في ذهنه وهو في معسكر الأسر؟ أم يصدق ما يراه في ملامحها من صفاء؟ وهل من اللائق أن يسكت أم أن ذلك السكوت سوف يكون جريمة بشعة في حق أخيه وأسرته ومدينته؟ هل يتكلم فيقلب البيت إلى جحيم، ويحطم سعادة أخيه، ويقضي على هذه الفتاة التي لا بد وأنها واقعة تحت تأثير أبيها وجشعه؟ إن السكوت على الخيانة جريمة .. وتحطيم سعادة أخيه هي الأخرى جريمة.. إنه بين جريمتين لا فكاك من اقتراف إحداهما .. إنه في حيرة قاتلة لعل الأسر في بعض حالاته أخف منها بكثير..[2]

ويُتوّج هذا التغيير في شخصية "محسن" عندما سألته أمه عن كيفية فراره من الأسر، فلا يجيبها عن الكيفية وإنما يؤكد على أنه عاد لكي يحمل السلاح فقد قال :"لم أعد إليها وكفى، ولكني عدت لكي أحمل السلاح، وأطلّق حياة العبث والمجون، لقد أخذت درساً لن أنساه .."[3]

"واندمج "محسن" في الحياة الجديدة التي أرادها لنفسه، حياة السهر والسلاح والإعداد .. للمعركة المنتظرة، ولم يجد معارضة تذكر من أمه، وفي نفس الوقت وجد ترحيباً وتقديراً كبيرين من أبيه وأخيه وأهل المدينة .. صحيح أن نوبات من الفتور والحنين إلى ماضيه كانت تنتابه من وقت لآخر، لكن

---

[1]- زوجة أخيه إبراهيم، وابنة قطان باشا.

[2]- طلائع الفجر، ص ١٧٦.

[3]- المصدر نفسه، ص ١٧٦.

مرارة التجربة التي خاضها، وإرادته القوية التي تربت في خضم الأحداث الجسام التي حاقت به، كانت تحميه من الانتكاس والسقوط فيرفع رأسه في تحد، ويندفع إلى الأمام في إصرار، فيحوز النصر على نزواته وأهوائه، وإن كان يدفع الثمن، ثمن هذا النصر من أعصابه المتمردة .."[1]

وبقيت مسألة "روز" ووالدها الجاسوس تؤرق "محسناً"، ثم اهتدى إلى طريقة رأى أن فيها حلاً لهذه المشكلة، فقد تقمص شخصية "المقنَّع" وهي شخصية غامضة كانت تقوم بأعمال الاستكشاف ومعرفة أحوال العدو الإنجليزي، وكانت مثالاً للبطولة التي يمجدها الناس، ولم تُعرف حقيقة هذه الشخصية إلا في آخر الرواية، ولم يكن "محسن" يعرف بحقيقة هذه الشخصية الغامضة إلا أنه رأى أن بإمكانه أن يتقمص هذه الشخصية الغامضة التي يخاف منها الأعداء وتثير الإعجاب في نفوس أهالي "رشيد" فأرسل خطابين موقعين باسم "المقنع": الأول إلى "روز"، والثاني إلى "قطان باشا"، يهدده فيه ويتوعده ويبلغه بانكشاف سره وتآمره مع الأعداء، ويخوفه من مغبة عمله، ويطلب منه الكف عن ذلك وإلا فإنه سيكشف أمره لأهالي "رشيد"، وقد تكرر إرساله للخطابات حتى كانت النتيجة أن "قطان باشا" توقف عن معاونة الإنجليز لفترة من الزمن خوفاً من تهديد "المقنع" الذي وقَّع "محسن" الخطابات باسمه.[2]

واستطاعت هذه الشخصية – شخصية "محسن" – أن يكون لها دور فعال ومؤثر في آخر الرواية بهذا التصرف الأخير، بعد أن كانت مجرد شخصية

---

[1]- طلائع الفجر، ص١٨٠ .

[2]- المصدر نفسه، ص ١٩٢ .

على الهامش من الحياة والأحداث، لا هم لها إلا اللعب واللهو، فتحولت وانطلقت في إيجابية مؤثرة، لتقوم بما عليها من واجبات للدفاع عن بلدها، وتيقظت لأطماع الأعداء فيها، ثم بتدخلها في سير الأحداث وذلك بخطاباته لــ"قطان باشا" وابنته، الأمر الذي حسم هذه الخيانة من "قطان باشا" وخفف وطأته على ابنته "روز" التي كانت تعاني من التناقض في اتباع ما يطلبه منها والدها، وما يجب عليها تجاه زوجها والبلد التي نشأت بها وحملت لها الوفاء والإخلاص.

"محروس" في رواية "رأس الشيطان" :

يبدأ الكيلاني في رسم شخصية "محروس" في هذه الرواية بتقديمه للقارئ على أنه ناظر العزبة[1] الذي يعمل عند "عثمان باشا" الإقطاعي ذي الأصول التركية، فيقول :"وقف "محروس أفندي" – ناظر العزبة – أمام الباشا مطأطئ الرأس خاشعاً، يتمتم بلا صوت، وكأنه يؤدي الصلاة وشعائرها أمام الشيطان الجالس فوق أريكته العالية.."[2]

فــ"محروس" يعمل عند الباشا منذ نعومة أظفاره وقد حل محل أبيه بعد موته، وهو ينفذ أوامر الباشا بحذافيرها ويعمل جاهداً على إرضاءه بغض النظر عن الأذى الذي يقع على الفلاحين الفقراء، فلم يكن ذلك يشغله عن أداء عمله لإرضاء الباشا.

---

[1]- العزبة هي المزرعة باللهجة المصرية .

[2]- رأس الشيطان، ص ٦ .

ولننتقل إلى الحوار الدائر بين "محروس" وبين الباشا الذي استفاد منه الكيلاني ليبدأ تطور الأحداث ونموها، الأمر الذي استدعى حدوث تغيير في شخصية "محروس"، ووضوح هذا النمو في هذه الشخصية، فيقول الباشا لمحروس :"أنت أضعف من أن أثق بك ..

- وكيف أحوز ثقتك يا باشا؟
- بشيء واحد ..
- ما هو ؟
- لن يكلفك غير خمسة قروش .. وقلب رجل شجاع ..
- أنا طوع أمر معاليكم ..

ورفع إليه الباشا عينين نافذتين كعينيّ ثعبان شرس، وقال في هدوء يُخفي في طياته نذر العاصفة :

- يجب أن يموت الدكتور ضياء الدين[1]، هذا الوغد لا أريد أن أسمع صوته .. ولا أصطدم بمرآه .. إنه يجثم فوق روحي كالكابوس المزعج .. فما رأيك ؟؟

فقال محروس أفندي متلعثماً :

- لكن .. لكني أخاف الله ..

فرد الباشا، وضحكة شيطانية تنبعث من بين شفتيه :

- ألم أقل لك إن المسألة تحتاج لقلب رجل شجاع يا محروس أفندي ؟

---

[1]- د. ضياء الدين : درس القانون في باريس وعاد إلى بلاده وهو يحاول أن يبصّر الفلاحين بحقوقهم، وأن يساعدهم في مواجهة الإقطاعيين. انظر: رأس الشيطان، ص١٥.

- القتل حرام .

- أيها الأبله . إنك لا تخاف الله بقدر ما تخاف أولئك الفلاحين الذين تعلقت قلوبهم بزيف كلامه، ووده الكاذب، ولسانه الذرب، والمبادئ التي يحدثهم عنها .. المساواة .. العدالة .. الحرية .. تكافؤ الفرص .. الخبز للجميع .. أنسيت أن مثل هذا الرجل يثير الاضطراب والفوضى في المنطقة، فيعرض أمنها للخطر، ويتسبب في إراقة الدماء، إنه رأس الفتنة .. إذا انتهى عاد السلام .. وتدفقت ألوف الفلاحين في المرة القادمة نحو صناديق الاقتراع .. وانتصر حزب الشعب .. ثم لك بعد ذلك أن تطلب ما تشاء .. فماذا قلت ؟

ورفع الناظر عينين مخضلتين بالدموع، تطل منهما الرهبة والفزع، وتمتم:

- سيدي .. لا أستطيع.

- لماذا ؟

- لأني لم أفعلها قط ..

- أيها الساذج لا تفعلها بنفسك .. أليس لديك رجال ؟

- الرجال ملكك .. عبيدك .. أما أنا فلا أستطيع .. إني أخاف الله ..

وارتعش شارب الباشا، ونظر طويلاً إلى الناظر ثم تمتم :

- هل تحبه ؟ تكلم بصراحة .. لا تخف .

- أنا لا أكرهه ..

- يخيل إلي أنك تتجاهل عداءه لي .. وأنت ساعدي الأيمن .

- بل أمقت ذلك أشد المقت .. لكني لا أستطيع قتله .."[1]

وهذا الضغط من الباشا الذي مارسه على "محروس" يبدو أنه قد أتى بنتيجة عكسية تماماً لما يتمناه الباشا أو يتوقعه، فبدلاً من أن يخاف "محروس" من سلطة الباشا ويطيعه هرباً من بطشه فيقتل "ضياء الدين"، نرى أن "محروس" لم ينطق بكلمة تدل على إمكانية موافقته على ذلك، وأصر - مع مناقشة الباشا له - على أنه لا يستطيع القيام بهذا الأمر ولم يتزحزح عن هذه الوقفة التي استدعت وقفات أخرى ستأتي لاحقاً كحلقات يشد بعضها بعضاً، والحلقة الثانية أتت بعد أن خرج "محروس" من اجتماعه مع الباشا فقد طلب من الحارسين المرافقين له أن يذهبا إلى أماكنهما، وادّعى أنه في طريقه إلى بيته، إلا أنه في الحقيقة لم يقصد بيته كما زعم، بل "عرج على بيت د. "ضياء الدين" وهو غارق في طوفان من المشاعر الإنسانية الكبيرة، تلك المشاعر التي كادت أن تموت في عامين قضاهما ناظراً لعزبة الباشا بعد موت أبيه .. كانت على شفتيه كلمة يريد أن يصبها في أذن "ضياء" .. لأنها تتصل اتصالاً وثيقاً بحياته .. كإنسان .. كإنسان كبير لا يصح أن يموت."[2]

ثم نراه قد حذر "ضياء الدين" مما يراد به، ورجاه أن يغادر القرية إلى المدينة ليبتعد عن بطش الباشا، وأدرك "ضياء" أن "محروساً" ركل المال والإغراء، ونسي الباشا من أجله ومن أجل مبادئه التي كان ينشرها بين الناس.

---

[1]- رأس الشيطان، ص ١١و ١٢.

[2]- المصدر نفسه، ص ١٣.

ومحروس السابق غير محروس الآن، فقبل فترة قليلة كان يقف أمام الباشا مطأطئ الرأس كأنه في صلاة للشيطان، نراه "يخرج من عند ضياء يتحسس الطريق بأقدامه المتعبة، ورأسه مرفوع إلى أعلى في اعتداد ورضا.. وريح رخية تشبه ريح الجنة تلامس وجهه وعينيه المخضلتين بالدموع .. وذكرى أعوام تمر بمخيلته كالشريط السينمائي، ليس فيها غير الانحناءات والصلوات الآثمة في محضر الباشا، وجمع الإيجار، وسَوق الفلاحين إلى ساحة القصر لسماع أوامره، والمؤامرات العديدة وسياسة القمع والإرهاب، وخيول الباشا إذا مرضت .. وبهائمه التي ولدت، وأكياس القطن وعددها، ومحافل ومسامر ومأدبات يفد إليها أقوام غرباء ... سنوات كوجه الشيطان ليس فيها لمحة من نور إلا وجه الشيخ "الشاذلي"[1] وهو يتوسط جموع الذاكرين والمتصوفين، وزيارات "ضياء الدين" الخاطفة حيث يؤمه الكثيرون ويضعون أمام بصره كثيراً من علامات الاستفهام التي استغلق عليهم الإجابة عنها..[2]

الحلقة التالية في سلسلة حلقات نمو شخصية "محروس" كانت في بداية محاولته – ولو تفكيراً فقط بدون أن يتطور الأمر إلى تصرف فعلي بعد – وهو التحرر من قبضة الباشا، فهو "يتنهد في ألم ويتساءل : متى ينطلق من إسار هذا السجن الرهيب ؟ وكيف ؟ عثمان باشا واهب الأرزاق وحامل السوط، يعطي بالشمال ويضرب باليمين، وسجنه عتيد غليظ الأسوار لا يكاد يفلت منه أحد ..

---

[1]– الشيخ الشاذلي شيخ طريقة صوفية له أتباع في القرية كثيرون، يمثل نموذجاً للإنسان الزاهد الذي لا تحركه أهواء أو مصالح، لا يرهب أحداً إلا الله. انظر : رأس الشيطان، ص ١٩ .

[2]– المصدر نفسه، ص ١٨ .

تركي خبيث مغرور لا يتهاون ولا يطأطئ رأسه ولا يعترف بالهزيمة .. وأنا .. وأبي وأولادي من زمن بعيد نطلق البخور في ساحة قصره، ونجبي له الخراج، ونتحرك كقطع الشطرنج بين أصابعه .."[1]

ويبدو أن هذا الانطلاق الذي يتطلع إليه "محروس" لم يكن بعيداً كثيراً عنه فالكيلاني يذكر بعد ذلك تطور الأحداث، وأنه قد طُرد من القرية بسبب أن الباشا قد أوغر صدور أولاده فضربوه وفُضح أمام الناس، واتهموه بالجنون وبله الشيخوخة .. و"محروس" يقول لـــ"ضياء" :"أنا أولادي وأولادي هم أنا، لكن الباشا استطاع أن يجعلنا فريقين متناحرين، وخرجت من القرية مطروداً لا أدري أين أذهب .. لكن ألا تظن أن في ذلك تكفيراً لذنوبي، وتحريراً لي من قبضة الشيطان؟ سوف أتسول لكني سوف أعيش شريفاً مرتاح الضمير.."[2]

وقد يكون هذا التغيير الذي حصل لـــ"محروس" ليس باختياره وإنما قد أُجبر عليه بفعل ظروف خارجة عن إرادته فطُرد من القرية، وهذا يعيدنا إلى ما ذكرناه من تأثير الأحداث على مواقف الشخصيات، ولكن صدق توبته ورغبته في العيش الشريف، قد أكد أن هناك تغييراً داخلياً عميقاً حدث في هذه الشخصية وليس شيئاً عابراً، فكان أن استوعبه "ضياء" وأصر على بقاءه معه في بيته، ثم دبر له عملاً مناسباً في فتح محل تجاري بسيط ليعمل فيه ولا يشعر بأنه عبء على "ضياء".[3]

---

[1]- رأس الشيطان، ص ١٩.

[2]- المصدر نفسه، ص ٧٣.

[3]- انظر : المصدر نفسه، ص ٧٩.

وهذا التغيير كان عميق الأثر في نفس "محروس" فهو يذكر من آن لآخر عملاً خسيساً فعله بأمر الباشا أو بأمر أبيه، ويخجل من نفسه، ويغمغم :"هيه .. كانت أيام جهل .." كل الخواطر والذكريات كانت تطوف بذهنه فيختلج جسده، لكنه سرعان ما يلامس لحيته البيضاء، ويتنهد في أسى ثم يحوقل ويبسمل ويستغفر الله.[1]

توقف الكيلاني عند المشاعر التي كانت تتضارب في نفس "محروس" بسبب عقوق ولده "سلطان"، ومشاعر السكينة والراحة ببعده عن الظلم والقهر الذي كان يقوم به سابقاً، فيقول الكيلاني واصفاً تلك المرحلة عند "محروس": "ثلاثة أسابيع مرت منذ قدم "محروس"، لقد شعر خلالها بفيض من الراحة والسلام ينسكب في حنايا قلبه، وأخذت مأساته تنزوي رويداً رويداً في ركن قصي من نفسه، لكنه لم يكن ينسى أن تلك اليد التي غذاها ورباها حتى أصبحت يد رجل .. يد ابنه "سلطان" لم تكن لتمتد إليه بالأذى في يوم من الأيام وتصفعه لتحريض الباشا، أو إغراء المنصب الجديد، وكان يفكر من آن لآخر .. "سلطان ابني وحش مجنون" .. ولن يكون سوى مقصلة يقطع بها الباشا رقاب مناوئيه والمعترضين على نزواته ورغباته، وعندما يصحو ضميرك يا "سلطان" – وهيهات – تكون قد فقدت كل شيء .. وتبكي بدل الدموع دماً.."[2]

وكأن "محروس" يدرك – من خلال تجربته مع الباشا – أن من يلطخ نفسه بمثل هذه الأعمال لا يستطيع الفكاك منها بسهولة، ولا يجد وقتاً للتوقف والتفكر

---

[1]– رأس الشيطان، ص ٧٨.

[2]– المصدر نفسه، ص ٧٧.

أو التدبر، وهذا فعلاً ما حدث لابنه "سلطان" الذي كان مصيره أن يقتله أهل قريته الذين أذاقهم العذاب ألواناً.[1]

والكيلاني يصور حال "محروس" بعد قتل ولده، فهو يبكي بحرقة "لا من أجل "سلطان" الشرس الطاغية الذي عق أباه وتنكر لقومه، وانصاع لإغراء الباشا حتى أورده موارد الموت .. ولكنه يبكي "سلطان" الابن .. "سلطان" الذي من لحمه ودمه .. ويبكي أيضاً من أجل المصير السيء والذكرى البشعة التي خلفها ابنه في قلوب خلق الله .. إن الله لا شك غاضب على ابنه .. والعصاة مأواهم نار جهنم .."[2]

ولعل تأثر "محروس" بقتل ولده كان عميقاً لأنه لم يكن يتصور أن مصير ابنه سيكون الموت، لقد ظن أنه حتماً سيفيق إلى نفسه في لحظة من لحظات اليقظة الروحية، وينتبه ضميره إلى الحضيض الذي تدلى فيه، فيندم على عقوقه لأبيه، وتنكره للفلاحين من أهل قريته، ويثوب إلى رشده ..[3]

ومع عمق تأثره بمقتل ابنه إلا أن "محروساً" عندما عاد إلى القرية استقبله أهل القرية بترحاب وأتوا جميعاً لتقديم واجب العزاء له ومواساته في مأساته فيقول لـــ"ضياء" :"خُيِّل إليّ أن هؤلاء الفلاحين لا يمكن أن يكونوا هم قتلة ابني .. أنا واثق أنهم لم يقتلوه .. أعني لم يروا فيه "سلطان" ابن "محروس"

---

[1]- رأس الشيطان، ص ١٧٨.

[2]- المصدر نفسه، ص ١٨١.

[3]- المصدر نفسه، ص ١٨٢.

وهم يقتلونه .. لا شك أنهم كانوا ينتقمون من طغيان الباشا وكبريائه المدمرة تلك التي تجسمت في ولدي المسكين المغرور .. إن قلبي يا "ضياء" يغفر لهؤلاء الناس كل شيء .. إنهم طيبون أبرياء .. لكن لعنة الشيطان القابعة وراء أسوار القصر الكبير تلاحقهم .. "[1]

توافق شخصية "محروس" مع خط سير الرواية وهدفها العام :

الرواية تتناول قضية الإقطاع والاحتلال الإنجليزي، فقد كانت الرواية تتناول بيئتين متقابلتين : القرية وفيها الإقطاع، والمدينة وفيها الاحتلال الانجليزي، وكانت شخصية "محروس" ضرورية في بناء هذه الرواية في البيئة الأولى وهي القرية، لتعطي القارئ الصورة الواقعية لتلك الفترة ولتفضح الإقطاع وممارساته، وهذه الشخصية هي ضحية لتلك الممارسات كما كان ابنه أيضاً المعتدي والضحية في آن معاً، وقد اعتمد الكيلاني في رسمه لهذه الشخصية على البعد الاجتماعي والبعد النفسي وذلك لأهميتهما في رسم هذه الشخصية معاً.

والنمو الذي رأيناه في هذه الشخصية كان واقعياً فهو قريب الشبه بما يحدث على أرض الواقع بشكل كبير، واستطاعت هذه الشخصية أن تقوم بدورها الخاص ببعديها – الاجتماعي والنفسي– وأن تمشي جنباً إلى جنب مع الأحداث ومع الشخصيات الأخرى. ومع أن هذه الشخصية من الشخصيات

---

[1]– رأس الشيطان، ص ٢٢٤.

الثانوية في الرواية، إلا أنها لعبت دوراً مهماً في الأحداث وخاصة في بداية الرواية، فاتصفت هذه الشخصية بالحيوية والواقعية بشكل واضح .

نماذج بشرية :

الكاتب يستعين بنماذج بشرية في شخصيات رواياته، وهي تساعده وتسهل له مهمته، فهي تكون جاهزة لا تحتاج إلى رسم واهتمام من الكاتب ليجعل منها حية وواقعية، وإنما هي نماذج بشرية نراها في حياتنا اليومية بشكل مستمر، والكيلاني استقى كثيراً من شخصيات رواياته من واقعه وبيئته، ونرى في شخصيات رواياته الثانوية بعضاً من هذه النماذج البشرية التي اختارها الكيلاني، ومن أهم هذه النماذج البشرية التي اهتم بها الكيلاني وقدمها في رواياته : رجل الدين.

النموذج البشري لشخصية "رجل الدين":

إن رجل الدين في روايات نجيب الكيلاني من النماذج البشرية المهمة والتي سخرها الكيلاني لبيان أفكاره ومبادئه الدينية، وقد تعرضت هذه الشخصية لمراحل متعددة في روايات نجيب الكيلاني، وسأحاول أن آخذ بعضاً من هذه النماذج من روايات متفرقة وسأعتمد على الأقدم فالأحدث لنستطيع أن نفهم التطور الذي رافق هذه الشخصية وارتباط ذلك بالكيلاني نفسه.

الشيخ "عنبة" في رواية "النداء الخالد":

شخصية الشيخ "عنبة" في هذه الرواية سخرها الكيلاني لتقوم بالتعبير عن أفكار الشيخ "جمال الدين الأفغاني" فيقول الكيلاني :"كان الشيخ "عنبة" لا يترك مناسبة تمر دون أن يعلق عليها، ولم يكن التعليق من بنات أفكاره، فقد كان يحفظ كلمات "الشيخ جمال الدين الأفغاني" ومقالاته عن ظهر قلب لطول ملازمته إياه أيام أن كان طالباً في الأزهر، وكان يطلق على "الأفغاني" كلمة "حبيبي"."[1]

ونرى الشيخ "عنبة" يناقش العمدة في ممالأته للإنجليز، وسكوته عن الظلم الذي يلحق بالفلاحين، ويبين له كيف كان الشيخ "جمال الدين الأفغاني" فيقول :"كان يجلس في الحلقة وحوله أسيادي وأسيادك، ويتكلم عن الحرية والحب والحياة كأن نور الله ينطلق مع كلماته الحلوة وكانت عيناه تشعان إيماناً عميقاً وتملأ نفوسنا بالثقة الرائعة، كان لا يخاف في الحق لومة لائم، استقبل النفي والتشريد والاضطهاد بجنان ثابت، لم يكن يخاف الموت ولا العالم بأسره، عاش فاتحاً قلبه للناس .. وعاش قلقاً على مصير البشر، وظل ينتقل من مكان إلى مكان داعياً للحق والحرية والكرامة، بندائه الخالد .. نداء الشرفاء الأحرار في عالم كله فساد وانهيار.."[2]

---

[1]- النداء الخالد، ص ١٠.

[2]- المصدر نفسه، ص ٤٧.

وبعد أحداث متعددة سيق الشيخ "عنبة" وبعض المخلصين من أبناء القرية إلى المعتقل، ثم وصل إلى أسماعهم أن طلبة المدارس الثانوية والأزهر الشريف كانوا يتحركون بحماسة ونشاط في سبيل وطنهم تمتم الشيخ "عنبة" :"إن النداء الخالد لن يموت، نداء الحرية أيها الرجال .. لقد تحررت العقول من الأوهام .. ولهذا فأنا واثق من النصر .."[1]

والكيلاني لم يكتف بأن جعل الشيخ "عنبة" يعبر عن أفكار "جمال الدين الأفغاني" في كل ما يراه من آراء وأحداث، بل نراه يرسم لنا صورة خارجية للشيخ "عنبة" المشابهة لشكل الشيخ "جمال الدين الأفغاني"، فيقول :" لم يستطع الشيخ "عنبة" أن يكظم غيظه، فقد ارتجفت لحيته الكثة التي تشبه إلى حد كبير لحية "جمال الدين الأفغاني"..."[2]

والشيخ "عنبة" لا يجامل أو يمالئ أحداً وهو يجهر بآراءه فهو يقول :"السلطان "حسين كامل" هو الأداة القذرة .. إنه لا يعترض، ولا يقول للإنجليز كلمة احتجاج واحدة، ووزراؤه على شاكلته .. ولا غرابة في ذلك .. لأنهم (الإنجليز) هم الذين ألبسوه التاج بعد أن انتزعوه من فوق رأس "عباس حلمي" الثاني .. وما أكثر ما تنطبق كلمات "جمال الدين الأفغاني" على سلطاننا .. يقول حبيبي :"إن هذا السلطان سل في رئة الدولة .."[3]

---

[1]- النداء الخالد، ص ١٦٢.

[2]- المصدر نفسه، ص ١٤.

[3]- المصدر نفسه، ص ١٨.

ومن المعلومات التي قدمها الكيلاني عن الشيخ "عنبة" للقارئ أنه "معتل الصحة، لكنه كان ثاقب النظر، يقظ الفكر، يتابع الأحداث بقلب ثائر، ويصرخ محتجاً كلما رأى حيفاً،أو وقعت عيناه على وضع اجتماعي أو سياسي مقلوب".[1]

ويقول الكيلاني :"كان الشيخ "عنبة" كبيراً في أفكاره .. كبيراً في تعبيره عن المأساة الكبرى .."[2] والكيلاني هنا يقدم رأيه الشخصي ككاتب في إحدى شخصياته، وهذا مما يؤخذ على الروائي، فعليه أن يترك استنباط الأحكام على الشخصيات للقراء أنفسهم، أو أن يستخدم إحدى الشخصيات الأخرى لتذكر حكمها على شخصية ما، ولكن ليس من المناسب أن يتدخل الكاتب بشكل سافر ليحكم على الشخصية، وعلينا أن نتذكر هنا أن هذه الرواية من الروايات التي كتبها الكيلاني في بدايات حياته الأدبية، ولذلك من الطبيعي أن يكون فيها بعض من التجاوزات التي من الممكن تقبلها.

ولم يكن الشيخ "عنبة" بالرجل الجبان الذي يداري حنقه، ويستسلم للأمر الواقع، بل كان يحرص دائماً على توجيه سهام نقده إلى العمدة وأحزابه من الموسرين، ولا يعتلي منبر المسجد إلا ويحدث الفلاحين، عن الإنسان الحر، وعن قولة "عمر" رضي الله عنه :"متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً". ويحدثهم عن صفات المؤمن الحق، وعن وجوب المساواة والعدالة والمحبة وسيطرتها على علاقات بني البشر.[3]

---

[1]- النداء الخالد، ص ٤٣.

[2]- المصدر نفسه، ص ٢٠.

[3]- المصدر نفسه، ص ٤٥.

من أقوال الشيخ "جمال الدين الأفغاني" التي رددها الشيخ "عنبة" ليشارك في ترسيخ تلك الأفكار التي من الواضح أن نجيب الكيلاني شديد الإعجاب بها، ما يلي :

- يقول الشيخ "عنبة" : "يقول حبيبي حينما التقى بقيصر روسيا: أعتقد يا جلالة القيصر أنه خير للملك أن تكون ملايين رعيته أصدقاءه من أن يكونوا أعداء يترقبون له الفرص."[1]
- "إن الأزمة تلد الهمة."[2]
- "من رهب الملوك لغير جريرة فهو الصعلوك.."
- "قيد الأغلال أهون من قيد العقول بالأوهام.."[3]
- "بالضغط والتضييق تلتحم الأجزاء المبعثرة.."[4]
- "إن الأديان الثلاثة كل أساسها واحد".[5]
- " لا حياة للجسم إلا بالروح .. وروح المعيشة الإنسانية النبوة والحكمة."[6]
- " شر الأزمنة أن يتبجح الجاهل، ويسكت العاقل."[7]

---

[1]- النداء الخالد، ص ٤٦ .

[2]-المصدر نفسه، ص ١٠ .

[3]- المصدر نفسه، ص ١٦٢ .

[4]- المصدر نفسه، ص ٥٩ .

[5]- المصدر نفسه، ص ١١٤ .

[6]- المصدر نفسه، ص ١٢٢ .

[7]- المصدر نفسه، ص ١٨٩ .

والشيخ "عنبة" كان له دور كبير في الأحداث السياسية التي تدور في تلك الفترة من حياة مصر، ولم يكتف بالشعارات وترديد كلمات الشيخ "الأفغاني"، فنراه "يدعو شباب القرية ورجالها للزحف صوب مدينة زفتي – أقرب مدن المركز – للمشاركة الفعلية في الثورة، ويخرج المئات سيراً على الأقدام .. ويقطعون ما يقرب من اثني عشر كيلومتراً، وأغلبهم حفاة الأقدام .."[1] وتطورت الأحداث حتى أعلنت الجمهورية في زفتي،[2] وكان من أهم المشاركين في هذه الأحداث الشيخ "عنبة". ثم ما لبثت أن سقطت هذه الجمهورية الوليدة.

ويذكر الكيلاني في آخر الرواية أن الشيخ "عنبة" قد تقدمت به السن .. لكنه حريصاً دائماً على مجالسة الشباب .. ويظل يحدثهم عن ثورة "عُرابي" وعن حبيبه "جمال الدين الأفغاني" وعن جمهورية زفتي، ويحدثهم عن أحلامه الخاصة بتوزيع الثروة، ويؤكد لهم أن الأرض حق لمن يزرعها، وأنه دعا إلى ذلك كثيراً، لكن لا حياة لمن تنادي.."[3]

ثم يختم الكيلاني روايته بقوله :"لقد مات "عنبة" منذ ثلاثين عاماً، لكن أفكاره لم تمت ، أُعلنت الجمهورية، لا في زفتي وحدها، ولكن في مصر كلها، وعادت الأرض إلى الفلاحين أصحابها الحقيقيين، وحمل الاستعمار عصاه

---

[1]- النداء الخالد، ص ١٦٩ .

[2]- المصدر نفسه، ص ١٧٨ .

[3]- المصدر نفسه، ص ٢٣٣ .

ورحل ذليلاً، وتحقق النداء الخالد الذي ظل يتردد عشرات السنين في صبر وإيمان."[1]

والنداء الخالد عند الكيلاني بدأ في الرواية بأنه نداء الشيخ "جمال الدين الأفغاني" للحرية ورفض الاستعمار، كما كان يردد الشيخ "عنبة" إلا أن هذا المفهوم نراه قد تطور وتغير بعض الشيء في آخر الرواية إذ أنه أصبح النداء الخالد الذي قامت به ثورة "عبد الناصر" وضباطه، ومن خلال دراستنا لحياة الكيلاني فقد كان من الواضح أن هناك صراعاً عميقاً بين "عبد الناصر" وبين الإخوان الذين كان الكيلاني ينتمي إليهم، وقد سُجن بسبب انتماءه ذاك، فهل كانت هذه محاولة من الكيلاني ليجامل حكومة "عبد الناصر" ويجعل ثورته التي كان الكيلاني أحد ضحاياها كأنها المنقذ لمصر ولشعب مصر؟ وربطُ الكيلاني الثورةَ بأفكار الشيخ "الأفغاني" لا أرى له مسوغاً، فهل جانب الصوابَ الكيلاني هنا ؟

شخصية الشيخ "عنبة" من الشخصيات التي رسمها الكيلاني لتصور رجل الدين الذي تلقى العلم وعلّمه لغيره بقوله وفعله وتضحياته، ولم يقف موقف المتفرج على أحداث بلاده، بل شارك فيها بكل تفانٍ وإخلاص. وكانت هذه الشخصية نموذجاً بشرياً، لم يتطرق الكيلاني فيها لصفات إنسانية خاصة به، وإنما كانت صفاته عامة تصلح لكل من يقوم بنفس الدور في تلك الرواية.

---

[1]- النداء الخالد، ص ٢٣٦ .

وهناك نموذج آخر لرجل الدين في روايات الكيلاني وهو الرجل المتصوف.

رجل الدين المتصوف :

يبدو أن الكيلاني قد انتقل إلى مرحلة أخرى في رسمه لشخصية رجل الدين في الفترة التالية من حياته الأدبية، وهي مرحلة خروجه من السجن وقبل مغادرته لمصر إلى دول الخليج العربي ليعمل هناك. وهي مرحلة حرجة فالحريات مفقودة، والأفواه مكممة، والكتب التي لا تسبح بحمد الرئيس تصادر ويلاحق أصحابها، بل ووصل الأمر لملاحقة أصحاب دور النشر أيضاً، فلذلك نرى أن الكيلاني لم يكن من المعقول وهو الذي ينادي بالأدب الإسلامي منذ وقت طويل، لم يكن من المعقول أن يهمل شخصية رجل الدين في رواياته، فلذلك نرى أنه لجأ إلى شخصية رجل الدين المتصوف الذي ينشغل بالأذكار والتسبيحات، ولا يتدخل بأمور السياسة، ولعل هذه الصورة كما توقع لها الكيلاني وكما حدث بالفعل لن تثير غضب السلطات في ذلك الوقت ولن تسبب له حرجاً أو مساءلة، وهذه الشخصية نراها تكثر في الروايات التي كتبها الكيلاني قبل هجرته خارج مصر. ومن تلك الروايات التي احتوت على هذه الشخصية هي :"رأس الشيطان"، و"حكاية جاد الله"، و"عمالقة الشمال"، و"الرايات السوداء". وسنتناول بدراستنا هذه شخصية المتصوف في رواية "رأس الشيطان".

الشيخ "الشاذلي" في رواية "رأس الشيطان" :

يبدأ الكيلاني بتعريفنا بالجو المحيط بهذه الشخصية، فهو يقول عن الشيخ "الشاذلي" :"إلى جواره رجال يتعبدون وينشدون ويسرفون في سكب الدموع كما يسرفون في التبتل والدعوات، والصلاة قائمة دائماً لمن يشاء .. بابه مفتوح بالليل والنهار، وهناك أيضاً أطفال ينامون أو يغالبون النوم، يقلدون ويشاركون في الطقوس في براءة وطاعة وكأنه أمر لا بد منه.. كالطعام والشراب مثلاً.."[1]

والشيخ الصوفي له بعض المميزات فمريدوه يمطرون يديه بالقبلات عند السلام عليه، فـ"محروس" جلس أمام الشيخ وتناول يداً رطبة ندية كتفاح الجنة، وأغرقها بالقبلات والدموع.."[2] وكذلك أهل القرية عندما احتاجوا إلى استشارته فيما أشكل عليهم "تدافعوا نحو بيت الشيخ ومدوا أيديهم كالغرقى إليه، وذرفوا على يديه الدموع وهم يقبلونهما متزاحمين .."[3] ثم عندما انتهى الحديث بين الشيخ وأهل القرية "تزاحمت الأيدي والأفواه المحترقة، متسابقة إلى يدي الشيخ، تقبلهما من جديد .."[4]

---

[1]– رأس الشيطان، ص ١٩ .

[2]– المصدر نفسه، ص ٢٠ .

[3]– المصدر نفسه، ص ١٣٩ .

[4]– المصدر نفسه، ص ١٤٠ .

وعندما اشتكى له "محروس" من معاصيه قال له :"قل معنا : الله أكبر كبيراً .. والحمد لله كثيراً .. وسبحان الله بكرة وأصيلاً ، قلها معنا ألف مرة.."[1]

وعندما بدأ الباشا في تنفيذ المشروع الجديد الذي كان كارثة على الفلاحين وأهل القرية نرى أن الشيخ "الشاذلي" عاد إلى أذكاره وابتهالاته، بينما نرى في المقابل د. "ضياء" يعود إلى أقلامه وأوراقه ليحبِّر مقالاً ثائراً مزوداً بالصور .. وصدرت جريدته بعد يومين تحمل التناقض الصارخ .. صورة لقصر الباشا وعزبته .. وصورة لأكواخ الفلاحين ومساحاتهم الصغيرة التي ابتلعها المشروع الجديد ..[2]

فمن الواضح أن موقف الشيخ "الشاذلي" موقف سلبي، بينما نرى أن موقف د. "ضياء" موقف إيجابي، وهذا يقلل من منزلة المتدين، وكأن الدين هو عبادة الإنسان لربه فقط، وليس للدين رأي أو أثر في حياة الناس ومشاكلهم.

ولكن الكيلاني أتبع هذا الموقف السلبي بموقف آخر إيجابي وهو أنه عندما سُجن بعض أهالي القرية فقال الشيخ لأتباعه :"اجمعوا المال والطعام لإخوانكم وذويهم، واذهبوا إلى المدينة في الصباح، واتصلوا بالمحامين ووكّلوهم في قضيتكم، ولا تتركوا إخوانكم المسجونين قبل أن يأكلوا ويشربوا

---

[1]- رأس الشيطان، ص ٢٠ .

[2]- انظر : المصدر نفسه، ص ١٤٣ .

ويطمئنوا إلى مصيرهم، وأعلموهم أن الله يدافع عن الذين آمنوا، وأوصوهم بتقوى الله على كل حال، وليصبروا .." [1]

ويبدو أن الكيلاني معجب بهذه الشخصية فهو يصفها وصفاً إيجابياً، ويحاول أن يجعلها نموذجاً للرجل المسلم الزاهد، الدائم الذكر لله تعالى، ويريد أن ينقل للقارئ واقع هذه الشخصية، ويقول الكيلاني :"أخذ الشيخ يصفق بيديه في إيقاع، والرؤوس تتمايل مع الإيقاع الرتيب، وأنفاس الذاكرين تتصاعد فيما يشبه الهمس مرددة عبارة الشيخ، و"محروس" معهم وقد غاب عن عالمه وذكرياته التعسة.." [2]

وهنا تبدو صورة هذا الشيخ غريبة بعض الشيء، في تزاوج الذكر مع التصفيق، وتمايل الرؤوس مع الإيقاع "الرتيب" كما وصفه الكيلاني، وفي وصف آخر يقول عنه أنه "رفع عينيه النصف مغلقتين الهائمتين في ملكوت." [3] ولا أدري ما هو السبب في هذا الوصف الذي يظهر رجل الدين بمظهر المتماوت أو النصف مستيقظ، وهل هذا من لوازم التدين؟ وأليس هذا يتناقض مع ما ذكر عنه الكيلاني من أنه رفض الانصياع لأوامر الباشا أو إغراءاته؟ وهذا الرفض لابد أن يكون صاحبه قوياً شديداً، فقد أبى أن يكون في استقبال الباشا وضيوفه القادمين إلى القرية، و"سرى نبأ رفض الشيخ في القرية

---

[1]- رأس الشيطان، ص ١٩٢ .

[2]- المصدر نفسه، ص ٢٠ .

[3]- المصدر نفسه، ص ٨٥ .

والكفـور[1] المجاورة كالنار في الهشيم، ونظر الناس إلى رجل بسيط لا يملك مالاً ولا سلاحاً، لكنه لا يرضخ لأوامر الباشا ولا يكترث لها، "الشاذلي" المتصوف أقوى من الباشا الوزير، لم يمت الأمل بعد أيها المعذبون مادام هناك رجل طيب أقوى من الباشا، ومن الممكن أن يكون الجميع أقوى من صاحب القصر الكبير لو عرفوا الطريق إلى الله."[2]

وهذه الشخصية النموذجية لرجل الدين المتصوف تكررت في بعض روايات الكيلاني مثل : "حكاية جاد الله" فقد كان يمثل هذا النموذج الشيخ "البحيري" إلا أن هناك بعض الاختلافات اليسيرة[3]، وهناك "الشيخ عبد الله" في رواية "عمالقة الشمال"، ولكن قد تختلف قليلاً في هذه الرواية عنها في الرواية السابقة، لأن في نيجيريا تنتشر الطرق الصوفية، فكان طبيعياً أن تكون هذه الشخصية حاضرة لتمثل شريحة من المجتمع النيجيري الواقعي.

وتتطور شخصية رجل الدين التي نالت من الكيلاني اهتماماً ملحوظاً لتتخلى عن نموذج الصوفي، وتتحول إلى شخصية عصرية وهي شخصية الشاب المثقف الذي لا يكف عن الحركة والعمل والدعوة، والذي أصبح اهتمامه ليس منصباً على العبادة والذكر فحسب، بل أصبح يتناول كل صغيرة وكبيرة في شؤون المجتمع الذي يعيش فيه، وله رأي يستقيه من معتقداته في كل ما

---

[1]- الكفور : ومفرده كَفْر ، وهو ما يطلق على القرية الصغيرة أو الضاحية.

[2]- رأس الشيطان، ص ٨٧ .

[3]- انظر : حكاية جاد الله، ص ٥٨ و ٦٥ و ١٦٣ و ١٨٠ و ١٩٠ و٢٠٠ و ٢٤٢.

يجدُ من أحداث وأمور، فنرى مثلاً لذلك : الشيخ "محمد حسب الله" في رواية "ملكة العنب" وهذه الشخصية تناولناه بالبحث في الفصل السابق.

وفي رواية "رحلة إلى الله" نرى أن هناك مجموعتين ممن يمكن وصفهم برجال الدين إذا اعتبرنا أن رجل الدين هو من يأخذ الدين منهجاً له في حياته، ويدعو إليه بكل ما في وسعه من أساليب، فالمجموعة الأولى هي مجموعة السجناء وهم : الشاعر "يوسف"، و"رزق إبراهيم" السوداني الجنسية، والفلسطيني "عبد الحميد النجار"، والضابط "معروف الحضري"، وهؤلاء كلهم من الإخوان المسلمين، ثم المجموعة الثانية وهي د. "سالم" و"عبد العزيز السيسي" في دولة الكويت، وهاتان المجموعتان هما نسيج واحد، مع اختلاف المكان الذي يخص كل مجموعة إلا أن النفوس واحدة والأفكار كذلك، وبما أن المجموعة الأولى في داخل السجن، فمن الطبيعي أن يكون لها بعض المميزات أو الخصائص التي تتضح وتظهر في هذه البيئة، أما المجموعة الثانية فهي التي انطلقت خارج مصر.لتجد بيئة مفتوحة حرة، بإمكانهم كتابة ما يشاءون فيها ، وأن يكون لهم من النشاط والعمل ما يختلف نسبياً عما كانوا عليه داخل مصر، فلا بد أيضاً أن تكون قد تأثرت هذه المجموعة بهذا الجو واتصفت بصفات مختلفة. ولكن تبقى هذه الشخصيات كلها تجسد صنفاً جديداً من رجل الدين الذي لا تكاد رواية من روايات الكيلاني الكثيرة تخلو منه، ولكنه خضع لتطور وتغيير كبيرين، فقد أصبح رجل الدين مسجوناً له معتقدات وأفكار جماعة الإخوان المسلمين، ولم يكن رجل الدين في هذه المرحلة ضعيفاً أو منشغلاً بأمر أو جانب ما من جوانب الحياة، بل حاول الكيلاني أن يظهره باهتماماته الشاملة، وشرائح المجتمع المختلفة التي انضمت إلى الإخوان

المسلمين، والإرادة العجيبة التي كان يتحلى بها هؤلاء، وتمسكهم بدعوتهم ومعتقداتهم في ذلك الوقت وفي ذلك المكان – السجون – التي كان فيها من وسائل التعذيب ما تشيب له الولدان.

ثم انتقل الكيلاني إلى الاهتمام بأسلوب آخر لرجل الدين، كما يقال بأن الكيلاني قد أصبح يميل إلى أسلوب جماعة التبليغ في سنوات عمره الأخيرة، وإذا عدنا إلى رواية "الرجل الذي آمن" فنرى أن رجل الدين أصبح رجلاً يجوب البلاد شرقها وغربها لدعوة غير المسلمين إلى الإسلام، أو لتذكير المسلمين بدينهم، وحثهم على التمسك به، بأسلوب جماعة التبليغ، فـ"إريان" يركب السفينة لينطلق إلى الهند، فلم يعد هناك حدود وقيود تكبل الداعي إلى الله، فانطلق الدعاة من السجون وانطلقوا بعد ذلك في أرجاء الأرض لينشروا الدين الإسلامي.

فهنا لم يعد دور رجل الدين منحصر في الجلوس في المسجد أو في زاويته ليقوم بعبادة الله بالصلاة والأذكار والتسبيحات، ولم يعد الحل للمشاكل والصعوبات هي ترداد المريد لأسماء الله الحسنى فقط، أو تلاوته لأذكار محددة بأعداد معينة، كما كان يذكر الكيلاني في وصفه لرجل الدين الصوفي، بل اتجه الأمر إلى عمل وبناء وعدم التقيد بحدود وذلك يناسب انطلاق المعارف المختلفة والتطور والتقدم في العلم وفي الأساليب الدعوية.

النموذج البشري لشخصية "الطبيب" :

في روايات الكيلاني اهتمام واضح بشخصية الطبيب، وهذا طبيعي إذا تذكرنا أن الكيلاني طبيب، وقد تناول الكيلاني شخصية الطبيب بشقيه الطبيب المخلص الذي يقوم بعمله على أكمل وجه، والطبيب الآخر الذي كل همه الربح المادي، وجني الثروة من دماء الفقراء والمحتاجين، فهناك روايات تحدثت عن الصنف الأول مثل : "أميرة الجبل"، و"رحلة إلى الله"، وهناك روايات تناولت الصنف الثاني مثل : "في الظلام"، و"رجال وذئاب" و"عمالقة الشمال"، و"الربيع العاصف"، بينما تأتي رواية "الذين يحترقون" تجمع بين الصنفين معاً، فتناولت شخصيتين متضادتين هما : د. "موريس" ود. "محمد صادق".

شخصية الطبيب الإيجابي أو الخيِّر :

في رواية "أميرة الجبل" يصور الكيلاني الطبيب الشاب الذي هاجر من بلده لأمور سياسية، ثم يلتقي بفتاة من قبيلة الشحوح، سيجبرها والدها على الزواج من ابن عمها اتباعاً لتقاليد القبيلة، فتتعرض الفتاة لمتاعب صحية بسبب أزمتها النفسية المتعلقة بذلك الزواج، فيقوم الطبيب الشاب بمعالجتها بوعي وإدراك وفهم لمسؤوليته كطبيب، لتستقر حالتها وتتحسن، وشخصية الطبيب في هذه الرواية تتناول البعد النفسي بشكل كبير، فهو يعاني من وحدته وغربته، ومع ذلك فنراه عفيفاً محافظاً على دينه وأخلاقه، لم يرتكب إثماً، ولم يضعف في وقت كان الزلل والخطأ من كل جانب حوله، وفي هذه الشخصية يظهر الكيلاني ثبات الشاب المسلم وعفته، وسمو الأخلاق التي تنبع من الدين

الإسلامي، وهذه الصفات تأخذ حيزاً أسمى حين تكون صفات طبيب يطلع على أسرار الناس وأمورهم الخاصة، فتحفظه أخلاقه تلك من الزلل والخطأ، فيكسب حب الناس واحترامهم له كما حدث مع ذلك الطبيب في رواية "أميرة الجبل".[1]

أما في رواية "رحلة إلى الله" فـد. "سالم" يساعد "نبيلة" في تخطيها لأزمتها النفسية حين دخولها للسجن، واستمر في رعايته لها إلى أن تجاوزت تلك الأزمة، ليعينها على الهرب من "عطوة الملواني"، وتسافر للكويت بعيداً عن سلطته وبطشه، وفي نفس الوقت فقد كان لـد. "سالم" أثر كبير في تنبيه "نبيلة" إلى الواقع الذي تعيشه البلاد في تلك الفترة، وإلى أهمية الالتزام بالإسلام كأفضل حل للمشاكل التي تمر بها البلاد، واستطاع بأسلوبه المقنع الهادئ أن يناقشها بصبر وإخلاص لتصل بنفسها إلى مرحلة اقتناع واعتناق لمبادئه، ثم لتنطلق بعد ذلك بسبب تأثرها به لتقوم بفضح جرائم حكومة "عبد الناصر" بنشرها لكتابها الذي سردت فيه معاناتها في مصر.

ود. "سالم" يدخل المعتقل أيضاً، ليشارك إخوانه في حمل هذا العبء، ثم يفرج عنه بعد مدة ليسافر للحج ومنه ينطلق إلى الكويت ويرفض العودة إلى مصر، ليقوم بالدور المطلوب منه هناك في الدعوة، فقد كان رأيه من قبل أن هناك بعض الناس دورهم في داخل مصر، وبعضاً آخر دورهم خارجها، وكل طرف يكمل الطرف الآخر، وكأنه بانتقاله من داخل مصر إلى خارجها انتقل للدور الآخر الذي قدم طرفه أو جزأه الأول في داخل مصر من قبل.

---

[1]- انظر : أميرة الجبل.

وشخصية د. "سالم" شخصية متزنة، هادئة، يناقش بتعقل وصبر، يهتم بمرضاه بدقة، ولا يكتفي بدوره الطبي فقط، بل بدوره الدعوي أيضاً، فنراه عندما إستُدعي لمعالجة "نبيلة" لم يكتف بوصف دواء لها، بل أخرج من جيب سترته مصحفاً وقدمه لها[1] لتجد السكينة التي شعرت أنها لا يمكن أن تجدها في أي كتاب، وأن كل الكتب تحوي زيفاً وكذباً وزوراً. وهذه الطريقة في تقديم القرآن لـــ "نبيلة" والوقت المختار أيضاً، له فائدة في توضيح دور د. "سالم" في الدعوة وعدم الاكتفاء بالعمل طبيباً في وظيفة تدر ربحاً مادياً فقط.

فهو يقول لها :"أعيدي هندسة مخك إن صح التعبير .. لكن تذكري أن الصبر هام .. من ينظر إليه على أنه عبادة يسعد ويطمئن باله .. ومن ينظر إلى الصبر على أنه قيد وسجن سرعان ما يصاب بالتوتر ومضاعفاته .." [2]

د. "محمد صادق" في رواية "الذين يحترقون" لا يختلف عن د. "سالم" في صدقه وإخلاصه وعمله الجاد في وظيفته طبيباً أو داعية، فــد. "محمد صادق" نموذج للطبيب المخلص في عمله الذي عين في قريته التي ولد فيها، وكان هناك طبيب قبله لا يلتزم بقوانين العمل فهو يأخذ أجراً من الفلاحين الفقراء مع أن له راتباً شهرياً ثابتاً من الحكومة لكي لا يرتكب مثل هذه المحاذير فقد كان العلاج بالمجان من قبل الحكومة، ولكن جشع هذا الطبيب وغيره ممن حوله زين له هذه التجاوزات، وأصبحت مع مرور الزمن حقاً مكتسباً له، فجاء د. "محمد صادق" فأعاد الأمور إلى نصابها، فقد رفض أخذ أي أجر من الفلاحين

---

[1]- رحلة إلى الله، ص ١٠٨ .

[2]- المصدر نفسه، ص ١١٠ .

ولم يميز بفحصه غنياً ولا فقيراً، وكان له خطته الخاصة في العمل، "فهو لا يستطيع الكذب على الناس، ويخدع ضميره، الواجب يقتضي أن يفحص المريض كما يجب، والواجب أيضاً يحتم عليه أن يعاملهم على قدم المساواة حتى لا يدع فرصة للتفرقة. فيكون هناك طائفتان : طائفة تدفع المال وتأخذ حقها، وطائفة أخرى فقيرة لا تستطيع أن تدفع شيئاً فتُعامل بطريقة سريعة ولا تنال كفايتها من الفحص والعلاج، ولعلها في أمس الحاجة إلى مزيد من العناية، أكثر من الطائفة الأولى"[1]، ومن الطبيعي أنه سيُقابَل برفض من كل المنتفعين من الوضع السابق، وفوجئ بمؤامرات تحاك ضده، وتهديدات وإغراءات لثنيه عن طريقته تلك، ولكنها كلها باءت بالفشل واستمر في عمله لتستقر الأمور بعد ذلك بالطريقة التي أرادها لقريته، وانكشف ما كان يقوم به الطبيب السابق، ليلقى الآخر جزاءه.

وكان د. "محمد صادق" إلى جانب عمله طبيباً يحاول أن يساعد أهل قريته بكل ما في وسعه، ويسعى للإصلاح فيما بينهم، ويكون دائماً إخلاصه ورغبته بثواب الله هو هدفه ونصب عينيه. فنرى أحد العاملين في المستشفى يقول له :".. عَزّ عليَّ أن أفارقك لأنك أخ وصديق ومرب .."[2]

وهو يخاطب زوجته فيقول :"أملي في الله كبير، لقد عاهدنا الله أن نقول للناس الكلمة الشريفة بأمانة .. ونمشي في الطريق حتى النهاية .. وليكن ما

---

[1]- الذين يحترقون، ص ٢٠ .

[2]- المصدر نفسه، ص ٣١٧ .

يكون .. أنت ترين أن الحياة رحلة قصيرة، وستنتهي على أي وجه ، ولن أقبل المذلة والتراجع مهما كلفني .. ولو دفعت حياتي .."[1]

وهذه الرواية كما ذكرنا تحوي نموذجين للطبيب فـد. "محمد صادق" النموذج الإيجابي للطبيب، ود. "موريس" يمثل النموذج السلبي للطبيب.

شخصية الطبيب السلبي أو الشرير :

د. "موريس" طبيب كان كل همه أن يزيد من رصيده في البنك، وكان دائم التفكير في كم سيتبقى له من الأجور التي يأخذها من مرضاه الخصوصيين، بعد أن يقدم بعضاً منها للمفتش الطبي الذي يعلم بما يقوم بها من تجاوزات ويغض الطرف عنها لأنه يأخذ حصته منها، وهو لا يشعر بأدنى تأنيب ضمير فهو يجد لنفسه فلسفته الخاصة التي تجعل ما يقوم به حقاً خالصاً له ليس عليه غبار.

والكيلاني يصف د. "موريس" فيقول :"كان يبتسم ابتسامة شبه ثابتة لا تنقص أو تزيد .. ابتسامة ذات طابع بارد ميت لا تقبلها النفس ولا تتغلغل إلى الأعماق كفقاعة من رغوة الصابون الرخيص."[2]

---

[1]– الذين يحترقون، ص ٣١٤ .

[2]– المصدر نفسه، ص ١٧ .

والممرض يقول عنه :"هذا الإنسان له رصيد في البنك خمسة آلاف جنيه .. لقد جاءنا نحيفاً عارياً، وهو الآن متزوج .. وأصبح صاحب رصيد .. إنه لا يرحم أحداً .."[1]

ويختم الكيلاني روايته بجعل المحكمة تدين د. "موريس" بسبب شكاوى تقدم بها أهالي القرية ضده، وشهد بعض منهم على تجاوزاته، وصدر قرار توقيفه عن عمله الطبي، ليتجاوز هذا القرار كل ما كان يتمناه أهل القرية الفقراء الذين استولى على أموالهم التي كانوا في أشد الحاجة إليها.[2]

د. "هانيمان" في رواية "عمالقة الشمال" :

د. "هانيمان" يصفه الكيلاني على لسان "جاماكا" بعد إسلامها بأنه "طبيب ومبشر في أكبر مستشفى بالعاصمة .. كان "هانيمان" ثلجي المظهر، الابتسامة لا تفارق ثغره، ابتسامة دائمة لا ترتخي أبداً، لكني أكرهها .. إنه يرتدي هذه الابتسامة كما يرتدي حذاءه .. ويخلعها عندما ينام .. لحظات خاطفة كنت أرمقه وهو وحده، فينسى نفسه، وتختفي الابتسامة ويحل محلها بريق شيطاني، ووجه مكفهر .. يبدو أنه كان يمل التمثيل الطويل الذي طُبع عليه ، وهو يتقاضى مرتباً كبيراً من مجلس الكنائس الأعلى في أوروبا .."[3]

1- الذين يحترقون، ص ١٨ .

2- المصدر نفسه، ص ٣١٥ .

3- المصدر نفسه، ص ١١٥ .

وهو يحاول عندما عرف بإسلام "جاماكا" أن يمارس عليها دور المحب ليثنيها عن إسلامها، فيعرض عليها الزواج فتقول لها مندهشة :" انظر إلى وجهي جيداً .. إنني سوداء .. أفريقية من ساحل العبيد .. هل نسيت ؟"

- كلنا إخوة يا "جاماكا" ..

- هل نسيت أنني مسلمة؟

- هذا أمر بسيط يمكن التغلب عليه ..

- كيف ؟؟

- تتركين هذه الخرافة .."[1]

وعندما أصرت "جاماكا" على رفضها التحول عن الإسلام، اختفت الابتسامة المصطنعة واكفهر وجهه واحتقن جلده الثلجي وصرخ وهو يقهقه:

- هل ظننت فعلا أنني أريدك زوجة ؟؟ كان مجرد مزاح ..

- كنت أعرف أنكم بلا قيم محترمة ..

فنظر إليها بعيني وحش مفترس :

- ستدفعين الثمن غالياً .."[2]

فبعد أن كان يعرض عليها الزواج بدأ بتهديده لها، ونرى أنه فعلاً قد نفذ تهديده، فقد سجنت بعد ذلك "بتهمة سرقة عدد من الآلات الطبية في المستشفى

---

[1]- عمالقة الشمال، ص ١١٦ .

[2]- المصدر نفسه، ص ١١٧ .

وبعض الأدوية الغالية الثمن والمسجلة عليها في دفتر العهدة .. واتهمها د. "هانيمان" بسرقة حافظة نقوده أثناء تواجده في غرفة العمليات الجراحية .."[1]

ولم يكتف د. "هانيمان" بذلك فقد اختطفت "جاماكا" عصابةٌ كان يوجهها د. "هانيمان"، ثم حقنوها بعقار مخدر ووضعوها في غرفة لإسعاف الجرحى، ثم سلموها إلى أهلها الذين كانوا في غاية الغضب بسبب اعتناقها الإسلام."[2]

هذه بعض النماذج لشخصية الطبيب في روايات نجيب الكيلاني قدمها لنا من الواقع الذي عايشه كطبيب، وكان وصفه واقعياً جداً لأنه كان شديد القرب من هذا الجو المتعلق بالمستشفيات والأطباء، وبقي أن نذكر أن هناك مجموعة من القصص القصيرة التي كان موضوعها كلها الطبيب، وقد سماها الكيلاني "حكايات طبيب" كان فيها تركيز كامل على الطبيب وقد أوضح الكيلاني أن كل هذه الحكايات واقعية وقد عايشها بنفسه أو كان شديد القرب منها، ولم نتناول هذه القصص القصيرة بدراستنا هنا لأن بحثنا يتعلق بالروايات فقط، ولكن رأينا أن نلفت الأنظار إلى تلك القصص لأنها تتناول نفس الموضوع الذي بحثناه هنا.

---

[1]- عمالقة الشمال، ص ١١٩ .

[2]- المصدر نفسه، ص ١٥٨ .

شخصية الأب والأم :

في روايات نجيب الكيلاني تحظى شخصية الأب أو الأم اهتماماً خاصاً منه، ولها مكانة مميزة تبين منزلتهما عند الكيلاني الإنسان، ثم عند الكيلاني الأديب، والأب أو الأم في القرية تمثلهما شخصية بسيطة، طيبة القلب، تتميز بصبرها الذي ليس له حدود يقف عندها، وأفضل شخصية توضح ذلك هي شخصية الأب في رواية "الطريق الطويل"، والكيلاني في هذه الرواية كأنه يكتب سيرة حياته، والوالد في هذه الرواية كوالد الكيلاني وهو يصفه على لسان "سليمان" الراوي لهذه الرواية بنفسه فيقول :"غارق في الديون حتى أذنيه، ومحصول القطن زهيد الثمن في ذاك العام، ولم يبق في دارنا إلا قليل من الذرة لا يكاد يفي بحاجة أسرتنا الكثيرة العدد، وأمي هي الأخرى مسكينة .. لا تفتأ تشكو من آلام حادة في صدرها، وهي حامل في شهرها السادس وفي مسيس الحاجة إلى عرضها على طبيب، ومع هذا فقد كان أبي وأمي يعتبران الذهاب إلى الطبيب في مثل هذه الحالة من الكماليات، أو ضرباً من البذخ لا تحتمله ماليتنا الواهية إن صح أن تسمى مالية .."[1]

ويذكر "سليمان" أنه صحا ذات ليلة في منتصف الليل فلمح والده بطرف عينه يجلس على الكرسي الخشبي اليتيم وقد أسند خده على راحته، وهو يهمس في صوت يشبه النجوى ويقول :"يارب سدد ديوني .. يا رب لا تذلني لأحد .. يا رب ارزقنا واشف مرضانا .. افرجها يا رب يا كريم .."[2]

---

[1]- الطريق الطويل، ص ٦ .

[2]- المصدر نفسه، ص ٥٤ .

ووالد "سليمان" يعطي صورة للفلاح الذي يعتز بأرضه ويرى أن التفريط بها هو تفريط بشرفه وكرامته، فقد رفض بيع أي جزء من أرضه مع أنه كان فقيراً جداً،[1] ومن فقره أنه عندما لم يجد "سليمان" ما يلبسه عند ابتداء العام الدراسي الجديد، بقي حزيناً في البيت وهو يرى الأولاد الآخرين يذهبون إلى المدرسة، ويقول عن والده :" .. أما أبي فلم يكلمني مطلقاً في ذلك اليوم، بل ولم يأت من الغيط ليتناول طعام الغداء، ولعله احترم عواطفي ودموعي ومشاعري البائسة، فآثر ألا يراني لأنه لم يكن في حاجة إلى مزيد من الألم لنفسه ولي أيضاً".[2]

وبسبب تراكم الديون عليه حاول "مرسي" المرابي أن يشتري منه قطعة من الأرض، لكنه رفض بإباء وباع كل ما في بيته ليسدد ديونه ثم اضطر إلى الاقتراض من بعض أهل الخير ليعطي "مرسي" نقوده، ويصف حال والده بعد أن انتهى من قضية ديون "مرسي" المرابي، فيقول :" انفرجت أسارير أبي، وأصبح وجهه ضحوكاً باشاً .. يُقبل على عمله في الحقل أو المنزل بروح طيبة قوية، وشغف زائد .. لقد خرج من المعركة ظافراً على ما يبدو، لأنه لم يفقد قيراطاً واحداً من أرض أبيه التي تركها إرثاً حلالاً، وأمانة في عنقه لا يفرط فيها، ولا ينزل عنها لأحد .. وهو يقول لابنه :"صحيح أنني مهلهل الثياب، لكنني أمشي بين الناس منتصب القامة مرفوع الهمة .. أما الملابس

---

[1]- الطريق الطويل، ص ٥٩ .

[2]- المصدر نفسه، ص ٦٦ .

الجديدة الخضراء أو الزرقاء فهي مما يستهوي الأغرار والسذج من الأطفال والرجال على السواء.."[1]

وهو ينمّي في ابنه الاحساس بالمسؤولية فيقول له :"إني ليعجبني منك أنك تقدر ظروفي، وتشعر بالتبعة الكبيرة الملقاة على عاتقي .. إني لأفخر برجولتك المبكرة أكثر من فخري بنجاحك كل عام .."[2]

وهو يترك لولده حق الاختيار للدراسة الجامعية، فيقول له :"اختر ما شئت فأنا ما زلت على أتم استعداد لأن أحقق لك كل مطالبك، ولو كان ذلك على حساب غذائنا وكسائنا .. كل ما يهمني أن أراك رجلاً ناجحاً تشرفنا، وتشرف نفسك .. لأن النتائج السارة تمحو عنا آلام التعب .." ويقول "سليمان" أن نفسه كانت مفعمة بالمشاعر الكبيرة، "وظهر أباه أمامه مكافحاً من الطراز الأول، وأكبر من الزعماء ذوي الهيل والهيلمان، كان رجلاً فلاحاً، لكن بصيرته النفاذة وإيمانه العميق، دفعاه لأن يؤمن بميولي الخاصة، ويؤيد كلامي المنطقي، لأن نفسه البيضاء الصافية لا تعرف جدلاً عقيماً، ولا أنانيـة منحرفـة .."[3]

فهذه شخصية الأب التي جمع فيها الكيلاني صفات شتى كلها تنصب في خانة التضحية والعطاء اللامحدود، والطيبة المتناهية، والتوكل الكامل على الله،

---

[1]- الطريق الطويل، ص ١٩٠ .

[2]- المصدر نفسه، ص ١٩١ .

[3]- المصدر نفسه، ص ٢٥٨ .

والتسليم التام لقضاء الله وقدره، فهو يسر إذا أصاب خيراً ويشكر الله، وهو يصبر على المصائب ويدعو الله، وفي نفس الوقت لا يفرط بشرفه أو كرامته. فيكون بهذه الصفات كنموذج حي عملي لأولاده ليقتفوا أثره. ولعل الكيلاني كان بهذا الوصف قد وفى بعض الحق للأب أو الأم.

حفلت روايات نجيب الكيلاني بشخصيات كان لها طعم خاص يميزها، وقد إختلفت مميزاتها بحسب رسم الكيلاني لها، وبحسب هدفه منها، والجامع فيها كلها هو تميزها، وفي هذا الفصل سأحاول التوقف عن بعض الشخصيات التي رأيت فيها ميزة خاصة بحيث تستحق الدراسة، وسأذكر السبب في اختياري لهذه الشخصية دون غيرها.

وقد لاحظت خلال دراستي لروايات الكيلاني في هذا المجال أن تميز هذه الشخصيات قد يكون مرتبطاً بناحية إنسانية، أو لغرابة، أو طرافة، أو بطولة خارقة، أو معاناة ما، أو دور إنساني مؤثر، أو تجربة فريدة، أو تناقض بشري، وغيره ...

❑ **شخصية "محمود صقر" في رواية "رحلة إلى الله":**

هذه الشخصية كان سبب اختياري لها هو تميزها في كونها تجسد المعاناة العميقة، والظلم العميم الذي طال كثيراً من الناس بدون ذنب جنوه، وكان خلافهم العقائدي أو الفكري، وتمسكهم بمبادئهم هو الذي أدخلهم السجن في عهد "عبد الناصر".

و"محمود صقر" شخصية حقيقية أراد الكيلاني أن يثبتها في هذه الرواية، فقد كان "محمود أحمد صقر" أخو صديقه العزيز الأستاذ "لطفي

صقر"، الذي كان من قرية "منية البندرة"[1]، وقد مات "محمود" من جراء التعذيب في شهر أغسطس عام ١٩٦٥م،[2] ويصور الكيلاني حالته في روايته "رحلة إلى الله" فيقول :"محمود صقر يرتمي على بلاط الزنزانة البارد بالسجن الحربي رقم أربعة، كلما حاول أن يتحرك شعر بآلام رهيبة في أنحاء جسمه. السياط قد تركت كدمات زرقاء وحمراء على وجهه وعلى رأسه الحليق وعلى جلده في كل مكان. وهناك بعض الجروح المتقيحة أيضاً نتيجة للحرق بالسجاير المشتعلة، وهو يشعر أن درجة حرارته مرتفعة، وحلقه جاف، لكم يتمنى أن يشرب جرعة ماء، لكن الزنزانة خاوية تماماً .. إن عينه تغفو أحياناً قليلة .. يخيل إليه أنه هائم في صحراء موحشة محرقة، تدهمه الذئاب من آن لآخر، ويرى السراب من بعيد فيلعق فمه بلسانه.."[3]

ثم بين لنا الكيلاني سبب وجود "محمود صقر" في السجن الحربي، وأن ذلك كان نتيجة لما كان يدعو إليه، و"محمود صقر" يرى أن "المسألة بسيطة للغاية، ولم تكن تحتاج لهذا الرد العنيف المميت .. كل ما في الأمر أنه يدعو إلى أسلوب في الحياة والحكم يعتقد يقيناً أنه أسلوب يحقق العدالة والرخاء .. وكان يدعو إلى ذلك لإيمانه بأن الدعوة فرض .. وخاصة أن ما يفعله أمر إلهي .. هكذا تعلم في الأزهر، ولما قرأ التاريخ وفكّر وقارن وراجع ونظر حوله أيقن أن طريق الله هو الطريق .. وأن المنهج الإلهي أعدل وأكمل من

---

[1]- وكذلك شخصية "محمود صقر" في رواية "رحلة إلى الله"، من نفس القرية، فهو يقدم نفسه للسجناء عند دخوله للزنزانة، فيقول : "أخوكم محمود صقر من منية البندرة". انظر : رحلة إلى الله ، ص ١٨٨ .

[2]- لمحات من حياتي ، ج ٥ ، ص ٨٤ .

[3]- رحلة إلى الله ، ص ٢٥ .

منهج البشر .. وأن الخالق أدرى بما يحقق السعادة والخير للمخلوق، وأي خروج على هذه العقيدة في رأي "محمود" زيغ وانحراف وتعاسة .."[1]

أما طريقة اعتقال "محمود" فقد صورها الكيلاني بتفصيل دقيق، فيقول :"فوجئ ذات مساء بفيلق من الرجال يدهم بيته ومعهم السلاح والعنف والصفاقة دفعوا أباه العالم والشيخ العجوز دفعاً فسقط على الأرض وسط الظلام وهو يستعيذ بالله، ونزعوا الحجاب عن وجه أمه وأخواته، وأزعجوا الصغار والكبار في بيت أبيه وقد قرب الفجر، استيقظ الأطفال يصيحون، وسالت دموع النسوة .. وتجمع رجال القرية الصغيرة ونسوتها حول المنزل ينظرون صامتين .. الرجال المسلحون ينهرون ويضربون ويقذفون أقذع الشتائم .. والرعب يحط بجناحيه الأسودين فوق القرية الصغيرة. لأول مرة في حياتهم يشهدون هذا المنظر، في بيت من أشرف بيوت القرية وأعظمها تاريخاً، وأفضلها براً وعطفاً وحباً .. وتمتم رجل في الستين من عمره ذو لحية بيضاء :"هذا زمن الشيطان .. نحن في آخر الزمان .." أما والد محمود فقد رآهم وهم يجرون ولده المدرّس حافي القدمين، لا يلبس إلا جلباب النوم على اللحم وهز رأسه في حزن عميق، وانحدرت دمعة تعسة من بين أهدابه المرتجفة وقال :"الهرج والمرج من علامات الساعة .. كان الله في عونك يا ولدي المسكين .."[2]

وعندما حاول "محمود" أن يطلب منهم أن يروه أمر النيابة بالقبض عليه، سخروا منه وشتموه وصفعوه، ثم وضعوه في السيارة معصوب

---

[1]- رحلة إلى الله، ص ٢٦ .

[2]- المصدر نفسه، ص ٢٧ .

العينين، والكيلاني يصف تلك الحالة بأسلوب مؤثر فيقول :"لم يعد يرى شيئاً، العالم كله من حوله ظلام، والصمت لا يقطعه إلا أزيز العربة، وصراخ النسوة في القرية يتناهى إلى سمعه ضعيفاً واهناً، وكذلك صوت الديكة، والمؤذن وهو يلقي بعض التوشيحات تمهيداً لأذان الفجر .. والمجهول كوحش خرافي بشع يفتح فمه الداكن ككهف سحيق مليء بالحيات والعقارب، قلبه يحدثه بأن الأمر خطير، لكن لماذا هو خطير لهذه الدرجة؟؟[1]

وهناك في السجن الحربي وجد "محمود صقر" نفسه على رأس مجموعة مسلحة، وهي التهمة التي واجهوه بها، ووجد نفسه يعترف بتلك التهمة الخطيرة التي ما كان يعرفم عنها شيئاً حتى يريح نفسه من العذاب المضني، والسهر الطويل، والظمأ القاتل، والجوع القاسي، ثم أحضروا له أربعة شباب، على أنه رئيسهم، فنظروا إليه في استغراب ودهشة، قالوا له إن هذا منافٍ للحقيقة، لكن "محموداً" هز رأسه في ألم، وأخبرهم أنه يعرف جيداً ما هو بصدده، وأنهم يجب أن يستمعوا إلى كلامه، ونظروا إلى جسده الدامي العاري، وإلى وجهه الممزق المتورم، وإلى حاملي السياط من حوله، وكذلك الكلاب الذكية التي تنتظر الأوامر، وأمّنوا على كلامه..[2]

ثم بدأ السؤال عن السلاح، لأن من وافق على تهمة ترؤسه لجماعة مسلحة لابد أن يكون في حوزته سلاح أو أن يعرف مكان ذلك السلاح، واستمر التعذيب ليحصل السجانون على اعتراف منه بشأن السلاح، حتى

---

[1]- رحلة إلى الله، ص ٢٨ .

[2]- المصدر نفسه، ص ٣٢ .

أغمي عليه، وحين أفاق من غيبوبته كان بين الهذيان وبين الإفاقة، حتى أكد طبيب السجن لـــ"عطوة الملواني" أنه لن يحتمل التعذيب وأنه سيموت إذا استمر التعذيب معه، ثم بين الطبيب بأنه إذا مات فلن يستطيع أن يأخذ المعلومات التي يريدها، فاضطر "عطوة" لأن يتركه إلى حين.[1]

ولعل الكيلاني بدقته في تصويره لحالات التعذيب التي تعرض لها "محمود صقر" يسهم بشكل كبير في تميز هذه الشخصية وتفردها، وقد حوت هذه الرواية "رحلة إلى الله" عدداً كبيراً من المعتقلين مثل :

الشاعر "يوسف"[2]، والضابط "معروف الحضري"[3]، والسوداني "رزق إبراهيم"[4]، والفلسطيني "عبد الحميد النجار"[5]، وكلهم قد تعرضوا للتعذيب

---

[1]- انظر : رحلة إلى الله ، ص ٣٦ .

[2]- يلقبه إخوانه بشاعر المحنة الأكبر، له قصيدة نونية طويلة يذكر فيها ما مرّ به وبإخوانه من تعذيب في السجن الحربي. انظر : رحلة إلى الله ، ص ١٨٦ . لعله أن يكون الشخصية المعروفة "الشيخ يوسف القرضاوي"، فهو أيضاً شاعر وله قصيدة طويلة في السجن الحربي .

[3]- كان معروف يحظى باحترام الجميع لأنه كان بطلاً من أبطال حرب فلسطين المشهورين، وقد كتبت كبريات الصحف العربية عن تضحياته وبطولاته في عام ١٩٤٨م، ومع ذلك فهو رجل عف اللسان، في غاية من التواضع والإخلاص والرقة. يقول عنه أحد رجال حكومة الثورة :"لو أن معروفاً اكتسب شيئاً من المرونة واللباقة، وفكر في مصلحة نفسه لكان الآن واحداً من كبار رجال الثورة المرموقين . انظر : رحلة إلى الله ، ص ١٨١و ٣٣٦.

[4]- طالب سوداني يدرس في القاهرة بكلية الحقوق. انظر : رحلة إلى الله، ص ١٨٠.

[5]- من المهاجرين الفلسطينيين الذين احتل اليهود بيوتهم وأراضيهم، وكان من الذين يعيشون على الإعانات التي تقدم لهم من مصر أو من هيئة الأمم المتحدة، وقد انضم=

الشديد، وكانوا هم جميعاً أمام الكيلاني ليسجل ما عانوه من تعذيب في السجن، إلا أن الكيلاني اختار "محمود صقر" منهم ليسجل عن طريقه فنون التعذيب التي مورست في ذلك الوقت في السجون المصرية.

وتسوء حالة "محمود" لدرجة أنه يصل إلى مرحلة الهذيان والإغماء العميق، ويضطر "عطوة الملواني" لإرساله للمستشفى ليعالج هناك، وخلال فترة العلاج يزور "عطوة" المستشفى ليجد "محموداً" أمامه، جالساً يأكل، فيفاجأ "عطوة" بتحسن صحته بسرعة، فينظر إليه "محمود" بعينيه الصافيتين، "وكان عارياً إلا من سروال قصير حتى لا تلتصق الملابس بالجروح، وعدد كبير من الجروح قد التأم، والميركروكروم الأحمر المطهر يغطي كل جسده، وتوقف محمود لحظة عن المضغ، وظل محملقاً في عطوة لحظات، ثم أخذ يلوك الخبز والجبن ببطء في فمه، كانت التورمات في وجهه قد خفت إلى حد كبير، ومن ثم اتضحت ملامح وجهه"[1] وقد حاول الطبيب أن يثني "عطوة" عن إرجاع "محمود" للسجن للبدء بالتحقيق معه من جديد، لأن حالته الصحية قد تنتكس ثانية، فوافق "عطوة" على مضض.

وعندما نطق "عطوة" بكلمة "التحقيق" "دق قلب محمود إشفاقاً، وهو يعلم معنى كلمة "التحقيق"، إنها السياط والحرق بالنار والركلات والصفعات وسيل السباب والشتائم البذيئة والادعاءات الكاذبة التي لا أصل لها، ليته مات منذ البداية، إن العناء الذي يتعرض له يبدو أنه لا نهاية له. من أين نبتت فكرة

=للإخوان المسلمين لأنه كما قال :"رأى فيهم الأمل لتحرير فلسطين". انظر : رحلة إلى الله ، ص ١٨٠ و ٢٣٩.

[1]- المصدر نفسه، ص ١٣٦ .

حيازته للسلاح في ذهن "عطوة"، إنه لا يملك سلاحاً، وزملاؤه في القضية لم يذكروا شيئاً عن ذلك، وكل الشواهد والقرائن تبرئ ساحته من هذه التهمة، "يا ويل البريء الذي يدخل السجن الحربي" .. نعم صدق "محمود" فيما يقول لأن المتهم عنده ما يقوله من الاعترافات، ومن ثم يستطيع أن يضع حداً للعذاب القاسي الذي يتعرض له، ولا بأس بعد ذلك أن يُقدم إلى المحاكمة ويحكم عليه بالموت أو السجن، المهم أن يكون لهذا الإرهاب الدموي نهاية حتى ولو كانت الموت."[1]

ويأتي تذكر "محمود" لأحداث مضت كوسيلة استخدمها الكيلاني في ذكره للفترة الماضية التي لم يقدم لنا وصفاً مباشراً لها، فبين لنا بلسان الشخصية نفسها وبطريقة الاسترجاع للأحداث، "فقد تذكر "محمود" الليالي التي عانى فيها من الحمى والهذيان والأحلام المختلطة، بل إن أذنيه التقطتا ذات مساء صوتاً يقول :"إنا لله وإنا إليه راجعون .. أشهد ألا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله .. أديروه صوب القبلة .. وتشهدوا عليه جميعاً .."، لكنه لم يمت .."[2]

ونراه في مناسبة أخرى يتذكر حالته أثناء التعذيب فيقول مخاطباً إخوانه في الزنزانة :"لم أشعر بآلام السياط إلا في البداية، وبعدها خُيِّل إليَّ أن جسدي كله قد تخدر .. فاستسلمت .. وماذا كان بيدي أن أفعل ؟؟ إنها لحظات تنظر حولك فلا تجد إلا الله .. عندئذٍ تقترب منه .. تناديه فيرد عليك .. تشكو له

---

[1]- رحلة إلى الله، ص ١٣٧ .

[2]- المصدر نفسه، ص ١٤٠ .

فينزل السكينةعلى قلبك .. لعلها أروع لحظات الحياة .. إنها أوقات خلوة واعتكاف على الرغم من الشياطين الذين يحاصرونك بالسياط .."[1]

ومن طريقة الكيلاني التي ذكرناها سابقاً أنه يمهد لأحداث قادمة، فنراه يصف الشخصيات التي في تلك الزنزانة كلاً بما يُشغله، ويتوقف عن شخصية "محمود" ليصفه وصفاً خاصاً، فيقول :"كان يجلس صامتاً وابتسامة من نوع عجيب ترتسم على محياه الشاحب، وفي عينيه يلمع بريق سحري يشد إليه القلوب والأرواح".[2]

وفي وقت آخر أيضاً يعود الكيلاني لنفس الوصف فيقول :".. بقي "محمود صقر" صامتاً، والابتسامة الغريبة تضيء محياه الشاحب، والنظرات الصافية تتألق في الظلام .."[3]

وفي آخر مشهد لـــ"محمود صقر" في هذه الرواية يتم الكيلاني هذا الوصف برسم صورة لنا مفصلة لمقتله، "فقد رأى "عطوة" ابتسامة "محمود" ونظراته الصافية المؤمنة في عينيه، إنه لا يطيق ذلك، فرفع يده ثم أهوى بها على وجهه في قوة، ثم التفت "عطوة" في ساحة التعذيب في السجن الحربي إلى زبانيته وقال لهم :" إما أن يعترف بالسلاح .. أو تحضروه لي جثة هامدة .. جثة هامدة .. مفهوم .."

---

[1]- رحلة إلى الله، ص ١٨٩ .

[2]- المصدر نفسه، ص ٣١٦ .

[3]- المصدر نفسه، ص ٣١٨ .

إذن فقد صدر الحكم .. أصدره "عطوة الملواني" ببساطة وهدوء وهو نصف سكران، وأدرك محمود بشاعة الموقف .. وتمنى محمود في هذه اللحظات أن يكون لديه سلاح حتى يعترف به .. كان "محمود" تائهاً عن كل ما حوله، لم يعد يستطيع أن يفهم شيئاً أو يميز ما يقولون، فقد انهالت السياط عليه دون رحمة، حتى التأوهات ... أو كلمات الاستغاثة لم يعد قادراً على التلفظ بها .. انتهى كل شيء .. وسلم أمره لله .. لم يعد يرى شيئاً تحول العالم من حوله إلى ظلام دامس .. ماذا رأى بعد ذلك ؟ ماذا سمع ؟ السر عند بارئ الأرض والسماء .. لعله رأى من جديد قبساً من ضياء .. أو لعله رأى أمه وهي تطعمه ... لا أحد يعرف هذه المرة ماذا جرى بالضبط له .. أحد العساكر قال إنه رآه يبتسم وهو ملقى لا حراك به .. وذكر أيضاً أن "عطوة" قدم ليلقي عليه النظرة الأخيرة وهو راقد كالجثة .. ورأى الابتسامة، فجن جنونه وأخذ يركله بقدمه في وحشية .. لكن الابتسامة برغم كل ذلك لم تنطفئ .."[1] ولعل هذا الموقف كان السبب في الوصف السابق الذي أراد أن يؤكد عليه الكيلاني، أو أن يهيئ القارئ لحدوثه.

واستطاع "إسماعيل" – أحد السجناء – معرفة ما حدث فنقل ذلك لإخوانه في الزنزانة فقال :"محمود صقر مات .. دفنوه في صحراء العباسية.. وكتبوا أمام اسمه في الدفاتر والسجلات كالعادة كلمة "فرار"."[2]

والقصة إلى الآن لم تنته بعد فقد استيقظت قرية "منية البندرة" ذات يوم على رجال المخابرات المدججين بالسلاح، الذين يبحثون عن "محمود" فقد

---

[1]- رحلة إلى الله، ص ٣٥٠ .

[2]- المصدر نفسه، ص ٣٥٢ .

"هرب من السجن كما قالوا، وقلبوا بيته رأساً على عقب، وذهبوا إلى بيوت أصدقائه وأقربائه، ولكن والده الشيخ العجوز يقول "ولدي لا يهرب من قضاء الله .. أنا أعرفه .. قلبي يحدثني أنه لم يهرب.." ثم قُبض على الوالد ليعود بعد يومين كابياً حزيناً حليق الذقن، وغمر القرية حزن عميق، كانت الصبايا يملأن الجرار في صمت، وكان من عادتهن قبل ذلك أن يترنمن بالأهازيج والأغاني الشعبية، وذهب الفلاحون إلى حقولهم غارقين في الأسى والكمد، وأصدر العمدة أوامره لأهل القرية بألا يتحدث أحد في السياسة على الإطلاق، أو يذكر موضوع محمود صقر على لسانه.. وحذرهم من السخط أو إظهار أي شعور عدائي، لأن الأوامر صريحة بالقبض على كل من تسول له نفسه الدخول في أحاديث تمس هذا الموضوع من قريب أو بعيد .. "[1]

والوالد الشيخ يقول لزوجته :"الشكوك تساورني .. أخذوني إلى جميع الأقرباء ليفتشوا عن محمود .. لاحظت أن التفتيش لم يكن جدياً .. كان مجرد إجراء شكلي بحث .. قلبي يحدثني أن ما يفعلونه مجرد تمثيلية رخيصة ساقطة .. تساءلت ما معنى ذلك ؟ قلت لنفسي إن وراء الأمر سراً لا أعرفه .. وكيف يهرب محمود من السجن الحربي وحوله الأسوار العالية، والأسلاك الشائكة، والجنود المدججون بالسلاح ليل نهار؟ إنه لأمر محير .."[2]

ود. عبد العزيز الدسوقي يقول :" أعترف أنني بكيت أكثر من مرة وأنا أقرأ بعض صفحات هذا العمل الإنساني العظيم أي رواية "رحلة إلى الله".

---

[1]- رحلة إلى الله، ص ٣٩٥ .

[2]- المصدر نفسه، ص ٣٩٦ .

- فبكيت عندما مات "محمود صقر" ودفنوه في الرمال، وصور المؤلف وقع هذا الحدث على مسجوني الزنزانة التي فيها "معروف الحضري"، وهم يصلون صلاة الغائب على روح "محمود صقر" الذي كان معهم ثم فقد حياته تحت سياط الزبانية والجلادين ونهشات الكلاب.
- وبكيت بدمع غزير وأنا أقرأ تلك الصفحات الرائعة التي كتبها نجيب الكيلاني عن قرية "محمود صقر"، ووالده المتصوف وهو يهذي في الطريق حتى مات.

وأعتقد أنني لم أكن أبكي لأن المؤلف ساق إلي أخباراً بشعة عن التعذيب والآلام فأنا أعرف الكثير عن هذه الوقائع، وقد أختلف مع المؤلف في بعض مبالغاته في تصوير هذه الأحداث، ولكنني كنت أبكي لأن المؤلف استطاع أن يجسد هذه الوقائع والأحداث في عمل فني مرهف أعمق من الواقع نفسه.

وهذا هو تأثير الفن العظيم، ولهذا تابعت المؤلف في عمله دون أن أناقشه في صدق الأحداث أو كذبها، لأنه أقنعني – بالصدق الفني – بكل ما ساقه في الرواية من وقائع وأحداث ."[1]

وبعد .. فقد رسم الكيلاني هذه الشخصية وصور ما مرت به ببراعة بحيث أنها أدت الدور المطلوب منها في تلك الرواية، مع أنها أخذت حيزاً محدوداً من مساحة الرواية، إلا أن القارئ لا يستطيع أن يمحو هذه الشخصية من ذاكرته بعد قراءته للرواية، فالرواية مليئة بالشخصيات والأحداث، إلا أن هذه

---

[1]- الكيلاني ، رحلتي مع الأدب الإسلامي ، مقالة في نقد رواية "رحلة إلى الله " نشرت في مجلة الثقافة المصرية عدد مارس ١٩٧٩م، وقد أثبتها الكيلاني في كتابه هذا مع ما أثبته من مقالات أخرى تنقد أعماله الأدبية ، ص ١٣٦و١٣٧ .

الشخصية تميزت بثباتها على دينها، وصبرت على التعذيب الذي يعجز عن تحمله الكثيرون، وقُتلت هذه النفس البرئية بدم بارد ظلماً وجوراً، وزاد من الظلم نسبة الفرار إليها، ثم إيذاء أهله والتضييق عليهم ومحاسبتهم واتهامهم بالتستر على ذلك الفرار المزعوم .

❑ شخصية "المقنع" في رواية "طلائع الفجر" :

سبب اختياري لهذه الشخصية أن الكيلاني جعلها شخصية بطولية، مثالية، وكانت بتميزها بقيامها بأعمال قتالية تحتاج لشجاعة وإخلاص يندر توفرهما في النفس البشرية، والتاريخ قد ذكر لنا بعضاً من هذه الشخصيات الواقعية، والكيلاني برسمه لهذه الشخصية اعتمد على كلام الناس في وصفها وتقديمها للقارئ، وركز على غموضها الذي لم ينكشف إلا في آخر الرواية، الأمر الذي زاد من تميزها، وقد فُطر الناس على حب البطولة والشجاعة، وعلى شغفهم الزائد في تداول قصص الشجعان والأبطال، وخاصة في وقت الحروب، فهي تذكي في النفوس مشاعر الإخلاص والرغبة في الدفاع عن الدين والوطن، وتعطي قدوة مثالية تقف شامخة لتساعد في ثبات من حولها. هذا دورها الإيجابي في محيطها، ولها دور إيجابي أيضاً لصالحها في جانب أعدائها، فهي تزرع الخوف والرعب في نفوس أعدائها، وتجعلهم دائمي القلق والتوجس، وتساعد في الحرب النفسية التي تعتبر من أهم العوامل في الهزيمة إذا أُحسن استخدامها بذكاء.

"المقنع" في بداية رواية "طلائع الفجر" يظهر لنا وقد دخل معسكر "مراد باشا" الذي كان يغط في نوم عميق بعد ليالي السهر الطويلة، والمعارك

الصغيرة التي كان يخوضها في أماكن شتى، وقد فوجئ بصوت حارسه خارج خيمته يصيح :

- "قف .. من أنت؟"

فسمع صوتاً يقول :

- قل لمولاك إن الإنجليز بدأوا يزحفون .. وأنهم يلبسون القمصان البيضاء .. ويريدون الفتك بكم الآن، وماهي إلا دقائق حتى تجدونهم بين أظهركم" .

فصاح به الحارس : "من أنت ؟"

فأجابه :"المقنع".

وسرعان ما اختفى الشبح الطويل القامة، وغيبه الظلام الدامس[1].

وهكذا فبتحذير "المقنع" هذا للمصريين فقد أفقد الإنجليز عنصر المفاجأة في خطتهم تلك الليلة، وخسر الإنجليز جولة من جولاتهم، حتى أن قادتهم بدأوا يشكون في وجود خائن بينهم ينقـــل تحركاتهم لأهل مصر.[2]

ويبدأ الكيلاني أولى محاولاته لربط شخصية "المقنع" الغامضة بشخصية "إبراهيم" ابن "طاهر باشا" عمدة مدينة رشيد، الذي كان والده متأثراً بما درسه من آراء ابن تيمية،[3] فتبقى الشكوك قائمة حول الشخصيتين إلى أن تتجلى الحقيقة في نهاية الرواية بأنهما كانتا شخصية واحدة، فيقول "طاهر باشا" لزوجه حين عاد إلى البيت في وقت متأخر من الليل: - أين "إبراهيم"؟

---

[1]- طلائع الفجر، ص١٥.

[2] - المصدر نفسه، ص ١٧ .

[3] - المصدر نفسه، ص ٦٢ .

فتجيبه : – كالمعتاد (ذهب في مهمة ما بالمدينة).

– و"محسن"؟[1]

– لا أدري أين ذهب ..

– طبعاً هو الآخر يقوم بمهمة ما بالمدينة ..

ثم ذهب وهو يغمغم :

– ما أعجب الفرق بين المهمتين .. هذا يملأ كأس اللذة، وذلك يغمر كأسه بالدم ..[2]

والوالد يعرف أن ابنه "إبراهيم" يخرج في بعض الليالي في مهمة تتعلق بالقتال أو جمع المعلومات عن الأعداء، وهو يعرف أيضاً حقيقة أن ابنه "إبراهيم" هو "المقنع" الذي يثير ذكر اسمه الرعب في قلوب الإنجليز.[3]

و"المقنع" هو الذي غامر ودخل معسكر الإنجليز ليلاً لينقذ أخاه من الأسر، وقد نجح في ذلك، وعاد "محسن" إلى بيت أبيه، ليتقمص في بعض الفترات شخصية "المقنع" التي لم يكن يعلم حقيقتها بعد، إلا أنه استفاد منها ليحذر "قطان باشا" الذي كان عميلاً للإنجليز، فكان يرسل الخطابات له ولابنته "روز" موقعة باسم "المقنع"، استفادة من السمعة التي كانت تحيط بهذا الاسم وبهذه الشخصية الغامضة، التي أرهبت ذلك الجاسوس وكفّته عن كثير من الشرور التي كان يثيرها بخيانته تلك.

---

[1]– محسن هو أخو إبراهيم تكلمنا عنه في الشخصيات النامية في بحث الشخصية الثانوية، وقد كان في بداية الرواية غير مهتم بالقتال أو الدفاع عن بلده، ومنشغل بلذاته ولهوه فقط.

[2]– طلائع الفجر، ص ٦٦ .

[3]– المصدر نفسه، ص ٢٥٠ .

ويصور لنا الكيلاني تلك المغامرة التي انتهت بفكاك "محسن" من الأسر، فيقول :" تناهى إلى سمع "محسن" صفارات حادة ونداءات محذرة، ونظر "محسن" من خلال ثقوب صغيرة في خيمته فراعه أن ينقض بعض الملثمين على الحارسين، ثم يجهزون عليهما في سرعة عجيبة دون أن يصدر عنهما حتى صوت استغاثة واهنة، وقبل أن يتحرك من مكانه شعر بأيد غليظة خشنة تجذبه إلى الخارج في جفاف وعنف، لكن الحبال التي كانت تغلله عاقته عن الاستجابة لجذبهم، وسرعان ما أخرج أحد المهاجمين خنجره وقطع الحبال، ثم سلم محسن سيفاً ودفعه ناحية الترعة وهمس :

- هيا لنقفز هذه الترعة، أو تخوض مياهها بسرعة قبل أن يلحق بنا العدو ..

وهنا ظهر الشخص "المقنع" وقال في صوت أجش صارم :

- الجياد تنتظر على مسافة مئتي ياردة شرقاً ..

وانطلق محسن حسب الأوامر الصادرة إليه وهو في شبه حلم، كان يتحرك كالآلة دون وعي أو تفكير، ففي لحظة كان على الشاطئ الآخر للترعة، وبعدها أخذ يجري بكل ما أوتي من قوة، كان حب الحياة، والأمل في الحرية والخلاص يثيران في جسده قوة خيالية، ويبعثان في ساقيه سرعة خارقة، يتبعه طائفة من الرجال الملثمين ..

وهكذا عاد "محسن" إلى بيته .. والتزم الصمت إزاء الطريقة التي خلص بها من الأسر حسب أوامر "المقنع" الذي همس في أذنه في الطريق بألا يتكلم .."[1]

---

[1]- طلائع الفجر، ص ١٧٩-١٨٠ .

ويذكر لنا الكيلاني دور هذه الشخصية "المقنع" فيقول :"ولقد كان لهذا الغموض الذي يكتنف شخصية "المقنع" المجهول أثر بعيد المدى في نفوس أهل رشيد وفي نفوس الإنجليز، فقد اعتبره الإنجليز أسطورة من الأساطير، بل ظنوه علماً على حركة مقاومة جبارة تكيل الضربات المسددة لقواتهم، وخاصة بعد أن أفسد عليهم كثيراً من الهجمات التي أرادوا أن يفاجئوا بها "مراد باشا" أو مدينة رشيد .. وكان الأهالي في مدينة رشيد معجبين أيما إعجاب بشخصية "المقنع" لأن طبيعتهم – خاصة في تلك الفترة – تقدس البطولة، وتجعل الشجاعة في سبيل الوطن وحريته على رأس الفضائل قاطبة .."[1]

أقول : وهذا أمر فطري موجود في كل زمان وفي كل مكان، ولم يكن خاصاً بأهل رشيد في تلك الفترة الزمنية فحسب. وهذا الشرح السابق من الكيلاني قد تعرض إليه مراراً في روايته تلك، بشكل غير مباشر، واستطاع القارئ أن يفهم هذا الدور الذي قامت به هذه الشخصية بغموضها المثير، ولم يكن هناك حاجة برأيي لهذا الشرح الذي أظهر الكاتب من خلاله عدم ثقته بقدرة القارئ على فهم هذا الدور الذي أراده لهذه الشخصية، فلو أنه أكمل روايته وأحداثها بدون هذا التوقف الذي قطع الأحداث ليحلل لنا دور هذه الشخصية، لكان أفضل وأكثر متعة للقارئ.

ويكمل الكيلاني شرحه لشخصية "المقنع" فيقول :" أما "المقنع" نفسه فقد كان شخصية مثقفة، تميل إلى المخاطرة وخوض الغمرات، وقد كان يعجب بقصص البطولة، ويتعشق سير المغاوير من أبطال التاريخ الإسلامي، حتى

---

[1]- طلائع الفجر، ص ٢٢٤ .

أساطير أبي زيد الهلالي وسيف بن ذي يزن اليماني والزير سالم وعنترة بن شداد وغيرهم كانت تطربه أيما طرب، وتستولي على لبه، فيحرص على سماعها من شعراء الربابة، تدفعه إلى ذلك رغبة جامحة لا تقاوم، وقد دفعته تلك الروح الفتية، وآمال الشباب العريضة وأحلامه، إلى أن يثير حول نفسه الفضول والتساؤل، فيعطي حركة المقاومة طابعاً مميزاً يوحي إلى الإنجليز بالرهبة والخوف، ويدفع أهالي رشيد إلى التضحية والإعجاب، والتأسي الحسن بأمثاله ..[1]

وهذا الشرح الآن يختلف عن الشرح السابق، إذ أنه في هذا الشرح يبين لنا خصوصيات تتعلق بهذه الشخصية الغامضة، ويقدم لنا بعض المعلومات التي يتشوق القارئ إلى معرفتها عنها، خصوصاً أن الرواية بدأت في الوصول إلى النهاية، فلا بد أن تتكشف هذه الشخصية قريباً فيأتي هذا الشرح ليمهد للكشف عن هذه الشخصية، فهذا الشرح أو التعليق مقبول ومفيد في رسم الشخصية ووضوحها للقارئ، بعكس الشرح السابق الذي كان فيه شيء من التكلف الذي قد لا يكون هناك حاجة إليه.

نهاية "المقنع" :

أصيب "المقنع" بجروح بالغة وأخذه الجنود إلى حيث يحمل الجرحى، وما أن كشف القناع عن وجهه حتى عرفوه لأول وهلة فأسرعوا بحمله تواً إلى بيت أبيه، أما "طاهر بك" فقد كان مشتركاً في المعركة وكان يعلم حقيقة

---

[1]- طلائع الفجر ، ص ٢٢٤ .

ابنه وأصابه الفزع، والإشفاق حينما نما إلى سمعه خبر إصابة "المقنع" بجراح خطرة، بقي مكانه يقود ويوجه تاركاً الأمر لله.[1]

وتوفي "إبراهيم" أو "المقنع" بعد ذلك بثلاثة أيام متأثراً بجراحه الخطيرة، وفي مقدمة قبور الشهداء في بلدة رشيد يبدو قبر ناصع البياض، في واجهته لوحة من الرخام مكتوب عليها : "هذا قبر الشهيد إبراهيم طاهر الشهير بالمقنع ..."[2]

ومع حفظ هذا القبر لاسم هذه الشخصية بكتابته على لوحة من الرخام، تبقى هذه الشخصية محفوظة في أذهان قراء تلك الرواية لما تمتعت به من تميز، أثارت به مشاعر القراء وتفاعلهم معها وتشوقهم لمعرفة حقيقتها من البداية حتى النهاية. إلى جانب اختيار الكيلاني للشهادة نهاية لهذه الشخصية الأمر الذي ساعد على كل ما ذكرناه من تميز من هذه الشخصية وتفاعل من القارئ معها.

❑ شخصية "الشيخ سلامة" في رواية "ليل وقضبان" :

تتميز هذه الشخصية بغرابتها الشديدة، فالشيخ سلامة "شيخ في الستين من عمره، محكوم عليه بالأشغال الشاقة المؤبدة، ويقال إنه قتل أخاه من أجل الميراث، وقد شهدت عليه زوجة أخيه "نبيهة بنت حسن عرفات" تلك التي لا يكف عن ترديد اسمها، والتي يعرفها كل من بالسجن لكثرة ورود اسمها على لسان الشيخ سلامة، وهذا الشيخ ليس في حالة طبيعية. إنه يهذي كثيراً،

---

[1]- انظر : طلائع الفجر، ص ٢٥٠ .

[2]- المصدر نفسه، ص ٢٦٢ .

ويخاطب أشباحاً غير مرئية، ويحتد في مناقشات وهمية، ويصب لعناته على "نبيهة بنت حسن عرفات" ويزعم أنها وباء، وريح صفراء، ويهودية بنت يهودي، إنه ملتاث العقل برغم عودته من مستشفى الأمراض العقلية، وبرغم تقرير الطبيب بأنه "صالح للسجن تماماً"، وكيف يكون عاقلاً من يقف الساعات الطوال أثناء الليل داخل الزنزانة ويمسك بحذائه ملوحاً بها ويهتف في صوت متحشرج :"أخرجي .. أخرجي يا مجرمة وإلا استدعيت البوليس". وأحياناً يلجأ إلى الصمت المطبق لا يفتح شفتيه لبضع ساعات، وليس يبدو عليه شيء غير عادي إلا تلك النظرات المخيفة المسددة إلى المجهول ."[1]

وحين يسأله رفاقه في الزنزانة عن حاله مع "نبيهة"، يقول : "اسمعوا. إنها تشتمني .. حسناً سأضع القطن وقطعتي الصفيح فوق أذني. لو كان هناك حكومة لما تركوها تأتي إلى هنا إنها وباء .. كوليرا .. اخرجي اخرجي .." وتضج الزنزانة بالضحك ويقول أحد السجناء : قل لي كيف قتلت أخاك؟ فيثور الشيخ "سلامة" ويهب واقفاً بعوده القصير ولحيته البيضاء، وينتصب كالشبح وسط الزنزانة التي تغرقها العتمة، ثم يرغي ويزبد، ويتناثر اللعاب من فمه، ويلوح بكفه المتشنجة، ودموع تتفجر من عينيه ويصرخ مهتاجاً : نبيهة بنت حسن عرفات . إنها وباء . إنها كوليرا. إنها تكلمني بالتليفزيون . تصوروا بالتلفزيون.. هل منكم من سمع عن التلفزيون ؟. ويعود الهدوء وتسبح الخواطر والآمال في عالم الصمت والظلام، ويكف الشيخ سلامة عن الهذيان.[2]

---

[1]- ليل وقضبان، ص ٣١ .

[2]- المصدر نفسه، ص ٣٢ .

وعندما حاول السجين "عبد الراضي" في ساعة غضب أن يقتل السجان الغليظ القلب "الشلقامي"، أكد الشيخ سلامة أن نبيهة هي القاتلة، فقال :"المسؤول الأول عن هذه الجريمة ليس عبد الراضي .. لكنها نبيهة بنت حسن عرفات .. إنها وباء أصفر .. ألم أقل لكم إنها تأتي إلىهنا وتحمل معها الكوارث .. يهودية بنت يهودي .. آه لو سمعوا كلامي لقد أخبرت المدير بخطاب رسمي منذ أسبوع، وشرحت له الخطورة الكامنة وراء نبيهة بنت حسن عرفات . لكن للأسف ضحك مني . وضحك "الشلقامي" هو الآخر عندما رأى المدير يضحك .. كانوا يضحكون .. وها هم الآن يبكون ويعضون بنان الندم . ألم أقل لكم ؟ يهودية بنت يهودي هي الشيطان في ثوب امرأة." فيقول له "عبد الحميد" : اعقل يا شيخ سلامة. فيقول له : المجانين أنتم."[1]

والشيخ سلامة يكرر اتهام "نبيهة" في كل وقت بمناسبة وبغير مناسبة. [2] و"فارس" أحد السجناء يرى أن الشيخ سلامة سعيد فيستغرب صديقه فيقول له :"كيف ؟؟ أتعتبر الجنون مرادفاً للسعادة .؟..

فيجيبه :"البحث عن السبب هو مصدر شقاء الإنسان.. والحاج "سلامة" وجد السبب، كل شيء يعزوه إلى "نبيهة بنت حسن عرفات"، إنها الخيانة والجريمة والضياع والسجن والخديعة، هي كل رذيلة. لقد عثر على ما يظنه هو حقيقة المأساة في حياته .."[3]

---

[1]- ليل وقضبان، ص ٧٥ .

[2]- انظر : المصدر نفسه، ص ٩٨ و ١٠٠ و ١٠١ و ١٠٨ و ١٥٣ و ١٦٩ .

[3]- المصدر نفسه، ص ١٠٩ .

وفي دراسة نقدية لرواية "ليل وقضبان" للأستاذ عبد المنعم عواد يوسف يقول عن هذه الشخصية :"هي حقاً من الشخصيات القصصية النادرة، إنها وُلدت ومعها وثيقة البقاء، شهادة بالخلود، وإن الأديب ليستحق التهنئة لابتكاره هذه الشخصية الفذة، شخصية غريبة، فريدة السمات، تستطيع أن تقف إلى بعض شخصيات نجيب محفوظ ذات الطابع الشاذ كـ"زيطة" صانع العاهات وأضرابه ".[1]

بقي أن نذكر هنا أن هذه الشخصية الغريبة لم تكن من ابتكار الكيلاني بشكل كامل، فقد ذكر الكيلاني أن هذه الشخصية قد استوحاها من شخصية رجل يُدعى "الشيخ عبد المجيد" التقاه في سجن أسيوط، محكوم عليه بالأشغال الشاقة المؤبدة، ويصفه الكيلاني بأوصاف تطابق الأوصاف التي اتصفت بها شخصية "الشيخ سلامة" في رواية "ليل وقضبان"، فيقول :" من العجيب أن "عبد المجيد" كان يعرف الكثير من الأحكام الفقهية، وحفظ القرآن في صغره، ويستطيع أن يجادل في بعض الأحكام، ويدلي بالأسانيد والنصوص، لكنه كان يصاب من آن لآخر بنوبات من الخرف أو قُل الجنون، فيخلط في الكلام، ويخرج من موضوع إلى آخر، ويتحدث عن أشياء خرافية، ويحكي تفاصيل غريبة لا تُصدق، ففي بعض الأحيان تراه يتحدث بمنتهى الرزانة والمنطقية، وفي أحيان أخرى ينقلب الحال إلى النقيض، وفي حالاته الطبيعية كانت هناك عبارة تقلب حاله قلباً في لحظات، هذه العبارة هي "نبيهة بنت حسن عرفات" حاولت كثيراً أن أتقصى أخبار "نبيهة" هذه، من تكون؟ وما علاقتها به؟ لكني لم أجد الجواب الشافي، كان الشيخ "عبد المجيد" يحب الجلوس معنا أثناء الفسحة في العصر، ونتبادل معاً شتى الأحاديث .. وكلما حاولت أن أسأله عن

---

[1]- ليل وقضبان، ص ١٩٨ و ١٩٩ .

"نبيهة" سرعان ما يحتقن وجهه، وتجحظ عيناه، وينطلق في حديث ثائر، يصحبه الزبد والرذاذ، فنندم على أننا قد نكأنا جراحه ..(ويقول نفس العبارات التي تكررت في الرواية على لسان الشيخ "سلامة") .. وكان "عبد المجيد" مسلياً ومحدثاً لبقاً، لديه الكثير من القصص والتجارب ... وعلى الرغم من حيرتنا حيال جريمته إلا أن الحكم عليه بالأشغال الشاقة يعني أنه قاتل، وقد قيل إنه قتل "نبيهة" زوجة أخيه، وقيل أيضاً إنه لم يقتلها ولكنه قتل أخاه، وأشياء أخرى قيلت، لكن الحقيقة ظلت ضائعة.."[1]

❑ شخصية "مسعدة" في رواية "ملكة العنب" :

"مسعدة" هي أم الشيخ "محمد حسب الله" وهذه الشخصية لم يكن لها دور كبير في الأحداث في هذه الرواية، إلا أنها تميزت بطرافتها، فـ"مسعدة" امرأة تعيش في القرية، لها ولد واحد وهو الشيخ "محمد حسب الله"، لها جاموسة تعطيها الحليب كل يوم، وهناك تكمن طرافة هذه الشخصية، فـ"مسعدة" تكلم جاموستها كأنها إنسان يعي ويفهم،[2] وهي لا تكف عن الشجار معها، وعن اتهامها بالتمرد وقلة الحياء، وغير ذلك من الصفات السلبية التي تنطبق على بعض الناس، وكأن الجاموسة من البشر، تقول لها :"يا ناكرة الجميل، طالما سهرت إلى جوارك وأنت مريضة، وهأنذا أرعاك وأنت حامل .. ألست خجلى من نفسك ؟ واليوم تعاندين وترفضين إدرار اللبن. لماذا؟ إن مدة الحمل حتى الآن ثلاثة أشهر، ولا بد أن تستمري في العطاء حتى الشهر السابع أو الثامن، أهو الخبث والشجع؟ إن ثمن طعامك أكثر مما يتكلّفه طعامي أنا

---

[1]- ليل وقضبان، ص ١٥٤-١٥٥ .

[2]- ملكة العنب، ص ١٢ .

والشيخ "محمد" .. وأنت بهيمة .. ماذا لو كنت تقفين في طابور الجمعية .. أنا أقدم لك كل شيء جاهزاً .. حتى في الأيام السوداء التي قبضوا فيها على الشيخ "محمد" كنت تأكلين أكثر وأكثر، وأنا لا أضع الزاد في فمي. لو لم أكن أحبك لجلدتك كل صباح حتى تدرّي اللبن .. لكنك تعيشين مدللة .. منعّمة .. مكرّمة حتى في الوقت الذي كانوا يجلدون فيه ولدي .. هل أقول أن منزلتك عندي تقارب منزلة ولدي ؟؟ لقد أفسدك التدليل فعلاً .. وستدرين اللبن شئت أم أبيت، وإلا فسأبيعك في سوق "الاثنين" كما تباع حثالة البهائم، ولن أذرف عليك دمعة واحدة.

عندئذٍ زامت الجاموسة وأخذت تدب برجليها، وتضرب بذيلها .. وتحرك رأسها يمنة ويسرة، ثم تنطح المِزْوَد الذي تأكل منه .. فاستبد الغضب بـ"مسعدة"، وصرخت بها ثم خرجت وأحضرت عوداً من حطب جاف، وأخذت تضربها على ظهرها بدون عنف، والجاموسة لا تكف عن الحركة المتمردة، فابتسمت "مسعدة"، وقذفت بعود الحطب بعيداً، ثم أخذت تمسح بيدها الحانية على ظهر الجاموسة وعلى جسدها وهي تتمتم : هل غضبت مني ؟؟ أردت فقط أن أعلمك كيف يكون الأدب، وكيف تكون تصرفات الناس المحترمين.."[1]

وعندما يقترح ابنها الشيخ "محمد" أن ينتقلوا إلى شقة بالقاهرة، تصر أمه على أخذ الجاموسة معها، ويبين لها ابنها أن ذلك مستحيل، إذ كيف تعيش جاموسة في شقة، فترفض الرحيل وتقول :"أنا .. وأنت .. والجاموسة شيء واحد .. إذا فرّطت في الجاموسة فمعناه أنك تفرّط فيّ، إن حبي لها كحبي لك

---

[1]- ملكة العنب، ص ١٣٧و١٣٨ .

.." ويضحك الشيخ "محمد" في سعادة، ويؤكد لأصدقائه أن مشكلة الجاموسة كانت سبباً مهماً في عدم تركه للقرية والسفر نهائياً إلى المدينة، وهو لا يستنكر هذا الحب، لكنه غير مرتاح للمبالغة فيه، فكيف يتصور أن ترفض أمه السفر معه وتفضل البقاء مع الجاموسة."[1]

وعندما تلح "مسعدة" على ابنها في أن يتزوج، يطلب منها أن تبيع الجاموسة ليجمع الأموال اللازمة للمهر ونفقات الزواج، فتغضب أمه وترفض ذلك قائلة له :"ماذا بينك وبينها؟ أتغار منها؟.[2]

وحين تحدث الناس في القرية عن غارات محتملة بالغازات السامة وقذائف الميكروبات وربما القنابل الذرية، التي زعموا أن صدام حسين سيرميها على مصر لأنها أرسلت جزءاً من جيشها لتحرير الكويت، وبدأ الناس يتكلمون عن الأقنعة الواقية التي ستوزع على الناس للمحافظة على حياتهم، فنرى "مسعدة" تقول :

- والجاموسة يا "محمد"؟ هل سنتركها بدون قناع؟ قطعاً ستموت.
- الله هو الحافظ .
- أعرف، لكن لا بد أن نفعل شيئاً لحماية الجاموسة، إنها روح .. وهي لم ترتكب ذنباً .. ولا تنسى أنها حامل، ويقولون أن الإشعاعات تشوّه الجنين ..

وأخذت "مسعدة" تفكر ليل نهار في هذا الموضوع الذي أصبح شغلها الشاغل.[1]

---

[1]- ملكة العنب، ص ١٣٩ .

[2]- انظر : المصدر نفسه، ص ١٤٦ .

وهكذا فإن شخصية "مسعدة" تميزت بطرافتها وطرافة العلاقة القوية بينها وبين جاموستها تلك، وقد ساعدت مع شخصيات أخرى[2] في دفع القارئ للابتسام، في وقت كانت أحداث الرواية بشكل عام مكفهرة، ومليئة بالمآسي والأحزان، وهي دليل على براعة الكيلاني في اختراعه لشخصيات مميزة تضيف شيئاً جديداً للحياة في رواياته.

☐ شخصية "كسّاب" في رواية "في الظلام" :

شخصية "كساب" شخصية مميزة بصفاتها الخاصة بها والمتناقضة، فالكيلاني اختار هذه الشخصية من شخصيات السجن، فـ"كساب" هذا "مجرم عتيد من الصعيد، له حوادث كثر الكلام عنها في الصحف والمجلات ورغم ماضيه الدموي المخيف، و"التأبيدة" المحكوم عليه بها، فهو "رجل"، ومعايير الرجولة يحددها في السجن عتاة السفاكين، وملوك الجريمة، فمقاييسهم قد تختلف عن المقاييس المتعارف عليها في البيئات الطبيعية، وملامح "كساب" فيها تعبيرات مختلطة، فسمرة سحنته تخفي وراءها قلباً أبيض، وتواضعه في المعاملة يخفي وراءه قوة خارقة إذا ما استثيرت دمرت، أما لحيته الكثة المهملة فتذكر الإنسان برجل الغابة، بالإضافة إلى فم متزن، وأنف لا يلفت النظر وعينين مفتوحتين دائماً لكن في طيبتهما نظرة وإنسانية لا يخطئها الناظر، وعلى العموم إذا ما تأملت "كساب"، وقارنت بين سمته وماضيه الأحمر القاني راعك الفرق الشاسع بينهما، واستولى عليك العجب من كلماته

---

[1]- انظر : ملكة العنب، ص ١٤٨ .

[2]- من ذلك شخصية الراعي كشكل وكلامه الفكاهي والمضحك في وقت تناوله للمخدرات، انظر : المصدر نفسه، ص ١٢١ ومابعدها.

الوادعة المخلصة التي لا تذكرك مطلقاً بالدم المراق، ولا الرؤوس المفصولة عن أجسادها، ولا الأحشاء الخارجة من مكامنها، أو الأحداث العنيفة التي كانت تهز أسيوط، بل تهز الوجه القبلي كله هزاً عنيفاً..[1]

و"كساب" بما أنه قاتل فهو يرى نفسه أقل منزلة من السجناء السياسيين، فعندما رحب به أحدهم ودعاه للجلوس بمودة، أخفض "كساب" من بصره في حياء وخجل، وهو الذي لم يكن يهاب الموت، ولا يهتز للون الدم.[2]

وعندما نشبت الحرب بين العرب واليهود تمنى أن يُسمح له بمحاربة اليهود.[3]

وعندما سئل عن عدد من قتلهم، أجاب بأنهم سبعة، منهم ثلاثة دفعة واحدة، ثم لما قرأ عليه أحد السجناء الآية القرآنية في القتل :{وَمَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً[4]}. اغرورقت عينا "كساب" بالدموع وقال :"أتعتقد أن الله سيغفر لي ؟؟ أنا لا يهمني السجن بقدر ما يهمني رضا الله .. ثم يقول : أنا لا أترك فرضاً .. وألح في الدعاء ..

فقيل له : { إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً }[5].

فأضاءت بارقة أمل في وجه "كساب" الأسمر."[6]

---

[1]- في الظلام، ص ١٦٤ .

[2]- المصدر نفسه، ص ١٦٥ .

[3]- انظر : المصدر نفسه، ص ١٦٧ .

[4]- المائدة : ٣٢.

[5]- الزمر : ٥٣.

[6]- في الظلام، ص ١٦٧ .

و"كساب" هو الذي يحضر للسجناء الممنوعات[1]، فهو له أساليب كثيرة في تهريب الممنوعات في السجون، وعندما اكتشف أحد السجانين ذات مرة تهريبه للسجاير تقدم "كساب" مسرعاً، وقال :هذه ملكي كلها .. وأنا آت معك إلى التأديب .. فهو يعلم أن التأديب معناه التعرض للضرب الشديد عقاباً على تهريب الممنوعات.[2]

واستمر "كساب" يحاول أن يهرب الممنوعات مثل السكر والشاي والحلوى، لـــ"فريد" المسجون سياسياً، "والحقيقة أن "كساب" هذا الإنسان الساذج الطيب .. والذي يقولون عنه أنه مجرم عتيد، قد غير فكرة "فريد" تماماً عن المذنبين، وأصبح يؤمن كما قال أحد أصدقائه بأن "كساب" وأمثاله نماذج إنسانية طيبة وخامات ممتازة من السهل تشكيلها وتوجيهها إلى الطريق السليم .. ولا شك أن هناك تبعة ضخمة تقع على كاهل المجتمع الذي كثيراً ما ينسى التزاماته نحو هؤلاء المساكين ..[3]

و"كساب" يرى أن الدنيا لن تخسر أو تكسب ببقائه وبقاء أمثاله أو موتهم، وهو لم يعد عنده أمل بالحرية أو تشوق لها، فهو يرى أنه إذا خرج من السجن، فليس أمامه أي عمل أو هدف، فهو يقول :" لا يَحِنُّ إلى الحرية إلا أصحاب المستقبل .. وذوو العائلات وأولئك الذين ينتظرهم أولادهم، ويجدون بجوارهم الأمن والدعة ولقمة العيش .. أما أنا .. أأعود إلى حياة الكهوف

---

[1]- الممنوعات في السجن قد تكون سكراً أو مخدرات أو عود ثقاب أو شفرة الحلاقة أو لفافة التبغ ، وغيرها ... انظر : المجتمع المريض، ص ٧٥ و٧٦ .

[2]- انظر : في الظلام، ص ١٦٨ .

[3]- انظر : المصدر نفسه، ص ١٨٢ .

والدم والليل ..؟ لا يمكن، إني أفضل الموت على ذلك ، وأنا لم أتزوج ولم يترك لي أبي ميراثاً، تستطيع أن تعتبرني ضائعاً .. جائعاً .. وعلى هامش الحياة ".[1]

وهكذا كانت شخصية "كساب" متميزة في تناقض ظاهرها وأعمالها، مع ما في قلبه وباطنه من رقة وخير كثير، لم تجد من مجتمعه أرضاً صالحة لتثمر، فعانى هو وعانى مجتمعه من أمثاله من القتلة والمجرمين، ومثل هذه الشخصية كثيرٌ في السجن، والكيلاني بحكم بقائه في السجن فترة من الزمن، استطاع الاطّلاع على خصوصيات هذه الشخصيات، ومن الممكن اعتبار "كساب" كنموذج قد نجد له أشباهاً كثيرة إلا أنه يبقى شخصية متميزة بالصورة التي رسمها الكيلاني في روايته تلك.

❑ **شخصية "المُطوّع" في رواية "أميرة الجبل" :**

المطوع "حسن بن محمد" شخصية دينية واجتماعية لها دور كبير في قبائل الشحوح التي تعيش في الإمارات العربية المتحدة، يرى نفسه "مصدر البركة وينبوع العلم والمعرفة في الأرض، وإرضاءه من إرضاء الله .. وهو يقف بإيمانه وعلمه على الأبواب التي تتسلـــل منـــها الشياطين .."[2]!!

ويقول :"لو كنت في أرض غير هذه الأرض لقبّلوا التراب الذي أسير عليه.."[3]

---

[1]– في الظلام، ص ١٨٤ .

[2]– أميرة الجبل، ص ٨٠ .

[3]– المصدر نفسه، ص ٨١ .

وهو يقترح على رئيس القبيلة الذي يريد تزويج ابنته "مريم" من ابن عمها، وهي ترفضه وتريد الزواج بشاب آخر من شباب القرية، فهو يقترح عليه أن يتزوجها هو أي المطوع نفسه، حسماً للخلاف بين الشابين، وهو قد تجاوز الخمسين، وعندما لم يتلق الوالد الأمر بقبول وجدية، نراه يهتف في غيظ :"إنني أنذركم .. إن ابنتك تحمل لأرضنا الخراب، وسوف تهب من ناحيتها عاصفة الخلاف والفتنة.."[1]

ولعل هذا الموقف الأول الذي ابتدأ الكيلاني فيه بعرض هذه الشخصية، قد أعطى مجملاً لهذه الشخصية، فهو يعتبر نفسه مصدر البركة والخير، وهو يرغب بالزواج من "مريم"، لكن عندما رفض والدها انقلب من راغب بالزواج إلى اعتبار "مريم" حاملة للخراب، فالتناقض في تصرفاته إذا تعارضت مصالحه يبدو جلياً منذ البداية.

و"علي زيد زيدون" رئيس القبيلة يعلم أن "مطوع القبيلة لا يجمع في عقله علماً يذكر، بل إنه خليط من السحر وقليل من محفوظ القرآن، وبعض الأحاديث النبوية، والآداب الشرعية، ونتفاً من السيرة النبوية لا تصل بالرجل إلى العلم والأصالة، وكان يعرف أكثر من غيره أن المطوع لا يحظى بأي تميز أخلاقي، بل حامت حوله شبهات كثيرة تتعلق بالمال والنساء، ولم يكن ينكر أنه برغم تناقضه يحظى بغير قليل من الحب والتأييد، ولم لا ؟؟ إنه يؤم الناس في الصلاة، وخاصة في يوم الجمعة، ويكتب لهم بعض الرُّقى لتقوى

---

[1]- أميرة الجبل، ص ٨٠ .

همهم، وتُزيلَ عنهم بعض الأمراض، وتفتحَ لهم آفاق الأمل المغلقة، وتقرب بين القلوب ..."[1]

ويظهر الدور الذي يقوم به هذا المطوع في القبيلة عندما هربت "مريم" ولم يعرف أفراد القبيلة مكانها، فقالت عجوز منهم :"ابحثوا عن "حسن بن محمد" .. هؤلاء "المطاوعة" يستخدمون الجان .."[2]

فوالدها يرى أن المطوع "قد ورث عن آباءه بعض المخطوطات القديمة ذات الأهمية البالغة، بعضها مكتوب بدم الغزال، وبها أساليب تكشف المخبوء، وإماطة اللثام عن عالم الغيب واستخدام الجان في ربط قلوب المحبين أو التفرقة بينها، وبها قسم خاص للتداوي بالبذور النباتية، أو الرُّقى والتعاويذ، وبها أشياء عن الطالع والنجوم، والفلك والكوارث المحتملة، والبشريات المتوقعة .. "حسن بن محمد" موسوعة علمية كبرى، يعترف لها أهل الجبل بالتفوق والتميز ..

والرجل ذكي برغم خبثه، ويمتلك ثروة لا بأس بها، وله نفوذ غريب على الجميع، وشيخ القبيلة يلجأ إليه في بعض الظروف الحرجة، عندما يكربه أمر، أو تعضله مشكلة .."[3]

وعندما يذهب "علي" إليه لسؤاله عن مكان "مريم" يبدأ بكلماته المسجعة الغامضة، ثم يقول كاشفاً عن الثمن الذي يريده مقابل البحث عن "مريم" وهو

---

[1]- أميرة الجبل، ص ٨١ .

[2]- المصدر نفسه، ص ١٠٢ .

[3]- المصدر نفسه، ص ١٠٣ .

الزواج منها، فيوافق والدها ليأسه من أن يجد مساعدة عند غيره، وعندما يحاول الوالد الاستفسار عن كلماته السابقة، يقف ويصيح مقاطعاً له :"قف عند حدك يا "علي" .. ولا تخض فيما ليس لك به علم، غير أني أؤكد لك، أن عروس الجبل ستظهر .. وسيكون لظهورها رنة فرح كبرى .. وستقام الأعراس في أنحاء الجبل .. اذهب والزم بيتك .. وانتظر أيها الملهوف .. حتى تدنو القطوف .. وغداً تلتئم الجروح .. يا سيد جبل الشحوح .."[1]

فهو لا يريد التوقف عند كلماته السابقة التي ملأها بالتهديد للقبيلة على عدم سماعها لنصائحه، ويقصد بتلك النصائح زواجه من "مريم" ويلمح لرفض أبيها ذلك، فهو لا يريد أن يكشف عن جهله بمكانها، فلذلك نراه يسارع في الانتقال إلى أمر آخر ليشغل به والدها ويطلب منه لزوم بيته وانتظار عودة ابنته.

وفي اليوم التالي اختفى المطوع ولم يعثر له على أثر، فقد ذهب يسأل ويحاول جمع الأخبار من القبائل الأخرى، ومن المستشفى، حتى استطاع أن يعلم من أحد سائقي سيارات الأجرة أن فتاة ركبت معه إلى دبي في نفس تاريخ فقدان "مريم" وبنفس أوصافها، فتتبع هذا الخيط حتى رآها عن طريق المصادفة في دبي، إلا أنه لم يستطع أن يلتقيها ففقد أثرها ثانية. وعندما علم أهل القرية بزواجها من الطبيب المغترب، فرح والدها وأعلن ذلك الزواج أمام أهالي القبيلة ليمحو العار الذي لحقه بفرارها، لكن المطوع "حسن" كان يردد "هذا عار لا يمحوه إلا الدم .." ويكرر هذه الكلمات في أذن ابن عمها، ويغري بها "عبد الله" الشاب الآخر الذي كان يريد الزواج بها، وبدأ ينشر المطوع كلماته تلك بين رجال القبيلة ونسائها.. وقد كان لوقع الخطاب الذي

---

[1]- أميرة الجبل ، ص ١٠٨ .

أرسله الطبيب ليؤكد لوالدها أنه تزوجها على سنة الله ورسوله، وأرسل إليه صورة طبق الأصل عن وثيقة الزواج الشرعية، فازداد المطوع في حقده، وبدأ يتطاول على شيخ القبيلة، ويقول :"لا تتكلموا في الدين، إنكم تحكّمونه في الوقت أو الموقف الذي يروق لكم .. الدين هو ما أقوله أنا .."[1]

وفي خطبة الجمعة التالية تكلم المطوع عن الفساد الذي استشرى، وكان يقصد ما حدث من ابنة شيخ القبيلة، وتطور الأمر وحدث جدال بين شيخ القبيلة وبين المطوع، انتهى بأن تقدم "علي" من المطوع بعد صلاة الجمعة أمام الناس ووسط المسجد، وقال في قوة وإصرار :

- "لا بد أن ترحل عن هذه الديار يا "حسن بن محمد"..
- هذه أرضي ..
- أنت تحرق أمنها ..
- ليس لك فيها أكثر مما لي ..
- هذا حكم الله .. وقد أمرت بنفيك اتقاء للفتنة، ولأنك تعديت حقوقك .. فلتأخذ نساءك وأولادك ولترحل ..

ثم أكمل موضحاً :

- أنت يا "حسن" لست الدين .. ولست الممثل الوحيد له، في الجبل وخارج الحبل عشرات من العلماء الأنقياء، وسترحل عن الجبل، وسيأتي غيرك من الشحوح أنفسهم، سيظل أمر الدين والدنيا على خير حال، ولن نفرط في حق من حقوق الله ..[2]

---

[1]– أميرة الجبل، ص ١٩١ .

[2]– المصدر نفسه، ص ١٩٦و١٩٧ .

وفي نهاية الرواية، يقول شيخ القبيلة :"المطوع لن يعود إلى القبيلة، لقد ملت القبيلة السحر والدجل، وسنرسل أولادنا ليتعلموا الدين الحقيقي في أماكن أخرى .."[1]

ولعل هذه الشخصية تصور شريحة من الناس الذين يدَّعون العلم الآن، وهم يمارسون الدجل والشعوذة، وقد ازداد عددهم في السنوات الأخيرة بشكل ملحوظ، فجاءت هذه الشخصية كما أراد لها الكيلاني تكشف زيف ادعاءاتهم وجهلهم وشعوذتهم، وهي تميزت تميزاً بغيضاً إلى نفس القارئ بعكس الشخصيات السابقة التي ذكرناها هنا، وهذا يدل على براعة الكيلاني في نجاحه في رسم صورة مميزة لهذه الشخصية مع بغض القارئ لها ولأفعالها، إلا أنها كانت شخصية حية واقعية، أقنعت القارئ بحيويتها وواقعيتها.

[1]- أميرة الجبل، ص ٢١٠ .

الخاتمة

وبعد :

فإنني قد تناولت في بحثي هذا عدة أمور، من أهمها :

د. نجيب الكيلاني وتناولته من ناحيتين :

الأولى : مولده وأسرته ونشأته ودراسته وأهم الثقافات التي أثرت فيه وعمله وحياته السياسية.

الثانية : مراحل أدبه التي تدرج فيها ونتاجه الأدبي من شعر ورواية وقصص قصيرة ومسرحية و دراساته الأدبية والفكرية والاجتماعية.

وهذا يفيد في باب التعريف بهذا الأديب الذي كان إنتاجه الأدبي أكثر من سبعين كتاباً ومع ذلك فقد لقي من الإهمال والإجحاف المقصودين الشيء الكثير وذلك بسبب انتماءاته الإسلامية ومعتقداته وآرائه التي كان يدعو إليها من خلال دعوته للأدب الإسلامي، سواء أكان بتنظيره للأدب الإسلامي وتقعيده له، أو بالمشاركة الفعلية بكتابة أعمال أدبية أثبتت الأيام مع التعتيم الإعلامي المقصود عليها أنها قادرة على أن تحل محل الأدب غير الإسلامي ولتثبت أن الأدب الإسلامي هو الأصل وهو الباقي مهما حاول الحاقدون أن ينكروه أو يتجاهلـــوه.

وقد اخترت حقل الرواية عند د. نجيب الكيلاني وقدّمت دراسة للرواية عنده بشكل عام وبينت الموضوعات التي تناولها في رواياته، التي تعتمد بشكل أساس على أفكاره الإسلامية التي كان يدعو إليها في كتاباته الأدبية والفكرية، وأثبتت هذه الدراسة أن جل ما كان يدعو إليه نظرياً قد ضمّنه رواياته عملياً.

ثم شرحت عناصر الرواية من : فكرة، وزمان ومكان، وأسلوب، وأحداث، وحاولت أن أذكر ما ناسب ذلك من أعمال الكيلاني الإبداعية، وذكرت بعض الأمثلة على انسجام هذه العناصر كلها معاً، مكونة روايات كانت عالية فنياً وأظهرت براعة الكاتب غير المحدودة.

ثم انتقلت للعنصر الأخير من عناصر الرواية وهو الشخصيات، فبينت أهمية الشخصية الروائية بشكل عام ودورها في الرواية، ثم تناولت ثلاثة محاور هي الأهم في هذا البحث وهي :

- شخصيات رئيسة في روايات الكيلاني ووصلت إلى عدة تحليلات تفصيلية تبين براعة الكيلاني وقدرته على رسم شخصيات مؤثرة حيوية، وتكمن أهمية الشخصية في رواياته بأنها تدعو لأفكاره بشكل غير مباشر في معظم الأحيان، وبذلك كان لها ذلك النجاح الفني وفي نفس الوقت استطاع الكيلاني أن يدخل بشخصياته تلك قلوب قرائه وعقولهم ويترك فيهم الأثر الذي يقصده من أدبه الإسلامي.

- شخصيات ثانوية في روايات الكيلاني وأهمها النماذج البشرية التي ركز الكيلاني عليها اهتمامه، وهي نماذج أثْرَت رواياته وزادت من حيويتها وصدقها الواقعي. وتناولت بالأخص نموذج:

  - رجل الدين، الذي ساعد في توضيح التطور الذي صاحب الكيلاني نفسه وذلك قد انعكس في رسمه لنموذج رجل الدين في رواياته المختلفة.

- نموذج الطبيب الذي كان واقعياً جداً وذلك لقرب الكيلاني واتصاله المباشر بهذا الجو كونه طبيباً.
- نموذج الأب والأم الذي يكشف الكيلاني به عن جانب من جوانبه النفسية التي استطعنا الإحساس بها من خلال رسمه لهذا النموذج الحي.

- شخصيات مميزة، وقد اخترت شخصيات تميزت بميزة خاصة، واستطاعت بذلك التميز أن تخلد في أذهان القراء واستحقت فصلاً منفصلاً في هذا البحث، وقد ساعدت تلك الشخصيات بتميزها بأن تضيف شيئاً جديداً، أو مذاقاً خاصاً، قصده الكيلاني ليؤكد لنا برواياته مرة بعد مرة براعته الأدبية وقدرته غير المحدودة على رسم الشخصيات وإبداعٍ غير متناهٍ في كتابة الروايات الإسلامية والواقعية في آنٍ معاً.

- ذكرت في بحثي هذا شيئاً مما يعدُ نقداً لبعض ما قدّم الكيلاني، ومن ذلك وقوع د. نجيب الكيلاني في بعض التجاوزات والأخطاء، ومن ذلك :

١. بروز شخصية الكاتب في بعض الروايات من خلال الأحداث وذلك بتدخل الكاتب نفسه بشكل مباشر وسافر.
٢. عدم مناسبة لغة الحوار - في بعض الأحيان - في الروايات التاريخية للعصر الذي تقع فيه أحداث الرواية.
٣. تناوله لشخصية لها من الاحترام عند المسلمين - وهي شخصية عمر بن الخطاب رضي الله عنه - بشكل غير لائق

بهذه الشخصية، كصحابي جليل، وذلك يعود إلى محاولة الكاتب أن يبني رواياته فنياً بشكل واقعي كما أراد لها أن تظهر لقرائه.

- وأقدم اقتراحات رأيت فيها فائدة، وهي :

١. على الكاتب أن يحدد لنفسه حدوداً لعمله الأدبي يلزم نفسه بها، ويلتزم من خلالها بالأدب الإسلامي، وأن لا يؤثر فيه ما تحفل به الساحة الأدبية من غثاء أو أعمال أدبية كفقاعات سرعان ما تتلاشى في الهواء، فالله عزوجل يقول :{ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ}. الرعد:١٧.

٢. الأدب بأجناسه المختلفة له دور كبير وخطير في تنشئة الجيل المسلم، فعلينا أن يحاول كلٌ منا بما يستطيعه فيما يرفع من خلق الشباب الناشئة ويدعوهم إلى مكارم الأخلاق، ويغذي في نفوسهم الإيمان بالله تعالى، وحُب دينه، وفي نفس الوقت يجذبهم بطهارته ونظافته، ليستطيع أن ينافس ما يقدّم في الطرف الآخر من ثقافة غريبة دخيلة علينا في بلادنا الإسلامية، وهذا يزداد أهمية في عصر العولمة التي تُفرَض الآن على بلادنا.

٣. أدعو من خلال صفحاتي هذه أن تُقَدَّم دراسات أخرى في هذا الشأن تتناول جوانب أخرى من حياة د. الكيلاني رحمه الله، وهناك جوانب كنت قد تمنيت أن يتسع بحثي لها، لكن لم يتسنَّ لي ذلك، ومنها : دراسة روايات الكيلاني التاريخية التي تناولت أحداثاً

تاريخية قديمة، أو الروايات الاستشرافية التي تناولت بلاداً إسلامية في تاريخنا الحديث. فهي تستحق وقفات ودراسات متعددة.

٤. الكيلاني شاعر إسلامي له من الدواوين ستة – كما وصل إلى علمي – ودواوينه صغيرة الحجم، ولكنها تستحق دراسة مخصصة لما فيها من غنى وموضوعات إسلامية متعددة، تكاد تكون شاملة لكل قضية من قضايا الإسلام.

٥. القصص القصيرة في إنتاج الكيلاني تستحق دراسة مستقلة والاهتمام بالنواحي الاجتماعية التي تناول فيها قضايا عدة.

والحمد لله تعالى على ما أنعم عليّ وتفضل بإتمام هذا البحث، راجية أن يكون فيه نفع وفائدة لغيري من الباحثين، وأن يكون خطوة تتبعها خطوات أخر في السعي قدماً في سبيل الرقي بأدبنا الإسلامي والعرفان بالجميل لأدبائنا الذين كان لهم فضل السبق في الدعوة والمشاركة في هذا الباب.

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الفهارس الفنية

فهرس الآيات القرآنية

فهرس البلدان

فهرس الأعلام

فهرس المصادر والمراجع

فهرس الموضوعات

فهرس الآيات القرآنية

الآية :	الصفحة:
{ إنَّا نَحْنُ نزَّلنَا الذِّكْرَ وإنَّا لهُ لَحَافِظُون } الحجر: 9	293
{ وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَاً بِغَيْرِ نَفْسٍ .....} المائدة : 32	367
{ إنَّ اللهَ يَغفِرُ الذُّنوبَ جَمِيْعَاً } الزمر : 53	367

فهرس البلدان

اسم البلد : رقم الصفحة :

1. أثيوبيا = 77-145-164
2. آسيا الوسطى = 165
3. أسيوط = 34-42-362-367
4. الإمارات العربية المتحدة = 35-42-55-369
5. أمريكا = 69-126-127
6. أندونيسيا = 75-165
7. أوروبا = 69-172-216-335
8. باريس = 154
9. باكستان = 58
10. البوسنة والهرسك = 83
11. بولاق = 69
12. بيروت = 53-77-171
13. تركستان = 75-91-144-145-152-165-170-171
14. جاكرتا = 75-91-144-145-152-165-170
15. الحميدية = 81-124-126-128-1323-139-215
16. دبي = 35-76-84-214-216-281-283-372
17. الدلتا = 21
18. دمشق = 76-171
19. الربايعة = 142
20. رشيد = 48-301-303-306-354-357-359

21. روسيا = 75-126-171-320

22. روما = 281

23. الرياض = 35-89

24. زفتي = 16-21-49-321

25. سرايبفو = 83

26. سنباط = 21

27. سوريا = 46-120

28. سيناء = 122-125

29. الشارقة = 55

30. الشام = 194

31. شرشابه = 11-17-29-30-50-59-81

32. شنراق = 260

33. الصين = 75-165-171

34. طنطا = 11-14-16-21-38

35. العراق = 82-127

36. الفجيرة = 84

37. فرنسا = 216

38. فلسطين = 80-124-145-290

39. القاهرة = 14-18-34-126-364

40. قبرص = 122

41. القدس = 76-144-145-290-295-297

42. الكويت = 82-127-129-331-365

43. لبنان = 120

44. ليبيا = 122

45. مصر= -173-175-194-215-216-321-322-331-354-365
-42-45-46-49-69-79-80-81-100-119-120-121-122-127-129
36-35

46. المغرب = 194

47. مكة المكرمة = 190

48. منية البندرة = 343-350

49. ميت غمر = 30

50. نيجيريا = 75-100-165-170-253

51. الهند = 329

52. اليونان = 122

فهرس الأعلام

الاسم :   الصفحة :

1. أبو حامد الغزالي = 19
2. أبو الحسن الندوي = 160
3. أبو العلاء المعري = 57
4. إحسان عبد القدوس = 96
5. أحمد بن تيمية = 56-354
6. أحمد حسن الزيات = 24
7. أحمد ديدات = 284
8. أحمد رزيق = 268
9. أحمد شوقي = 22-25-58-59-60
10. أحمد محرم = 60
11. إسماعيل باشا صبري = 25
12. الأسود العنسي= 85
13. إقبال = 56-57-58-60-104-285
14. أياسو = 77
15. البارودي= 25
16. تشارلتن = 150
17. توفيق الحكيم = 26-61-103
18. تولستوي = 102
19. د. جابر قميحة = 149
20. جبلة بن الأيهم = 85
21. جمال الدين الأفغاني = 50-122-317-318-320-321-322

22. جمال عبد الناصر= 33-42-78-80-85-124-175-248-322-331-342
23. جورجي زيدان = 145
24. حافظ إبراهيم = 22-25-60
25. حسن البنا = 27-74
26. حسين كامل = 318
27. د. حلمي محمد القاعود = -165-176-180-196-197-209-210
28. حمدي شعيبه = 109
29. حمزة بن عبد المطلب – 76-144-145-164-191-213-214-290
30. حيي بن أخطب = 193
31. خالد بن الوليد = 38
32. الخديوي = 122
33. دستويفسكي = 102
34. الرافعي = 22-60
35. روجيه جارودي = 284
36. زكي مبارك = 24
37. سارتر= 103
38. سعيد العريان = 23
39. سعيد الغزاوي = 277-288
40. الإمام الشافعي = 18
41. د. شوقي ضيف = 105-185
42. صالح عشماوي = 27
43. صدام حسين = 127-365

44. صدقي باشا = 120

45. صلاح الدين الأيوبي= 297

46. ضياء الحق= 58

47. د. طه حسين = 22-52-103

48. عباس حلمي باشا = 318

49. العباس السفاح = 52

50. عبد الرحمن الشرقاوي = 89

51. عبد العزيز الدسوقي = 315

52. د. عبد القادر القط = 97

53. عبد اللطيف الأرناؤوط = 150

54. د. عبد الله بن صالح العريني = 47-49-54-77-80-83-280

55. عبد المنعم عواد يوسف = 362

56. علي أحمد باكثير= 26-61-70-89

57. علي الجارم = 25

58. علي محمود طه = 38

59. عمر بن الخطاب = 144-145-164-176-290-299-319

60. عمر بن عبد العزيز= 297

61. د. غازي مختار طليمات = 298

62. فتحي الإبياري = 145

63. فريد أبو حديد = 23

64. فريزر= 48

65. الملك فهد = 35

66. الملك فؤاد الأول = 28
67. ماركس = 40
68. مالك بن عوف = 85
69. المتنبي = 25
70. د. محمد حسن بريغش = 77-81-97-172-295-296-297
71. محمد حسن عبد الله = 70
72. محمد عبد الحليم عبد الله = 70
73. محمد عوض محمد = 23
74. محمد الغزالي = 27
75. د. محمد غنيمي هلال = 147-162
76. محمد قطب = 70-160
77. د. محمد مندور= 42
78. محمد موسى الشريف =35
79. د. محمد النويهي – 163
80. د. محمد يوسف نجم = 147-189
81. محمود تيمور = 23-103
82. محمود دياب = 89
83. مسيلمة الكذاب = 214
84. مصري عبد الحميد ضورة =221
85. مصطفى محمود = 89
86. مكسيم غوركي = 40
87. المنفلوطي = 21
88. نابليون = 79

89. نجم الدين أيوب الملك الصالح = 175

90. نجيب محفوظ = 70-96-103-362

91. النقراشي باشا = 32

92. د. هنري جيمس = 106-154-158

93: هيكل = 124

94. هيلاسلاسي = 77

95. وجيه السمان = 27

96. وحشي = 76-191-213-290

97. د. يوسف القرضاوي = 221

فهرس المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم. كتاب الله.

٢. أباظة، د. نزار ، والمالح، محمد رياض.
إتمام الأعلام "ذيل لكتاب الأعلام لخير الدين الزركلي".
دمشق : دار الفكر ، وبيروت : دار صادر . ٢٠٠٣م.
الطبعة الثانية.

٣. بحراوي، حسن.
بنية الشكل الروائي.
بيروت : المركز الثقافي العربي . ١٩٩٠م.
الطبعة الأولى.

٤. بريغش، د. محمد حسن .
دراسات في القصة الإسلامية المعاصرة.
بيروت : مؤسسة الرسالة. ١٩٩٤م.
الطبعة الأولى.

٥. بريغش، د. محمد حسن .
في الأدب الإسلامي المعاصر.
الزرقاء، الأردن : مكتبة المنار. ١٩٨٥م.
الطبعة الثانية.

٦. البغدادي، د. مريم.

المدخل في دراسة الأدب.
جدة : دار تهامة . ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.
الطبعة الأولى.

٧. بيلو، ، د. صالح آدم.
من قضايا الأدب الإسلامي.
جدة : دار المنارة . ١٤٠٣هـ.
بدون طبعة.

٨. التونجي، د. محمد.
المعجم المفصل في الأدب. جزءان .
بيروت : دار الكتب العلمية. ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.
الطبعة الثانية.

٩. الجبوري، كامل سلمان.
معجم الشعراء من العصر الجاهلي حتى سنة ٢٠٠٢م. ستة أجزاء.
بيروت : دار الكتب العلمية. ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.
الطبعة الأولى.

١٠. الجهني، د. مانع بن حماد. ومجموعة من المشاركين.
الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة. جزءان.
الرياض : دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع. ١٤١٨هـ.
الطبعة الثالثة.

١١. رمضان يوسف، محمد خير.
تتمة الأعلام للزركلي. جزءان.
بيروت : دار ابن حزم. ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.
الطبعة الأولى.

١٢. الزركلي، خير الدين.
الأعلام. ثمانية أجزاء.
بيروت : دار العلم للملايين. ١٩٨٩م.
الطبعة الثامنة.

١٣. السعافين، د. إبراهيم.
تطور الرواية العربية الحديثة في بلاد الشام من ١٨٧٠-١٩٦٧.
العراق : من منشورات وزارة الثقافة والإعلام، ودار الرشيد للنشر. ١٩٨٠م.
بدون طبعة.

١٤. شريبط، شريبط أحمد.
تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة ٤٧-١٩٨٥م.
من منشورات اتحاد الكتاب العرب. ١٩٩٨م.
بدون طبعة.

١٥. أبو شريفة، د. عبد القادر. وقزق، حسين لافي.
مدخل إلى تحليل النص الأدبي.
عمان : دار الفكر للنشر والتوزيع. ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.
الطبعة الأولى .

١٦. شورر، مارك. و مايلز، جوزفين. وماكنزي، جوردن.
أسس النقد الأدبي الحديث. جزءان.
ترجمة : هيفاء هاشم. مراجعة : د. نجاح العطار.
دمشق : مطابع وزارة الثقافة والسياحة والإرشاد القومي. ١٩٦٦م.
بدون طبعة.

١٧. الصباغ، د. محمد.
التصوير الفني في الحديث النبوي.
بيروت : المكتب الإسلامي. ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م.
الطبعة الأولى .

١٨. ضيف، د. شوقي.
في النقد الأدبي.
القاهرة : دار المعارف. بدون تاريخ.
الطبعة السادسة.

١٩. العبيدي، رشيد.
دراسات في النقد الأدبي.
بغداد : مطبعة المعارف. ١٩٦٩م.
الطبعة الأولى.

٢٠. العريني، د. عبد الله بن صالح .
الاتجاه الإسلامي في أعمال نجيب الكيلاني القصصية.
الرياض: من إصدارات المهرجان الوطني للتراث والثقافة.

رسالة ماجستير في قسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي بكلية اللغة العربية بالرياض. ١٤٠٩هـ.
بدون طبعة.

٢١. إشراف : غربال، محمد شفيق.
الموسوعة العربية الميسرة. جزءان.
القاهرة : دار إحياء التراث العربي، ودار الشعب. بدون تاريخ.
بدون طبعة.

٢٢. غنيمي هلال، د. محمد.
النقد الأدبي الحديث.
بيروت : دار العودة. ١٩٧٣م. بدون تاريخ.
بدون طبعة.

٢٣. غنيمي هلال، د. محمد.
الأدب المقارن.
بيروت : دار العودة. ١٩٨٣م.
الطبعة الثالثة.

٢٤. فضل، د. صلاح.
نظرية البنائية في النقد الأدبي.
القاهرة : المطبعة الفنية الحديثة، مكتبة الانجلو المصرية. ١٩٨٠م.
الطبعة الثانية.

٢٥. فهمي، د. ماهر حسن.
قضايا في الأدب والنقد.
قطر : دار الثقافة. ١٩٨٦م.
بدون طبعة.

٢٦. القاعود، د. حلمي محمد.
الواقعية الإسلامية في روايات نجيب الكيلاني.
الأردن : دار البشير. ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.
الطبعة الأولى.

٢٧. القط، د. عبد الحميد.
بناء الرواية في الأدب المصري الحديث.
وهي رسالة ماجستير من كلية الآداب جامعة أسيوط بالمنيا بمصر.
القاهرة : دار المعارف. ١٩٧٥م.
الطبعة الأولى.

٢٨. قطب، سيد.
النقد الأدبي أصوله ومناهجه.
بيروت والقاهرة : دار الشروق. ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.
الطبعة الثالثة.

٢٩. الكيلاني، د. نجيب.
لمحات من حياتي. خمسة أجزاء.
بيروت : مؤسسة الرسالة. ١٤٠٥هـ/١٩٨٩٥م.

الطبعة الأولى.

٣٠. الكيلاني، د. نجيب.
رحلتي مع الأدب الإسلامي.
بيروت : مؤسسة الرسالة. ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م.
الطبعة الأولى.

٣١. الكيلاني، د. نجيب.
مدخل إلى الأدب الإسلامي.
قطر : صادر عن رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية. ١٤٠٧هـ.
الطبعة الأولى.

٣٢. الكيلاني، د. نجيب.
المجتمع المريض.
بيروت : مؤسسة الرسالة.١٤٠١هـ/١٩٨١م.
بدون طبعة.

٣٣. الكيلاني، د. نجيب.
الإسلامية والقوى المضادة.
بيروت : مؤسسة الرسالة. ١٩٨٧م.
الطبعة الثالثة.

٣٤. الكيلاني، د. نجيب.
الإسلامية والمذاهب الأدبية.

بيروت : مؤسسة الرسالة. ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
بدون طبعة.

٣٥. الكيلاني، د. نجيب.
أعداء الإسلامية.
مصر : دار الأنصار ودار الاتحاد العربي. بدون تاريخ.
بدون طبعة.

٣٦. الكيلاني، د. نجيب.
تحت راية الإسلام.
بيروت : مؤسسة الرسالة. ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.
الطبعة الثالثة.

٣٧. الكيلاني، د. نجيب.
نحن والإسلام.
بيروت : مؤسسة الرسالة. ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.
الطبعة الأولى.

٣٨. الكيلاني، د. نجيب.
آفاق الأدب الإسلامي.
بيروت : مؤسسة الرسالة. ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م.
الطبعة الأولى.

٣٩. الكيلاني، د. نجيب.

حول المسرح الإسلامي.
بيروت : مؤسسة الرسالة. ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م.
الطبعة الأولى.

٤٠. الكيلاني، د. نجيب.
نحو مسرح إسلامي.
بيروت : دار ابن حزم. ١٤١١هـ/١٩٩٠م.
الطبعة الأولى.

٤١. الكيلاني، د. نجيب.
أدب الأطفال في ضوء الإسلام.
بيروت : مؤسسة الرسالة. ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.
الطبعة الثانية.

٤٢. الكيلاني، د. نجيب.
إقبال الشاعر الثائر.
بيروت : مؤسسة الرسالة. ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
الطبعة الرابعة.

٤٣. الكيلاني، د. نجيب.
حول الدين والدولة.
بيروت : دار النفائس. ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م.
الطبعة الثانية.

٤٤. الكيلاني، د. نجيب.
الطريق الطويل. "رواية".
بيروت : مؤسسة الرسالة. ١٤٠٨هـ/١٩٨٨.
الطبعة الخامسة.

٤٥. الكيلاني، د. نجيب.
في الظلام. "رواية".
بيروت : مؤسسة الرسالة. ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.
الطبعة الثالثة.

٤٦. الكيلاني، د. نجيب.
طلائع الفجر. "رواية".
بيروت : مؤسسة الرسالة. ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.
طبعة جديدة منقحة.

٤٧. الكيلاني، د. نجيب.
رأس الشيطان. "رواية".
بيروت : مؤسسة الرسالة. ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
بدون طبعة.

٤٨. الكيلاني، د. نجيب.
ليل وقضبان. "رواية".
بيروت : مؤسسة الرسالة.١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.
الطبعة السابعة.

٤٩. الكيلاني، د. نجيب.
النداء الخالد. "رواية".
بيروت : مؤسسة الرسالة. ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
الطبعة الخامسة.

٥٠. الكيلاني، د. نجيب.
الربيع العاصف. "رواية".
بيروت : مؤسسة الرسالة. ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.
بدون طبعة.

٥١. الكيلاني، د. نجيب.
الذين يحترقون. "رواية".
بيروت : مؤسسة الرسالة. ١٩٩٩م.
الطبعة الأولى.

٥٢. الكيلاني، د. نجيب.
الرايات السوداء. "رواية".
طنطا : دار البشير للثقافة والعلوم. ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.
الطبعة الأولى.

٥٣. الكيلاني، د. نجيب.
ليالي تركستان. "رواية".
بيروت : دار النفائس. ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.
الطبعة الثامنة.

٥٤. الكيلاني، د. نجيب.
عمالقة الشمال. "رواية".
بيروت : دار النفائس. ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.
الطبعة التاسعة.

٥٥. الكيلاني، د. نجيب.
حارة اليهود. "رواية".
طنطا : دار البشير للثقافة والعلوم. ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.
الطبعة الأولى.

٥٦. الكيلاني، د. نجيب.
قاتل حمزة. "رواية".
بيروت : مؤسسة الرسالة. ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.
الطبعة التاسعة.

٥٧. الكيلاني، د. نجيب.
رحلة إلى الله. "رواية".
الكويت : دار الوثائق. بدون تاريخ.
بدون طبعة.

٥٨. الكيلاني، د. نجيب.
نور الله. جزءان. "رواية".
بيروت : مؤسسة الرسالة. ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.
طبعة جديدة ومنقحة.

٥٩. الكيلاني، د. نجيب.
مواكب الأحرار. "رواية".
بيروت : مؤسسة الرسالة. ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.
الطبعة السادسة.

٦٠. الكيلاني، د. نجيب.
حكاية جاد الله. "رواية".
بيروت : مؤسسة الرسالة. ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
الطبعة الثانية.

٦١. الكيلاني، د. نجيب.
رجال وذئاب. "رواية".
بيروت : مؤسسة الرسالة. ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.
طبعة جديدة ومنقحة.

٦٢. الكيلاني، د. نجيب.
ليالي السهاد. "رواية".
بيروت : مؤسسة الرسالة. ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.
الطبعة الخامسة.

٦٣. الكيلاني، د. نجيب.
أهل الحميدية. "رواية".
بيروت : مؤسسة الرسالة. ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.
الطبعة الأولى.

٦٤. الكيلاني، د. نجيب.
ملكة العنب. "رواية".
بيروت : مؤسسة الرسالة. ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.
الطبعة الأولى.

٦٥. الكيلاني، د. نجيب.
اعترافات عبد المتجلي. "رواية".
بيروت : مؤسسة الرسالة. ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.
الطبعة الثالثة.

٦٦. الكيلاني، د. نجيب.
امرأة عبد المتجلي. "رواية".
بيروت : مؤسسة الرسالة. ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.
الطبعة الثالثة.

٦٧. الكيلاني، د. نجيب.
حمامة سلام. "رواية".
بيروت : مؤسسة الرسالة. ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.
الطبعة الرابعة.

٦٨. الكيلاني، د. نجيب.
قضية أبو الفتوح الشرقاوي. "رواية".
بيروت : مؤسسة الرسالة. ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.
الطبعة الثانية.

٦٩. الكيلاني، د. نجيب.
الرجل الذي آمن. "رواية".
بيروت : مؤسسة الرسالة. ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.
الطبعة الثالثة.

٧٠. الكيلاني، د. نجيب.
أميرة الجبل. "رواية".
بيروت : دار ابن حزم. ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.
الطبعة الأولى.

٧١. الكيلاني، د. نجيب.
مملكة البلعوطي. "رواية".
بيروت : مؤسسة الرسالة. ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.
الطبعة الأولى.

٧٢. الكيلاني، د. نجيب.
على أبواب خيبر. "رواية".
طنطا : دار البشير للثقافة والعلوم. ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.
الطبعة الأولى.

٧٣. الكيلاني، د. نجيب.
عصر الشهداء "ديوان شعر".
بيروت : مؤسسة الرسالة. ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م.
الطبعة الثالثة.

٧٤. الكيلاني، د. نجيب.
كيف ألقاك؟ "ديوان شعر".
بيروت : مؤسسة الرسالة. ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
الطبعة الثانية.

٧٥. الكيلاني، د. نجيب.
مهاجر "ديوان شعر".
بيروت : مؤسسة الرسالة. ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م.
الطبعة الثانية.

٧٦. الكيلاني، د. نجيب.
مدينة الكبائر "ديوان شعر".
بيروت : مؤسسة الرسالة. ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م.
الطبعة الأولى.

٧٧. الكيلاني، د. نجيب.
دموع الأمير "قصص قصيرة".
بيروت : مؤسسة الرسالة. ١٩٩٩م.
طبعة جديدة ومنقحة.

٧٨. الكيلاني، د. نجيب.
عند الرحيل "قصص قصيرة".
بيروت : مؤسسة الرسالة. ١٩٩٩م.
طبعة جديدة منقحة.

٧٩. الكيلاني، د. نجيب.
العالم الضيق "قصص قصيرة".
بيروت : مؤسسة الرسالة. ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.
طبعة جديدة منقحة.

٨٠. الكيلاني، د. نجيب.
رجال الله "قصص قصيرة".
بيروت : مؤسسة الرسالة. ١٩٩٩م.
الطبعة الثالثة.

٨١. الكيلاني، د. نجيب.
حكايات طبيب "قصص قصيرة".
بيروت : مؤسسة الرسالة. ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.
الطبعة السابعة.

٨٢. الكيلاني، د. نجيب.
الكابوس "قصص قصيرة".
بيروت : مؤسسة الرسالة. ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.
الطبعة الرابعة.

٨٣. الكيلاني، د. نجيب.
فارس هوازن "قصص قصيرة".
بيروت : مؤسسة الرسالة. ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.
الطبعة الثالثة.

٨٤. الكيلاني، د. نجيب.
محاكمة الأسود العنسي. "مسرحية".
بيروت : دار ابن حزم. ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.
الطبعة الأولى.

٨٥. مريدن، د. عزيزة.
القصة والرواية.
دمشق : دار الفكر. ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.
الطبعة الأولى.

٨٦. نجم، د. محمد.
فن القصة.
بيروت : دار الثقافة. بدون تاريخ.
بدون طبعة.

٨٧. نجم، د. محمد.
القصة في الأدب العربي الحديث ١٨٧٠-١٩١٤م.
بيروت : دار الثقافة. ١٩٦٦م.
الطبعة الثانية.

٨٨. النحوي، د. عدنان علي رضا.
الأدب الإسلامي إنسانيته وعالميته.
الرياض : دار النحوي للنشر والتوزيع. ١٤٠٨هـ.
بدون طبعة.

٨٩. الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله.
معجم البلدان. خمسة أجزاء.
بيروت : دار الكتاب العربي. بدون تاريخ.
بدون طبعة.

٩٠. محمد سيد نصر. ونقولا زيادة. ومصطفى الحاج إبراهيم. وداود صليبا.
وشفيق جحا. وأنور الرفاعي.
أطلس العالم.
بيروت : مكتبة لبنان.بدون تاريخ.
بدون طبعة.

٩١. إخراج : إبراهيم مصطفى. وأحمد حسن الزيات. وحامد عبد القادر.
ومحمد علي النجار.
المعجم الوسيط. جزءان في مجلد واحد.
استانبول : دار الدعوة. ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م.
الطبعة الثانية.

٩٢. مجموعة من المشرفين والمساهمين في التحرير.
المنجد في الأعلام.
بيروت : دار المشرق. ١٩٨٠م.
الطبعة العاشرة.

المجلات :

١. مجلة الشهاب البيروتية: العدد التاسع. السنة الخامسة،١٣٩١هـ/١٩٧١م.

٢. مجلة المشكاة. المغرب: العدد ٢٣. السنة السادسة،١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

٣. مجلة الأدب الإسلامي. السعودية:

المجلد الأول، العدد الأول، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

السنة الثالثة، العددان التاسع والعاشر، ١٤١٦هـ.

المجلد الثامن ، العدد الثلاثون، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

المجلد العاشر، العدد الثامن والثلاثون، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

المجلد الحادي عشر، العدد الواحد والأربعون، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

المجلد الثالث عشر، العدد الخمسون. ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

٤. مجلة المجتمع. الكويت : العدد ١٦١٤، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

العدد ١٦٣٢، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

العدد ١٦٤٢، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

٥. مجلة الفيصل. السعودية : العدد٢٣٧، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

٦. مجلة الأمة. قطر : السنة الخامسة. العدد ٥٩، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

٧. مجلة النهج. دمشق : العدد ٤١ . خريف ١٩٩٥م.

مواقع على الإنترنت :

١. www.bab.com

٢. www.alresalah.com

٣. www.arabicstory.net

٤. www.odabasham.net

فهرس الموضوعات

الموضوع : رقم الصفحة

الباب الأول : الرواية مؤلِّفاً وموضوعاً وبناءً فنياً

المقدمة 1

الفصل الأول : د. نجيب الكيلاني حياته 11

اسمه، نسبه، نشأته، والده 11

والدته، إخوته 13

جده لأبيه، جده لأمه 15

قريته 16

زوجته 18

أولاده، دراسته الابتدائية 20

المرحلة الثانوية وثقافته فيها 21

المرحلة الجامعية 28

تخرج الكيلاني طبيباً 29

حياة نجيب الكيلاني السياسية 30

انضمام الكيلاني إلى حركة الإخوان المسلمين 30

الكيلاني والسجن، والسجون التي اعتُقل بها 33

انتقال الكيلاني للعمل في إمارة دبي 35

وفاته 35

الفصل الثاني : د. نجيب الكيلاني أديباً إسلامياً 37

مراحل مسيرة الكيلاني مع الأدب : المرحلة الأولى 37

نجيب الكيلاني شاعراً 37
نجيب الكيلاني روائياً 39
تأثر الكيلاني بفكر الإخوان وأدبهم 41
فترة ركود أدبي 42
المرحلة الثانية 42
بدايات الأدب الإسلامي عند الكيلاني 44
الإنتاج الأدبي للكيلاني في المرحلة الثانية: الشعر 44
الرواية 45
القصص القصيرة 52
المسرحية 55
الدراسات 56
سمات أدب الكيلاني في هذه المرحلة 66
نقاد تناولوا أدب الكيلاني 70
المرحلة الثالثة 71
النتاج الأدبي للكيلاني في المرحلة الثالثة 72
الشعر 72
الرواية 75
قصص قصيرة 85
مسرحية 85
دراسات 86
أسماء من تأثر بهم الكيلاني من الأدباء 102

الفصل الثالث : الرواية عند د. نجيب الكيلاني موضوعاً 105

الالتزام في الأدب 107
أولاً : السجن 110
السجن السياسي 111
السجن العادي 115
السجانون 118
ثانياً : الحرب 119
الحرب مع الاحتلال 119
الحرب مع إسرائيل 124
الحرب في العراق 127
ثالثاً : المرأة 127
رابعاً : الفساد 134

الفصل الرابع : الرواية عند د. نجيب الكيلاني بناءً فنياً 147
تعريف الرواية 147
قيمة الرواية ومكانتها كفن أدبي 149
كيف نفضل رواية على أخرى؟ 151
مجال الرواية أمام الكاتب الروائي 153
علاقة الرواية بالخيال والواقع 156
صعوبات وقيود في فن الرواية 158
عناصر الرواية 158
العنصر الأول : الفكرة 160
العنصر الثاني : الزمان والمكان 168

القرية 173
المدينة 174
السجن 174
بيئة الجامعة 174
الزمان 175
العنصر الثالث : الأسلوب 176
طرق عرض الرواية 180
الأسلوب واختياره للزمن 185
الأسلوب والحوار في الرواية 187
مهمة السرد والحوار 188
الفصحى والعامية في الحوار 193
العنصر الرابع : الأحداث 198
العقدة أو الحبكة 199
الفرق بين الحبكة والحدث 200
أنواع القصة من حيث تركيب الحبكة 200
أنواع الحبكة 201
القدر والصدفة 205
التوقيت والإيقاع 207

الباب الثاني : الشخصية الروائية في روايات الكيلاني

الفصل الأول : الشخصية الروائية 212
أهمية الشخصية ودورها في بناء الرواية فنياً 212
ارتباط الشخصية الروائية بعناصر الرواية الأخرى 217

الشخصية والفكرة 217

الشخصية والأحداث 217

حوار الشخصيات 218

الشخصية والبيئة 219

من أين يختار الكاتب شخصيات روائية ؟ 219

الشروط التي يجب أن تتوفر في الشخصية حتى تكون ناجحة 222

طريقة عرض الكاتب لشخصياته 223

أبعاد الشخصية 225

طرق تصوير الشخصية ورسمها 227

تصنيف الشخصيات 230

١. الشخصيات الخيّرة والشريرة 231

٢. الشخصية الثابتة والشخصية النامية 236

٣. الشخصية الإنسانية والنماذج البشرية 237

٤. الشخصيات الرئيسة والشخصيات الثانوية 241

٥. هل هناك دلالة للتسمية للشخصيات الروائية ؟ 241

الفصل الثاني : شخصيات رئيسة في روايات د. نجيب الكيلاني 246

انسجام الشخصية مع أفكار الكاتب أو تناقضها 246

التشابه في حدود بعض الشخصيات في روايات نجيب الكيلاني 250

"عادل" في رواية "رجال وذئاب" و"نور" في رواية "عمالقة الشمال" 250

براعم "ملكة العنب" 259

طريقة عرض الكيلاني لشخصية "ملكة العنب" 260

تأثير البيئة على الشخصية 272

الشيخ "محمد حسب الله" 273
المقدار الكمي الذي احتلته هذه الشخصية في الرواية 278
هل شخصية "محمد حسب الله" نموذج بشري ؟ 279
مواقف التحول في حياة الشخصيات الروائية 280
شخصية "عمر بن الخطاب" 290

الفصل الثالث : شخصيات ثانوية في روايات د. الكيلاني 300
شخصيات نامية 300
"محسن" في رواية "طلائع الفجر" 301
"محروس" في رواية "رأس الشيطان" 307
توافق شخصية "محروس" مع خط سير الرواية وهدفها العام 315
نماذج بشرية 316
النموذج البشري لشخصية رجل الدين 316
الشيخ "عنبة" في رواية "النداء الخالد" 317
رجل الدين المتصوف 323
الشيخ "الشاذلي" في رواية "رأس الشيطان" 324
النموذج البشري لشخصية الطبيب 330
شخصية الطبيب الإيجابي أو الخيّر 330
شخصية الطبيب السلبي والشرير 334
د. "هانيمان" في رواية "عمالقة الشمال" 335
شخصية الأب والأم 338

الفصل الرابع : شخصيات مميزة في روايات د. الكيلاني 342
شخصية "محمود صقر" في رواية "رحلة إلى الله" 342

شخصية "المقنع" في رواية "طلائع الفجر" 353
نهاية "المقنع" 358
شخصية الشيخ "سلامة" في رواية "ليل وقضبان" 359
شخصية "مسعدة" في رواية "ملكة العنب" 363
شخصية "كساب" في رواية "في الظلام" 366
شخصية "المطوع" في رواية "أميرة الجبل" 369

الخاتمة 375
الفهارس الفنية 380
فهرس الآيات القرآنية 381
فهرس البلدان 382
فهرس الأعلام 385
فهرس المصادر والمراجع 390
فهرس المحتويات 410

DEPARTMENT OF ARABIC
UNIVERSITY OF PESHAWAR

CHARACTER OF THE STORIES/NOVELS OF NAJEEB KILANI

A CRITICAL ANALYSIS

(A thesis for the Degree of Ph.D in Arabic Language and Literature)

PREPARED BY :
KHANSA AL JAJI

Supervised by:
Dr. NASIB DAR MUHAMMAD
PROFESSOR OF ARABIC
DEPARTMENT OF ARABIC
UNIVERSITY OF PESHAWAR

2007-1428